

المنتقى من تاريخ الخلفاء

يشمل المحاور التالية:

اهتمام الفاروق رضي الله عنه بالعلم والدعاة والعلماء
فقه عمر في التعامل مع الولاة
المؤسسة المالية في عهد عمر بن الخطاب
علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الخلفاء الراشدين
شيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه

جمع وترتيب : عبد الهادي المسيني



المبحث الرابع اهتمام الفاروق بالعلم والدعوة والعلماء

أولاً: اهتمام الفاروق بالعلم:

العلم من أهم مقومات التمكين للأمة الإسلامية؛ لأن من المستحيل أن يمكن الله تعالى لأمة جاهلة، متخلفة عن ركاب العلم، وإن الناظر إلى القرآن الكريم ليرأى له في وضوح أنه راخر بالآيات التي ترفع من شأن العلم، وتحت على طلبه وتحصيله، وإن أول آية من كتاب الله تعالى تأمر بالعلم والقراءة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (علق: ١)، وكذلك يجعل القرآن الكريم العلم مقابلاً للكفر الذي هو جهل وضلال، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩).

وإن الشيء الوحيد الذي أمر الله - تعالى - رسوله ﷺ أن يطلب منه الزيادة فيه هو العلم^(١)، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١١) وقد فهم الصحابة الكرام أن العلم والفقه في الدين من أسباب جلب النصر والعون والتأييد الإلهي، لذلك حرصوا على التفقه في الدين وتعلم كتاب الله وسنة رسوله وكان طلبهم للعلم لله - سبحانه وتعالى - وحرصوا على معرفة الدليل في الأحكام، وأيقنوا بأنه لا بد في العلم من العمل، وإلا نزع الله منه البركة، فقد تعلم الصحابة من رسول الله ﷺ دعاءه: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشيع، ومن دعوة لا يستجاب لها»^(٢)، وقد شهدت الأمة للفاروق رحمه الله بغزارة العلم وبأنه فقيه من فقهاء الأمة في الصدر الأول بلا منازع، فقد عُرِفَ بعمق الفهم، والقدرة على التحليل، والبراعة في الاستنباط والاستنتاج، وهذا ما أهله - بعد توفيق الله تعالى - لتلك المكانة المرموقة، ولقد أصبح عمر فقيه المسلمين بعد أن آلت إليه الخلافة، فأرسى باجتهاداته قواعد العدالة كما فهمها من جوهر الإسلام

وحقيقته، وقد كان ﷺ في مقدمة الفقهاء من الصحابة، وقد أشاد السلف الصالح بعلمه ودرايته، ومعرفته الدقيقة بالأحكام الشرعية، وكان ﷺ يحتاط في أخذ الحديث ويهتم بمذاكرة الصحابة في العلم، ويسأل الصحابة عن المسائل التي لم يتعلمها من رسول الله، وله أقوال في الحث على طلب العلم، وتبعية رعيته بالتوجيه والتعلم، وجعل من المدينة داراً للفقهاء والفتوى وأصبحت مدرسة يتخرج منها الولاة والقضاة، وأعد مجموعة خيرة من الصحابة الكرام قادوا المؤسسات العلمية (المساجد) في حركة الفتوح فقاموا بتربية وتعليم الشعوب المفتوحة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ووضع النواة الأولى في تأسيس المدارس العلمية التي أثرت في الشعوب الإسلامية كمدرسة البصرة، والكوفة، والشام، وطور المدرسة المدنية والمكية.

● احتياظه في أخذ الحديث ومذاكرته للعلم وسؤاله عما يجهل:

- احتياظه في أخذ الحديث وطلبه للتبثيث:

استأذن أبو موسى الأشعري في الدخول على عمر بن الخطاب ﷺ فلم يؤذن له -وكانه كان مشغولاً- فرجع أبو موسى، ففرغ عمر فقال: ألم أسمع صوت عبد الله ابن قيس؟ ائذنوا له، قيل: قد رجع، فدعاه فقال: كنا نؤمر بذلك، فقال: تأتيني على ذلك بالينة، فانطلق إلى مجالس الأنصار فسألهم، فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا. فقام أبو سعيد فقال: كنا نؤمر بهذا. فقال عمر: خفي علي هذا من أمر رسول الله ﷺ !! ألهاني الصفق بالأسواق، يعني الخروج إلى التجارة^(١)، وجاء في رواية أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت وقال رسول الله ﷺ: إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع، فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أنكم أحد سمع من النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقممت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك^(٢).

مذاكرة عمر للعلم وسؤاله عما يجهل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتني عمر بامرأة تسمى، فقام فقال: أنشدكم بالله من سمع من النبي ﷺ في الوشم؟ فقال أبو هريرة: فقامت فقلت: يا أمير المؤمنين أنا سمعت، قال: ما سمعت؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تشمن ولا تستوشمن)^(١)، وعن المغيرة بن شعبة عن عمر رضي الله عنه أنه قال: استشارهم في إملاص المرأة، فقال المغيرة: قضى النبي ﷺ بالغرة عبد أو أمة قال: اتت من يشهد معك فشهد محمد بن مسلمة أنه شهد النبي ﷺ قضى به^(٢)، وعن عمر رضي الله عنه أنه مثل عن الرجل يجنب في السفر فلا يجد الماء؟ فقال: لا يصلي حتى يجد الماء، فقال له عمار: يا أمير المؤمنين، أما تذكر إذ كنت أنا وأنت في الإبل فأجنبنا، فأما أنا فتمرغت كما تمرغ الدابة، وأما أنت فلم تصل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: إنما يكفيك هذا^(٣)، وضرب بيديه الأرض فمسح بهما وجهه وكفيه، فقال له عمر رضي الله عنه: اتق الله يا عمار، فقال: إن شئت لم أحدث به، فقال: بل نوليك من ذلك ما نوليت، فهذه سنة شهدها عمر ثم نسيها حتى أفتى بخلافها، وذكره عمار فلم يذكر، وهو لم يكذب عماراً بل أمره أن يحدث به^(٤).

● من أقواله في الحث على العلم:

قال رضي الله عنه: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف ورجع وتاب، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء^(٥).

وقال رضي الله عنه: لا يكون الرجل عالماً حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يأخذ على عمله أجرًا. وقال رضي الله عنه: تفقهوا قبل أن تسودوا- أي تصيروا سادة قومكم- فتمنعكم الأنفة من التعلم، فتعيشوا جهالاً^(٦).

(١) البخاري رقم ٥٩٤٦ . (٢) البخاري رقم ٦٩٠٦ . (٣) الأنساب في الطهارة (٣١٧).

(٤) الفتاوى (١٣٥/٢) . (٥) مفتاح دار السعادة (١/١٢٢)، فرائد الكلام من ١٣٥ .

(٦) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي من ٦٠، فرائد الكلام ١٦٣ .

وقال عليه السلام: العلم إن لم ينفعك لن يضر^(١).

وقال عليه السلام: موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه^(٢).

وقال عليه السلام: كونوا أوعية الكتاب، وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم، ولا يضركم ألا يكثر لكم^(٣).

وقال عليه السلام: تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم وتواضعوا لمن علمتموه العلم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم^(٤).

وحذر عليه السلام من رلة العالم فقال: يهدم الإسلام رلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون^(٥).

٢- تتبعه للرعية بالتوجيه والتعليم في المدينة:

كان الفاروق يتمهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من خلال الاحتكاك اليومي وخصوصاً يوم الجمعة، حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر المهمة في توجيه الأمة وترشيدها، وقد حفظ التاريخ للفاروق كثيراً من خطبه، وهذه إشارات عابرة لبعض خطبه:

خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر وهي خمسة أشياء: العنب، والتمر، والخنطة، والشعير، والعلل، والخمر ما خامر العقل، وثلاث وددت أن رسول الله ﷺ لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً: الجدة، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا^(٦).

وخطب يوم الجمعة في نصيح الرعية وبيان حقها عليه فقال: أيها الناس إن بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما

(١) الزهد للإمام أحمد ص ١٧٤، فرائد الكلام ص ١٦٨.

(٢) فرائد الكلام ص ١٥٧، مفتاح دار السعادة (١/ ١٢١).

(٣) فرائد الكلام ص ١٥٩، البيان والبيان للجاحظ (٣/ ٣٠٢).

(٤) أخبار عمر ص ٢٦٣، معجم الصواب (٢/ ٦٨٦).

(٥) معجم الصواب (٢/ ٧١٧).

(٦) الخلافة الراشدة ص ٣٠٠ - يعني الربا.

لا تتركون، وأنتم مؤجلون في دار غرور، كنتم على عهد رسول الله ﷺ تؤخذون بالوحي، فمن أمر شيئاً أخذ بسريره، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلاتيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر، فإنه من أظهر لنا شيئاً وزعم أن سريره حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنة، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، أيها الناس أطبوا مشواكم، وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم، ولا تلبسوا نساءكم القباضي فإنه إن لم يشف فإنه يصف، أيها الناس إنني لوددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا علي، وإنني لأرجو إن عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله، وإلا يبقى أحد من المسلمين - وإن كان في بيته - إلا آتاه حقه ونصيبه من مال الله، ولا يعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوماً، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله، ولقليل في رفق خير من كثير في عنف، والقتل حنف من الخوف يصيب البر والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه، وإذا أراد أحدكم بغيراً فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره^(١).

- حكم عظيمة من الخطبة :

لقد استفتح عمر رضي الله عنه خطبته بحكم عظيمة، بين فيها أن الغنى الحقيقي يكون بالقناعة، وأن الفقر الحقيقي يكون بالطمع، فأصل القناعة الإياس بما في أيدي الناس، فمن آيس مما عند غيره قنع بما عنده، ومن قنع بما عنده استغنى وإن كان فقيراً، ومن أخذ به الطمع واستشرف لما في أيدي الناس افتقر في نفسه وإن كان غنياً في ماله، فإن ماله لا يغنيه؛ لأن الغنى غنى النفس، والعقل السليم يقتضي ألا يجمع الإنسان من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه، وألا تكون آماله الدنيوية معلقة بما لا يملك، وأن ينظر إلى الدنيا على أنها دار زوال، وأن لا يغتر بما فيها من جوائز ومغريات^(٢).

(١) فوائد الكلام من ١٩٠ نقلاً عن تاريخ الطبري.

(٢) التاريخ الإسلامي (٢٠٠/٢٦٦).

- اخذ الناس بظواهرهم وترك سرائرهم:

وفي هذه الخطبة تقرير لما استقر عليه الأمر بعد انقطاع الوحي من أخذ الناس بظواهرهم وترك سرائرهم إلى الله تعالى، وفيه إشارة إلى أن الوالي ليس مسئولاً عن الحكم على سرائر القلوب، ولن يستطيع ذلك، ولكنه مسئول عن صلاح ظواهر الناس، ومن صلاح الظاهر يتكون المجتمع الصالح، فإنه يحكم للمجتمع بذلك إذا صلح ظاهره ولم تُعلن فيه الفواحش ولم يبرز فيه من يجاهر بالفسوق أو يدافع عنه، وإن كان فيه أفراد قد ساءت بواطنهم؛ لأن العرف الاجتماعي - والحال هذه - يكون سائراً مع ما أعلن من الصلاح ومكارم الأخلاق، أما ما خفي من الانحراف فإن العرف الإسلامي يرفضه فيضطر أصحابه إلى التستر والانزواء.

- بعض الشح شعبة من النفاق:

وقوله ﷺ: واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، واضح في الذين يتقاعسون عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، وهم يرون دُولاً وطوائف من أمتهم يعتدي عليهم الكفار وتنتهك أعراضهم وتتهب بلادهم، فينهض هؤلاء المعتدي عليهم للجهاد، ولكن لا يجدون إلا القليل من المسلمين الذين يساعدونهم بأموالهم، فالذين أصيبوا بمرض الشح من المؤمنين قد اتصفوا بالنفاق العملي، وهو علامة على ضعف الإيمان^(١).

- ولوددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا هلي:

إحساس مرهف وتصور بالغ الدقة في إدراك المسؤولية، فإن تحمل الولاية إقدام على عمل من أعلى الأعمال الصالحة، ولكن فيه مزالق خطيرة قد تجيله إلى عمل من أسوأ الأعمال، وكم من مسئول كان عمله رافعاً ذكره عند الله تعالى وعند الصالحين من الناس لما يقوم به من محاسبة نفسه على كل صغيرة وكبيرة، وكم من مسئول كان عمله بضد ذلك لكونه اتبع هواه، وقدم رضا الناس على رضا الله تعالى، ولقد كان

عمر رضي الله عنه من أبرر عظماء التاريخ الذين مثلوا العدالة في أبلغ صورها، ومع ذلك يقول هذه المقالة، ويحمله خوفه العظيم من الله تعالى على تناسي ما لعمله في الولاية من أجر مقابل أن يخرج طاهر الأردن مما فيها من وذر^(١).

٣- من حكمه التي سارت بين الناس:

قال رضي الله عنه: من كتم سره كانت الخيرة في يديه، ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير مدخلاً، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تكثر الخلف فيهلك الله، وما كافأت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وعليك بإخوان الصدق، اكتسبهم فإنهم زين في الرخاء عدة عند البلاء^(٢).

فهذه حكم بالغة، وكل حكمة تفتح آفاقاً في عالم التربية، وهذا تعليق مفيد على هذه الحكم:

- من كتم سره كانت الخيرة في يديه:

فالإنسان حاكم نفسه ما دام سره بين جنبيه، فإذا أفضى السر لواحد من الناس أو أكثر - فإنه لو رأى أن المصلحة في عدم الإفشاء - لم يستطع رد أمره إلى السرية.

- ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن:

فالإنسان هو المشغول عن نفسه قبل الناس، فعليه أن يحاول إبراء ساحته بكل ما يستطيع، وإذا ظن أن بعض الناس قد يفهمون من سلوكه خلاف مراده فليسارع إلى كشف أمره وإن كان موضع الثقة، وسمعته عالية في المجتمع، فإن النبي ﷺ قال للرجلين اللذين رآياه ومعه امرأة تسير في الليل: على رسلكما إنها صفة بنت حبي^(٣).

- ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير مدخلاً:

فهذا توجيه عمري جليل في التحرز من سوء الظن، فأحسن الظن بالمسلمين

(١) التاريخ الإسلامي (٢٦٧/٢٠).

(٢) تاريخ دمشق (٢٥٩/٤٤)، التاريخ الإسلامي (٢٧٠/٢٠).

(٣) التاريخ الإسلامي (٢٧١/٢٠).

مطلوب من المسلم، وأن يحاول تأويل الكلمات التي ظاهرها الشر بما تحتمله من خير حتى يجد أن تلك الكلمات متمحضة للشر، فذلك مطلوب من المسلم مع أخذ الحذر لنفسه ولمن هم تحت ولايته حتى لا يؤخذ على غرة^(١).

- ولا تكثر الحلف فيهنك الله:

فالحلف بالله تعالى تعظيم له، فإذا كان الحلف بقدر الحاجة وفي حال التعظيم لله تعالى وخشيته كان ذلك من توحيده وإجلاله جل وعلا، أما إذا أكثر المسلم من الحلف بالله تعالى حتى في الأمور الحقيرة فإنه لن يصاحب ذلك تعظيم له سبحانه، بل يدخل في باب الاستهانة وعدم المبالاة، فتكون عاقبة ذلك تعرض المكثّر من الحلف لإهانة الله تعالى إياه، ومن تعرض لذلك فقد خسر خسراناً ميباً.

- وما كافأت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه:

فإذا كان بينك وبين أحد خلاف فعصى الله تعالى بسببك، إما بالاعتداء عليك أو انتهاك عرضك أو أخذ مالك فإن أفضل جزاء تجاربه به أن تطيع الله جل وعلا فيه، وذلك بالتزام الأدب الإسلامي في الخلاف وحفظ حق أخيك المسلم، بأن لا ترد عليه بالمستوى الهابط الذي خاطبك به، ثم إن عفوت عنه وتنازلت عن حقك فذلك من كمال طاعة الله سبحانه.

- وعليك ياخوان الصديق:

نعم فرب أخ لك لم تلده أمك، بل إن إخوان الصديق الذين اتسقت قلوبهم على التقوى أعظم تضحية وإحساناً من إخوان النسب إذا لم يكونوا كذلك، فإخوان الصديق سعادة للإنسان في وقت الرخاء، يسر بلفائهم، ويشترك معهم في أعمال البر والإحسان والإصلاح، فإذا نزل البلاء وجد الجدد فهم عدة لإخوانهم يتسابقون إلى البذل والتضحية ويتنافسون في أداء الأعمال الشاقة، ويؤثرون على أنفسهم وإن كانت بهم خصاصة^(٢)، فهذه بعض الحكم العمرية التي سارت بين الناس، فإذا كان نقاد

(٢) المصدر نفسه (٢٠/٢٧٢).

(١) التاريخ الإسلامي (٢٠/٢٧١).

الأدب لا يزالون يعجبون بحكم المتنبي، ويرون فيها خلاصة لتجارب الناس في عصره، فإن حكم المتنبي لا يمكن أن تذكر مع كلمات عمر ولا تجري معها في ميدان، إن المتنبي لخص في حكمه تجارب الناس، وعمر وضع في كلماته (الحكم) للناس، إن من كلماته ما كان دستوراً للحكم أو للقضاء أو للأخلاق، دستوراً كاملاً ولكنه لم يجر في سواد مطولة ولم يكتب بلفظة القوانين، بل جاء حكمة سائرة، ومثلاً مأثوراً، في لغة هي في البيان غاية الغايات من مثل قوله: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ وقوله: إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوي في غير عنف، وقوله: أريد للإمارة رجلاً، إن كان في القوم وهو أميرهم ظناً واحداً منهم، وإن كان فيهم وهو واحد منهم ظن أنه أميرهم، وقوله في الولاة: أشكو إلى الله ظلم القوي، وعجز الثقي، وقوله: من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه، وقوله: لست بخب ولا أحب يخدعني^(١). وقوله: ما أمر الله تعالى بشيء إلا وأعان عليه، ولا نهى عن شيء إلا وأغنى عنه^(٢).

ثانياً: جعله المدينة داراً للفتوى والفقه:

لما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كانت المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، وموطن الخلافة، وفيها تفتق عقل الصحابة، في استخراج أحكام إسلامية، تصلح لما جدّ من شئون في المجتمعات الإسلامية، بعد الفتوح التي كثرت، واتسعت بها رقعة الإسلام، فقد كانت المدينة تحتل المكانة المرموقة بين سائر الأمصار، فالمجتمع المدني عاش فيه رسول الله ﷺ، وتربى فيه على يديه النواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس، وبذلك أصبح لا يدانيه أي مجتمع آخر. وكان لوجود عمر على رأس الخلافة في المدينة - مدة عشر سنوات - لخصائصه الذاتية، وسياسته في الحكم، أثر كبير في جعل المدينة المدرسة الأولى للمحدث، والفقه والتشريع في القرنين الأول والثاني، وذلك لما يأتي:

(١) أخبار عمر ص ٢١٢.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣١١ للماوردي، مرائد الكلام ص ١١١.

إن المدينة كانت في عهد عمر مجمع الصحابة، وخصوصاً ذوي السبق منهم في الإسلام، استبقاهم عمر حوله، حرصاً عليهم، ورغبة في أن يكونوا عوناً له في سياسة الأمة، وستمائة بعلمهم، واعتماداً على إحصائهم، وسترشداً بأرائهم ومشورتهم، وقد بقي علم هؤلاء الصحابة بالمدينة فبلغ فقهاء الصحابة المفتون، ١٣٠ مائة وثلاثين صحابياً وكان لمكثرون منهم سبعة: عمر، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وعائشة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، قد أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخمة^(١).

والتوسطون من الصحابة فيما روي عنهم من النبي: أبو بكر، لقصر المدة التي عاشها بعد رسول الله ﷺ، وأم سلمة، وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن الزبير، وأبو موسى الأشعري، وسعد بن أبي وقاص، وجابر بن عبد الله، ومعاذ بن جبل، وطلحة ونزير، وعبد الرحمن بن عوف، وعمران بن حصين، وعبد بن الصامت قالوا: ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير^(٢)، وحل من ذكرتهم بقي في المدينة في عهد عمر بن الخطاب، إلا من كانت له مهمة تعليمية أو جهادية كلفه بها الفاروق نتيجة لتوسع الدولة، واحتياج البلاد المفتوحة لمن يعلم أهلها القرآن الكريم وألصقة النبوة المطهرة، وقد أثمرت سياسة عمر رضي الله عنه في جعل المدينة دار الفقه والعلم ومنزل أهل لراي والمشورة، وقد يدل على نجاح تلك السياسة ما رواه ابن عباس حيث قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فيسألني أنا في منزله عنى، وهو عند عمر في آخر حجة حجها، إذ رجع إليّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان، يقول: لو قد مات عمر، لقد بايعت فلان فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا قلعة فتمت، فعضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يعصوهم أمورهم، قال عبد الرحمن فقلت: لا يا أمير المؤمنين، لا تفعل فإن الموسم

يجمع رَعَاع الناس وغوغاهم، فإنهم هم الذين يغفلون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عك كل مطير، وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها، فأهمل حتى تقدم المدينة فإيها در الهجرة والس، فتخلص بأهل الفقه وأشرف الناس، فتقول ما قلت متمكنًا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعوها على مواضعها، قال عمر. أما والله - إن شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة^(١).

قال ابن حجر: واستند بهذا الحديث على أن أهل المدينة مخصوصون بالعلم والمهم؛ لاتفاق عبد الرحمن بن عوف وعمر على ذلك، قال: وهو صحيح في حق أهل ذلك العصر - عصر عمر - ويتحقق بهم من ضاهاهم في ذلك ولا يلزم من ذلك أن يستمر ذلك في كل عصر، ولا في كل فرد^(٢)، وقد أثر ذلك العصر في اندارس العلمية التي بدأت مع تطور المجتمع وتوسع الفتوحات، فقد كان تلاميذ مدرسة عمر في المدينة، ونشروا علمهم بالمدينة، فنشأ تلاميذ صاروا أعلامًا لقريهم من المهله، ولبقائهم في البيئة المدنية، وبعض تلاميذ عمر تم إرسالهم إلى البلدان المفتوحة لتعليم وتقوية وتربية الشعوب التي دخلت في الإسلام.

ولقد تصدرت المدينة مكانًا عاليًا في العلم والفقه وأثرت مدرسة المدينة في لاقطار المفتوحة والمدارس التي شكلت كالبصرة وكوفة وغيرها ويأتي تعاقب مركزية الفقه في المدينة كالتالي:

- المدينة مهبط لؤحي، وانتشريع، ولا تدارعها بلد في العصر الراشدي.
- في عهد الخلفاء الراشدين، كانت المدينة مركز فقهاء الصحابة وعلى رأسهم عمر رضي الله عنه.

- قتل عثمان سنة ٣٥ هـ، وانتقل على إلى الكوفة، ومع ذلك بقيت المدينة مركز أهل العلم والفتوى بسبب امتداد عمر الصحابة الفقهاء، في المدينة، حتى عمروا أكثر

(١) البخاري، كتاب الحدود رقم ٦٨٣

(٢) الفتوح (١٢/١٥٥)، المدينة عمر الإسلام (٢٦/٢)

الصف الثاني من القرن الأول وهم: عائشة وأبو هريرة وجابر بن عبد الله، وابن عمر وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم.

- نشأت مدرسة كبار التابعين في المدينة، وكان منهم الفقهاء السبعة، الذين لم يوجد لهم نظير في الأفطار الإسلامية وهم المذكورون في قول لشاعر:

ألا كل من لا يقتدي بأئمة فقسمة ضيزى عن الحق خارجة
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجة

- وجاءت الطبقة الثانية من التابعين (صغار التابعين) وعاشوا حتى أواخر الصف الأول من القرن الثاني أذكر منهم: ابن شهاب الزهري، ونافع بن أسلم، ويحيى بن سعيد الأنصاري.

- ثم جاء عصر الإمام مالك، وهو من تابعي التابعين، فكان من أعمد الناس بعلم من سبقه من التابعين كبارهم وصغارهم.

ويشهد لعلم أهل المدينة، احتياج أهل الأمصار إلى علم الحجاز، ورحلتهم إليه في طلبه بما لم يُعرف للأمصار الأخرى، فقد رحل علماء الأمصار الإسلامية إلى المدينة في طلب العلم، وعرض ما لديهم على علمائهم، فكانوا المرجع في هذا الشأن، وقد ذهب علماء المدينة إلى الأمصار قضاة ومعلمين^(١)، ابتداء من الذين أرسلهم عمر رضي الله عنه لما فتحت الشام والعراق لتعليم الناس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد ذهب إلى العراق عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعمر بن ياسر، وعمران بن حصين، وسلمان الفارسي، وغيرهم، وذهب إلى الشام معاذ بن جبل، وعادة بن الصامت وأبو الدرداء، وبلال بن رباح، وأمثالهم، وبقي عنده مثل عثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، ومثل: أبي بن كعب، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وغيرهم، وكان ابن مسعود - وهو أعمد من كان بالعراق من الصحابة إذ ذاك - يفتي بالفتن، ثم يأتي المدينة فيسأل علماء أهل المدينة، فيردونه عن قوله فيرجع إليهم^(٢).

(٢) العتوي > ١٧٢/٢.

(١) المدينة النبوية عصر الإسلام والعصر الراشدي (٤٧/٢).

عمر بن الخطاب

لقد أثرت المدرسة المدنية في بقية المدارس، وكان سائر أمصار المسلمين غير الكوفة مقادين لعلم أهل المدينة، لا يعدون أنفسهم أكفاءهم في العلم، كأهل الشام ومصر، مثل الأوزاعي ومن قبله وبعده من الشاميين، ومثل الليث بن سعد ومن قبله ومن بعده من المصريين، وإن تعظيمهم لعمل أهل المدينة واتساعهم لفتاهاهم القديمة طاهر بين، وكذلك عدما أهل البصرة، كأيوب، وحماد بن زيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأمثالهم، ولهذا ظهر مذهب أهل المدينة في هذه الأمصار^(١).

لقد كانت ثقة أهل الأمصار في علم أهل المدينة، تجعلهم يقدمونه على كل علم لما روى الخطيب البغدادي. أن محمد بن الحسن الشيباني كان إذا حدثهم عن مالك، امتلأ عليه مزجه، وإذا حدثهم عن غير مالك لم يحج إلا القليل من الناس، فقال: ما أعلم أحدا أسوأ ثناء على أصحابه منكم، إذا حدثتكم عن مالك ملأتم عليّ الموضوع، وإذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتون متكرهين^(٢).

ويضلل غير أهل المدينة بقدر ما يأخذونه من علم أهل المدينة ويرون في علم أهل المدينة معياراً للنفوس، فيقول مجاهد وعمرو بن دينار وغيرهما من أهل مكة: لم يزل شأنا متشابهاً متطابقاً حتى خرج عطاء بن أبي رباح إلى المدينة، فلما رجع استبان فصله علينا^(٣).

إن من أسباب الثروة العلمية التي حظيت بها المدينة أيام عمر بن الخطاب: شخصية عمر بن الخطاب الملهمة، وقد شهد رسول الله ﷺ لعمر بذلك، لما رآه موقفاً في آرائه.

وقد جعل من عاصمة الدولة مدرسة تخرج منها العلماء والدعاة والولاة والقضاة، وإذا نظرنا في المدارس العلمية الأولى في العالم الإسلامي رأينا الأثر العمري عليها؛ لأن كل المؤسسين -تقريباً- تأثروا بفقهاء الفاروق رضي الله عنه، وإليك نبذة مختصرة عن هذه المدارس:

(١) الفتاوى (١٧٤/٢)

(٢، ٣) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٤٨/٢).

١- المدرسة المكية:

احتلت هذه المدرسة المكانة في قلوب المؤمنين، الساكنين، والثانيين إلى بلد لله
 احرام، الحجاج، والعمار، والروار، بل أحضت مكة بألباب كل مؤمن رآها، أو تمنى
 أن يراها، ولقد كان العلم بمكة يسيراً زمن الصحابة، ثم كثر في أواخر عصرهم
 وكذلك في أيام التابعين، وزمن أصحابهم، كابن أبي نجيح، وابن حريج^(١)، إلا أن
 مكة احتضت زمن التابعين بحر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنه الذي صرف
 جل همه، وعناية وسعه إلى علم التفسير، وربي أصحابه على ذلك، فنشأ منهم أئمة
 كان لهم قصب السبق بين تلاميذ المدارس في التفسير، وقد ذكر العلماء مجموعة من
 الأسباب أدت إلى تفوق المدرسة، أهم هذه الأسباب والأساس فيها إمامة ابن عباس
رضي الله عنه وأستاذيته لها^(٢)، وقد تحدث العلماء عن مجموعة من الأسباب أهلت ابن
 عباس رضي الله عنه وقسمته على غيره من الصحابة في فهم كتاب الله والقدرة على تفسيره،
 وهي على إجمال: دعاء النبي ﷺ له بالفقه في الدين والعلم بالتأويل، الأخذ
 عن كبار الصحابة، قوة استهده وقدرته على الاستنباط، اهتمامه بالتفسير، منهجه
 المتميز في تعليم أصحابه، حرصه على نشر العلم، رحلاته وأسفاره، تأخر وفاته،
 قرب مرته من عمر رضي الله عنه^(٣)، فقد حظي بعناية خاصة من الفاروق عندما لمس فيه
 مخايل السجادة والذكاء والغطاة، فكان يديه من مجلسه، ويقرنه إليه، ويشاوره،
 ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس ما زال شاباً علاماً، فكان لذلك
 الأثر البالغ في دفعه وحته على التحصيل والتقدم، بل والإكثار في باب التفسير
 وغيره من أبواب العلم، فعن عامر الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال لي أبي:
 يا بني، أرى أمير المؤمنين يقربك، ويحلوك، ويستشيرك، مع أناس من أصحاب
 رسول الله ﷺ فاحفظ عني ثلاثاً: اتق الله لا تفش له سرّاً، ولا يُجرن عليك
 كذبة، ولا تغتاب عنده أحداً^(٤)، وكان عمر رضي الله عنه يدحله مع أكابر الصحابة، وما

(١) الإعلان والتوبيخ لمن هم التاريخ ص ٢٩٢

(٢) تفسير التابون (١/ ٣٧١) د. محمد الحصري.

(٣) تحفة (١/ ٣١٨)، تفسير التابون (١/ ٣٧٦)

(٤) المصدر نفسه (١/ ٣٧٤-٣٩٥).

ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة الفهم وجودة الفكر، ودقة الاستبط، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: كان عمر يسألني مع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فكان يقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتموني أن تأتوا بما جاء به هذا العلام الذي لم تجتمع شئون رأسه^(١)، وكان ابن عباس نشدة أدبه، إذا جلس في مجلس فيه من هو أس منه لا يتحدث إلا إذا أذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه، فيحسه، ويحرصه على الحديث تنشيطاً نفسه، وتشجيعاً له في العلم^(٢)، كما مر معنا في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ (البقرة: ٢٦٦) وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ...﴾، وكان عمر رضي الله عنه مجلس يسمع فيه من لشبه ويعصمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر، فعن عبد الرحمن بن زيد قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السجدة، وفرغ، دخل مربداً له^(٣)، فأرسل إلى فتين قد قرءوا القرآن، منهم بن عباس، قال: فيأتون فيقرءون القرآن ويتدارسون، فإذا كانت القائنة انصرف، قال فمروا بهذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعُرَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبَهُ جَهَنَّمَ وَلَبَسَ الْمَهَادُ﴾ و ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: ١٧٠، ١٧١)، فقال ابن عباس لعص من كان إلى جاسه اقتتل الرجال، فسمع عمر ما قال، فقال: وأي شيء قلت؟ قال لا شيء يا أمير المؤمنين، قال: ماذا قتلت؟ اقتتل الرجال؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: أرى ها هنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العرة بالإثم، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضه الله، يقوم هذا فيما أمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل، وأخذته العرة بالإثم، قال هذا: وأنا أشتري نفسي! فقاتله، فاقتنى الرجال، فقال عمر: لله ثلاثك يا بن عباس^(٤)، وكان عمر رضي الله عنه يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غص غواص^(٥)، بل كان عمر إذا جاءته الأقضية أمضلة يقول لابن عباس: يا بن عباس قد طرأت علينا أقضية

(٢) تفسير التابون (١/٣٧٧).

(١) المستدرك (٣/٥٣٩) وصحيح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) السجدة الدعاء وصلاة التطوع، المربد: مكان الذي يعمل فيه النمر.

(٤) تفسير الطبري (٤/٢٤٥) فسر المثنون (١/٥٧٨).

(٥) مسائل الصحابة لأحمد (٢١/٩٨١) - ١٩٤٠.

عصل، وأنت لها، ولا مثاله، ثم يأخذ مرأيه، وما كان يدعو لذلك أحدًا سواه إذا كانت العسل^(١)، وعن سعد بن أبي وقاص قال ما رأيت أحدًا أحضر ههنا، ولا الب لباء، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع حلمًا من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعو للمعصلات، ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يحاور قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين، والأنصار^(٢)، وكان عمر يصفه بقوله ذاكم فني الكهول، إن له لسانًا سئولًا، وقلًا عقولًا^(٣)، يقول طلحة بن عبد الله ما كنت أرى عمر من الخطاب يقدم على ابن عباس أحدًا^(٤)، وكان ابن عباس رضي الله عنهما كثير الملازمة لعمر، حريصًا على موالاته والأخذ عنه، ولذا كان رضي الله عنهما كثير الصحابة تفلًا ورواية لتفسير عمر وعلمه - رضي الله عنه - وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أحده عن عمر رضي الله عنهما^(٥)، هذا بعض ما لقيه ابن عباس إمام المدرسة المكية من رعاية العاروق وتقريبه له - رضي الله عنه - وأظن أن هذا مما أعان ابن عباس وشجعه للمضي قُدُمًا في طريق العلم عامة والتفسير خاصة^(٦).

٢- المدرسة المدنية:

قد تحدثنا عن اهتمام عمر بالمدينة وجعلها دارًا للتعوى والفقه والعلم، وأشهر من تفرع في المدينة للحياة العلمية زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقد استبقاه عمر من الخطاب رضي الله عنه في المدينة، فكثرت أصحابه، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: فرق عمر الصحابة في البلدان، وحسن زيد بن ثابت بالمدينة يفتي أهلها، ويقول حميد بن الأسود: ما تقلد أهل المدينة قولاً بعد زيد بن ثابت كما تقلدوا قول مالك^(٧)، وكان أحد الصحابة الذين قبض الله لهم أصحابًا حفظوا أقوالهم، ونشروا علمهم، وآثرهم^(٨)، وقال عمار الشعبي - رحمه الله -: غلب زيد الناس على اثنين، على الفرائض، والقرآن^(٩)، وقد شهد

(١) تفسير التاجين (٢٧٩/١)

(٢) طبقات ابن سعد (٢/٢٦٩)

(٣) تفسير التاجين (٢٧٩/١)، فضائل الصحابة لأحمد رقم ١٥٥٥ . (٤) طبقات ابن سعد (٢/٢٧٠)

(٥) تفسير التاجين (٣٨١/١)

(٦) تفسير التاجين (٢٥٩/٣) ٥١٤٥، تفسير التاجين (١/٥٠٦).

(٧) تفسير التاجين (١/٥٠٦)

(٨) مهدي تاريخ دمشق (٥/٤٤٩)، تفسير التاجين (١/٥٠٨)

رسول الله ﷺ لزيد في علم الفرائض، فقال: (أفرصكم زيد)^(١)، وقد صحب زيدا عدد من فقهاء المدينة، وقد اشتهر من أصحابه والأخذين عنه ستة من تلاميذ، يقول ابن لديني: فأما من لقي زيدا، وثبت عندنا أنه لقيه فهم: سعيد بن المسيب، وعروة ابن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وحارثة بن زيد، وأبان بن عثمان، وسليمان بن يسار^(٢)، وقد كان لمدرسة المدينة الأثر الكبير كما بينا في المدارس العلمية الأخرى.

٣- المدرسة البصرية:

أول من مضى البصرة سنة من غزوان رحمته اختطها سنة أربع عشرة وقيل غير ذلك، بأمر عمر بن الخطاب رحمته وسباني الحديث عنها بإذن الله تعالى عند حديثنا عن التطوير العمراني في السياسة العمرية، وهي أقدم من الكوفة بثلاث سنين^(٣)، وهي منافسة لمدرسة الكوفة في كل فنون، وقد نزلها من الصحابة جمع كثير^(٤)، منهم أبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين رحمته، وعدة من الصحابة كان خاتمهم أنس بن مالك رحمته^(٥)، ومن أشهر من نزل البصرة أبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك رحمته، فأما أبو موسى رحمته فكان فيمن قدم مكة، وأسلم، وهاجر إلى الحبشة مع من هاجر، وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعدم بها^(٦)، وقد تأثر أبو موسى بعمر بن الخطاب رحمته وكانت بينهما مراسلات، سألني عليها بإذن الله عند حديثنا عن مؤسسة الولاية والقضاء، وكان أبو موسى رحمته قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع، والحياء، وعزة النفس وعفته، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى رحمته من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ في الطبقة الأولى من الصحابة رحمته، قال عنه: كان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه انتهى في حسن الصوت

(١) من الترمذي قال الترمذي: حديث حسن صحيح رقم ٣٧٩١

(٢) تفسير الناعمين (١/ ٥١٠)، (٣) المصدر نفسه (١/ ٢٢٢).

(٤) عبد الله بن حبان أكثر من خمسين صحابياً من المشاهير الذين دخلوا البصرة، المصدر السابق نفسه

(٥) طبقات ابن سعد (٢٦/٧)، مسلم (١/ ٦٥).

(٦) تفسير الناعمين (١/ ٢٢٣).

بالقرآن، روى علماً طيباً مباركاً، أقرأ أهل البصرة وأفتيهم^(١)، وقد كان يروي كثير الملازمة للنبي ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيراً، وكان عمر يتعهد بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى هذه الشعبي واحداً من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبو موسى^(٢)، وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة المسورة يحرص على مجالس عمر رضي الله عنه، وربما أمضى جزءاً كبيراً معه، فعن أبي بكر بن أبي موسى أن أبا موسى رضي الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء، فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، فن هذه الساعة، قال: إنه فقه، فجلس عمر فنحدثنا طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة^(٣)، وكما كان أبو موسى حريصاً على طلب العلم والتعلم كان أيضاً حريصاً على نشر العلم وتعليم الناس وتعفيهم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم في حطه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علماً فليعلمه، ولا يقول ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين^(٤)، وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي وخصص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتف بذلك بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتعفيهم فإذا ما سلم من الصلاة استقبل رضي الله عنه الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شاذان: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم^(٥)، واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعون يقرأ، وكان عمر رضي الله عنه إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من

(١) تذكروا الحفاظ (١/٢٢٣).

(٢) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم للجهاد، محمد طهناز ص ١٢٦.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٢٨٩).

(٤) العليقات (٤/١٧).

القرآن^(١)، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذلك رحمته كل ما يستطيع من جهد في تعليم قرآن وبشره بين الناس في كل البلاد لني بول فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته البديعة فاجتمع الناس عليه، وردحهم حوله طلاب العلم في مسجد لبصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحلق، فكان يظوف عندهم يسمعون ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم^(٢)، والقرآن الكريم شغله الشاغل رحمته، صرف له معظم أوقاته في حله وفي سفره، فعن أس بن ميثاق قال: بعثني الأشعري إلى عمر رحمته، ففقد عمر كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كبس^(٣) ولا تسمعها إليه^(٤)، حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقه، فعن خطاب ابن عبد الله الرقاشي قال: كان مع أبي موسى الأشعري رحمته في جيش على ساحل دجلة، إذ حصرت أصالة، فنادى مناديه لظهور، فقام الناس للصلاة، فتوضأ ثم صلى بهم، ثم جلسوا حلقاً، فلما حصرت انصرف نادى منادي لعصر، فهاهنا الناس للصلاة أيضاً فأمر مناديه: لا وصوء إلا على من أحدث، وانثرت جهوده العميمة رحمته، وفرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفظ القرآن الكريم وعلمائه، رد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن يكرمهم ويريد عطاءهم، كتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قلبي ممن حفر القرآن ثلاثمائة وبضعة رجال^(٥)، وهم أبو موسى رحمته بتعليم السنة ورويتها، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير، كما روى عن كبار الصحابة رحمته، وروى عنه عدد من أصحابه وكبار التابعين قال لأدهي رحمه الله: حدثت عنه بريدة بن الحصيب، وأبو أمية لاهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يربد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النهدي وخلق سواهم^(٦)، وكان رحمته شديد التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، دل على ذلك ما أوصى به أولاده عند موته، ومع

(١) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم من ١٢٥، ١٢٦. (٢) المصدر نفسه من ١٢٧.

(٣) أبو موسى الأشعري الصحابي لعالم من ١٢٨.

(٤) أي: هاتق فطر.

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨١).

(٦) المصدر نفسه من ١٢٩.

حرصه الشديد على السنة لم يكثر رحمته من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة رضي الله عنهم ، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم مخافة الرذل والخطأ، وقد كان عمر بوصي عماله أن يهتموا بالقرآن، وألا يكثرُوا من رواية السنة وكان أبو موسى شديد الطاعة لعمر^(١)، وأما أنس بن مالك النجدي الخرجي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يسمى بذلك ويفتخر به وحق له ذلك^(٢) فيقول رحمته : خدمت لنبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وأنا علام^(٣) ويقول أيضاً : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين ومات وأنا ابن عشرين سنة^(٤)، وقد دعا له لنبي صلى الله عليه وسلم بكثرة المال، ولولده، والمباركة في العمر فقال عليه الصلاة والسلام : (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه)^(٥)، قال الذهبي : وقد سرد صاحب التهذيب نحو مائتي نفس من الرواة عن أنس^(٦)، وروى ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثاً، وانفرد البخاري بثمانين حديثاً، ومسلم بتسعين^(٧)، ويعتبر أنس بن مالك رضي الله عنه شيخ السادة من علماء التابعين أمثال : الحسن البصري، وسليمان التيمي، وثابت السامي، والزهري، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وإبراهيم بن ميسرة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن سيرين، وسعيد بن جبيرة، وقادة وغيرهم^(٨)، وقد اهتم أنس بخدمة السنة رواية وتعليقاً وغلبيت عليه الصفة العلمية، فقد قام ببعض الأعمال المهمة في خدمة الخلافة الراشدة، وأسند إليه الخلفاء لراشدون رضي الله عنهم بعض المناصب الرفيعة في الدولة المسلمة، وخاصة في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولما تولى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ولاية البصرة في عهد عمر قرب أنساً واعتبره من خاصته، فمن ثلث عن أنس قال : كنا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويلذكرون الدنيا، قال أبو موسى : يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فرئاً، فتعان فلندكر ربنا ساعة، ثم قال : ما ثبر الناس ما بئاً

(١) (أبو موسى الأشعري الصحيح في العالم لأجماعه ص ١٣٢ .

(٢) (تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٧).

(٣) (مسم رقم ٢٩ .

(٤) (سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٧).

(٥) (تفسير التابيعين (١/ ٤٢٣).

(٦) (مسلم رقم ٢٤٨٠ .

(٧) (المصدر نفسه (٣/ ٤٠٢)، تفسير التابيعين (١/ ٤٢٣).

(٨) (أنس بن مالك الخدم الأمين، عبد الحميد طهناو ص ١٣٥).

بهم ؟ قلت الدنيا والشيطان ولشهوته ، قال لا ، لكن عجلت الدنيا وغشيت الآخرة ، أما والله لو عاينوها ما عدكو ولا ميتوا^(١) ، وثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكفيه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر ، قال أنس : بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسأني عن أحوال الناس^(٢) ، وبعد فتح تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والتائبين فقدم على عمر بصاحبها الهرمران^(٣) ، وقد روى عن أنس خنق عظيم من الصحابة والتابعين ، لا سيما في البصرة ، وقد ترك أثره في الزهد والعبادة فمن حوله من الناس ، وكان أنس حريصاً على تعليم أصحابه ، شديد لحنه لتلاميذه يديهم ويكرمهم ، قتلأ : ما أشبهكم بأصحاب محمد ﷺ ، والله لأنتم أحب إلي من عدة ولدي إلا أن يكونوا في الفضل مثلكم ، وإني لأدعو لكم بالأسفار^(٤) ، مما مكثه من إشبء حيل من العلماء الذين أخذوا عنه علم الحديث ويدفعوا للآخرين وحملوه للأجيل من بعدهم ، وبقي أصحاب أنس الثقات إلى ما بعد الخمسين ومائة^(٥) .

٤ - المدرسة الكوفية:

نزل الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة ، وسبعون من أهل بدر ، ﷺ أجمعين ، وكتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة قتلأ : يا أهل الكوفة ، أنتم رأس العرب ، وجمعتموها ، وسهمي الذي أرمي به إن أتاني شيء من هاهنا ، وهاهنا ، قد بعثت إليكم بعبد الله وخيرت لكم ، وأثرتكم به على نفسي^(٦) ، وفي رواية عنه قال . أما بعد فإني بعثت إليكم عماراً أميراً ، وعبد الله معلماً ووريراً ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ فاسمعوا لهما ، وقنودا بهما ، وإني قد أثرتكم ، بعبد الله على نفسي إثرة^(٧) ، وقد اهتم عمر بالكوفة ووجه ابن مسعود ، فكتب إليه : إن القرآن نزل بلسان قريش فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل^(٨) ، وعندما شيع جماعة من

(١) (٣، ٧) أنس بن مالك ، الخدم الأمين ص ١٤٩

(٥) الأنصار في العصر الراشدي ص ٢٧٦

(٦) مجمع الروائد (٩/ ٢٩١) رجاله رجال الصحيح غير حلوة وهو ثقة

(٨) الفتوح (٨/ ٦٢٥) ، الخلاصة الراشدة د. يحيى ص ٩

(١) للمسلم نفسه السابق ص ١٤٩ .

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٥) .

(٧) السلطة التمهيدية (١/ ٢٥٢) .

الصحابة قاصدين الكوفة قال لهم: إنكم تأتون أهل قرية - يعني كوفة - لهم دوي بالقرآن كدوي الحبل، فلا تصدوهم بالأحاديث فشدوهم، جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ، وامضوا وأن شريككم^(١)، لقد كان عمر يفضل الاشتغال بالقرآن عن الاشتغال بالناس، ويظهر لنا ذلك في أنه لما أراد أن يكتب السنة استشار أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطلق يستحير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقل: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فكثروا عليها وتركوا كتب الله، وإني وإنه لا ألس كتاب الله شيء أبداً^(٢)، لقد كانت مهجية الفاروق تعتمد على ترسيخ القرآن الكريم في نفوس الناس وعدم صرفهم عنه، حتى تتأصل معية في حياة المجتمع، وتستقر علومه ويميز الناس بين سواء، من العلوم الإسلامية الأخرى بما فيها الحديث النبوي^(٣)، فالتأكيد على القرآن الكريم كان منذ عهد رسول الله ﷺ والتحذير من الانصراف إلى غيره كان منذ ذلك العصر أيضاً وما كان عمر يريه إلا متبعاً لتعاليم النبي ﷺ^(٤).

احتهد عبد الله بن مسعود في إيجاد حبل يحمل دعوة الله فهماً وعلماً وكان له الأثر البالغ في نفوس أصحابه الملازمين له أو من جاء بعدهم. وقد شهد به الفاروق بالعلم، فعن زيد بن وهب، قال: كنت حدثت في القوم عند عمر، إذ جاء رجل بحيف قليل، فجعل عمر يطر إليه ويتهلل وجهه، ثم قال: كيف ملئ علماً، كيف ملئ علماً، كيف ملئ علماً، فوذا هو ابن مسعود^(٥)، وقد تأثرت مدرسة الكوفة بالناس مسعود فقد كانت من أكثر المدارس اقتداءً ومتابعةً لأستادها حتى بعد موته، فبن تأثيره قد بقي في الكوفة بعده مدة طويلة^(٦)، وقد تأثر عمر بفقهاء عصره غاية التأثر،

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٥٦)، الخلية (١/ ١٢٩)

(٢) تاريخ المدينة (٣/ ٧٧٠)، موسوعة فقه عمر ص ٦٥٩

(٣) الأنصار في العصر الراشدي ص ٢٦٨

(٤) المصدر نفسه ص ٣٦٠.

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ١٥٦)، الخلية (١/ ١٢٩)

(٦) تفسير التاميم (١/ ٤٦٢)

وكان يدع قوله لقوله، وكان يقول: لو أن علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضع في كفة الميزان، ووضع علم أهل الأرض في كفة لرحح علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ^(١)

وقد برز ابن مسعود رضي الله عنه بين لصحابة، وسقى في علم بقراءة، وقد تلقى من في رسول الله ﷺ بصعاً وسبعين سورة من القرآن، فعن شقيق بن سلمة قال: حفظنا عبد الله بن مسعود، فقال: والله لقد أحدث من في رسول الله ﷺ بصعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم ^(٢)، وعن مسروق: ذكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو، فقال: ذلك رجل لا أرا أن أحبه بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: (استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعد بن حل) ^(٣)، وقد عرف عمر الدروق رضي الله عنه لأن مسعود قدره في علمه لقراءة والإفراء، فعن علقمة قال: جاء رجل من عمر، وهو يعرفه، فقال: يا أمير المؤمنين، جئت من الكوفة، أتركت بها من يملأ المصاحف عن ظهر قلب فعصب عمر رضي الله عنه، وانتعج، حتى كد يملأ ما بين شعبي الرجل، ثم قال: ويحك من هو؟ قال: عبد الله بن مسعود، فما زال يطعمني، ويسري العصب، حتى عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما أعلمه بقي أحد من المسلمين هو أحق بذلك منه ^(٤)، وقد ترك ابن مسعود مجموعة من التلاميذ اشتهروا بالفقه، والعلم، والزهد والتقوى، منهم: علقمة بن قيس، مسروق بن الأجدع، عبيدة السلماني، أبو ميسرة بن شرحبيل، الأسود بن يزي، الخارث الجعفي، مرة الهمداني ^(٥).

٥- المدرسة السامية:

بعد فتح الشام كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاباً جاء فيه: إن أهل الشام كثروا وملأوا المدائن وحتاحوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر معد بن جبل وعبدة بن لصامت

(١) العلم لأبي حنيفة ص ١٢٣، تفسير الطبري (١/٤٦٣)

(٢) البحري رقم ٣٧٥٨

(٣) البحري رقم ٥٠٠٠

(٤) تفسير الطبري (١/٤٧٢ إلى ٤٨٤)

(٥) المستدرک (٢/٢٢٧) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وأبا الدرداء رضي الله عنه، فأرسلهم لهذه المهمة وقد لهم. ابدءوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يتعمد سرعة، فإذا رأيتم ذلك فاعدوا طائفة من الناس، فإذا رضيتم مهم فليقم بها واحد، ويحرج واحد إلى دمشق، ولا حر إلى فلسطين، وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رصوا من الدس ما وصلوا إليه من مستوى عمي أقدم بها عبادة وحرر أبو الدرداء إلى دمشق، ومعد إلى فلسطين^(١)، كانت المدارس العلمية التي أنشأ نواتها الفاروق في اسلذان المفتوحة تقوم بدور في تعليم الناس وتربيتهم، فالمدرسة الشامية قامت على أكتاف معاد وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت رضي الله عنه وغيرهم من الصحابة، فأبو الدرداء رضي الله عنه كانت له حلقة عظيمة في مسجد دمشق يحضرها ما يزيد على ألف وستمئة شخص، يقرءون عشرة عشرة، ويتبايرون عليه، وأبو الدرداء واقف يفتي الناس في حروف القرآن^(٢)، ويعد أبو الدرداء أكثر الصحابة أثرًا في الشام ودمشق، يقول الذهبي. وكان أبو الدرداء عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق، وفقههم وقاصيهم^(٣)، وكان رضي الله عنه من قراء الصحابة المعدودين^(٤)، وكان رضي الله عنه يبحث أهل الشام على طلب العلم قائلاً: مالي أرى علماءكم يذهبون وأرى جهالكم لا يتعمدون؟ اعلّموا قبل أن يرفع العلم، فإن رفع العلم ذهاب العلماء^(٥)، ومن حثه على طلب العلم قوله. كن عالمًا أو متعلمًا أو محبًا أو متبعًا ولا تكن الخامسة فتهدت، قال الحسن البصري - رحمه الله -: الخامسة المبتدع^(٦)، وقوله: اطلّوا العلم فإن عجزتم فاحبوا أهله فإن لم تحبهم فلا تبعوهم^(٧)، ألا فتعلموا وعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في أساس بعدها^(٨)، ولن تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا، ولا تكون متعلمًا حتى تكون بم علمت عاملًا^(٩)، وكان يقول: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا^(١٠)، وقيل لأبي الدرداء مالك لا تقول الشعر؟ فيه ليس رجل له بيت من الأنصار إلا وقد قال الشعر! قال: وأن قد قلت فاسمعوا:

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص ٢٥٩

(٢) خاتمة النهاية في طبقات الفراء لابن الجوزي (١/٧-٦).

(٣) الطائفة (١/٢٤).

(٤) الأنصار في العصر الراشدي ص ٢٥٩.

(٥) تفسير الثايمين (١/٥٢٦).

(٦) حلة الصوفاء (١/٦٢٨).

(٧) الطبقات (١/٤٣٠).

(٨) الطبقات (١/١٣٠).

(٩) سير أعلام النبلاء (٢/٣٤٧).

يريد المرء أن يعطي مناه ويأبى الله إلا ما أراد

يقول المسرء نأندتي ومالي وتقوى الله أفصل ما استفاداً^(١)

وقد جاء في روية: أن أبا الدرداء رضي الله عنه عندما أراد عمر رضي الله عنه أن يوليه في الشام فأبى، فأصر عليه، فقال أبو الدرداء رضي الله عنه : يا رضىيت مي أن أذهب إليهم لأعلمهم كتاب ربهم، وسنة نبيهم وأصلي بهم ذهب، فرضي عمر رضي الله عنه مه بذلك^(٢)، ومن إلمام أبي الدرداء بكثير من العلم، ازدادت مكانته في نفوس المسلمين، فاجتمع حوله كثير من طلاب العلم، فمن سائل عن فريضة، ومن سائل عن حساب، وسائل عن حديث، وسائل عن معصلة، وسائل عن شعر^(٣)، ولهذا كان أثره العلمي واسعاً في الشام ولا سيما في تعليم القرآن^(٤)، وكديث أثره الوعظي فقد قام في أهل الشام ذات يوم فقال لهم: يا أهل الشام ما لكم تجمعون ما لا تكونون وتنون ما لا تسكنون، وتاملون ما لا تدركون، إلا وإن عاداً وثموداً كانوا قد ملأوا ما بين بصرى وهدن أموالاً وأولاداً ونعماء، فمن يشتري مني ما تركوه بدرهمين^(٥)، وقد كانت مثل هذه التعاليم تسبح مع السيادة العمرية الرامية إلى تهية الأمة، وإدامة جهازيها الجهادية^(٦)، وأم معاذ بن جبل الخرجي رضي الله عنه فقد استفاد مه أهل اليمن ثم أهل الشام وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يثني على معاذ بن جبل رضي الله عنه، فيحدث أصحابه قائلاً: إن معاذاً «كَانَ أُمَّةً قَاتَا لِلَّهِ خَيْفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (البقره ١٢)، قالوا: وما الأمة؟ قال: الذي يعلم الدس الخيس، ثم قال: هل تدرون ما القانت؟ قالوا: لا. قال: القنت المطيع لله^(٧)، وإن معاذاً كان كذلك، فقد كان ابن مسعود يشبه معاذاً بالنبي إبراهيم الخليل -عليه السلام- لما هو عليه من السمو العلمي والمكانة الفقهية وخلقية، وذلك لما امتدحه معاذ رضي الله عنه من فهم عميق بلفقه الإسلامي، أعطه قدرة على الإجابة عن المعصلات مما أوجد له القول والإعجاب

(٢) أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم (٢/٢٠٩)

(٤) المصدر نفسه ص ٢٥٦

(٦) الأنصار في العصر الراشدي ص ١٢

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص ٢٥٦

(٣) الأنصار في العصر الراشدي ص ٢٥٦

(٥) الاكتفاء للكلاعي (٣/٣١١)

(٧) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥)

﴿ ٢٣٢ ﴾ عمربن الخطاب

بين المسلمين^(١)، قال عنه عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ^(٢)، وكان عمر إذا حربه أمر يستشير أهل الشورى ومعهم من الأصغر: معاذ بن جبل وأبي بن كعب ورید بن ثابت^(٣) لما يمتعون به من الفقه والتفسير الواقعي والعملي للأحداث، ولما كان يديهم من حرة في ذلك؛ إذ كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ. وقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يحب سماع حديث معاذ وأبو الدرداء، فيقول: حدثونا عن العاقبين، فيقال: من العاقلان؟ فيقول: معاذ وأبو الدرداء الأنصاريان^(٤)، ولما حطب الخليفة عمر بن الخطاب بالجذبية قال: من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل^(٥)، وكان رأي عمر في بداية عهد الصديق أن الخلافة لا تستعني عن وجود معاذ بن جبل في عاصمتها وكان معارضا لخروجه من المدينة، فكان يقول: بعد خروج معاذ إلى الشام، لقد أحل خروجه بالمدينة وأهها في الفقه، وما كان يعتيهم به، ولقد كنت كنت أبكر أن يحسه لحاجة الناس إليه، فنبى عليّ وقال: رحل أراد الشهادة فلا أحسه، فقلت: والله إن الرحل ليررق لشهادة وهو على فراشه وفي بيته عظيم العنى عن مصره^(٦)، ويبدو أن العروق غير رأيه فيما بعد فقد أرسله لتعليم أهل الشام وأقره على البقاء فيها، وقد كان لخروج معاذ بن جبل إلى الشام أثر كبير لما ترك من العلم والفقه ولما أثبت من جدرة في ذلك، قال أبو مسلم الخولاني: دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ وإذا بهم شباب أكحل العينين برأف الشيا ساكت لا يتكلم فإذا امتري القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه، ففنت جليس لي من ههنا؟ قال: معاذ بن جبل^(٧)، وكان معاذ رضي الله عنه بحث على طلب العلم فيقول: تعلموا نعم؛ فإن تعلمه لله خشية وضه عادة، ومذاكرته تسبيح ولبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذلك

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص ٢٨٥

(٢) تهذيب الكمال (١١٣/٢٨) لمعري نقلاً عن الأنصار في العصر الراشدي

(٣) القطب (٤٢٠/١) (٤) الأنصار في العصر الراشدي ص ٢٨٥

(٥) سير أعلام النبلاء (٤٥٢/١)

(٦) الأنصار في العصر الراشدي ص ٢٨٥، سير أعلام النبلاء (٢٨٥/١)

(٧) الأنصار في العصر الراشدي ص ٢٨٥

٢٣٣ (عربي الخطاب)

لأهله قربه لأنه معلم لحلال والحرام، ومار أهل الحنة، ولأنس في لوحشة،
والصاحب في الغربة، ولحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح
على الأعداء، ولدين عند الأجلاء يرفع الله تعالى به أقومًا، ويجمعهم في الخيرة
قادة وأئمة تفتبس آثارهم، ويقتدى بمعابهم ويتبهي إلى رأيهم^(١)، وقد بقي في الشام
يعلم الدس ديهم إلى أن أصيب في طاعون عموس، فبكاه أصحابه فقس: ما
يكبكم، قالوا سكي على العلم الذي ينقطع عما عند موتك. قال: إن تعلم
والإيمان مكنهما إلى يوم القيمة، ومن اتعاهما وحدهما في لكتاب والسنة،
وعرصوا على اكتاب كل الكلام ولا تعرضوه على شيء من الكلام^(٢)، فالقرن عند
معاذ هو الميزان الذي يقس عليه كل شيء ولا يقاس هو على غيره، هذه هي منهجية
معاد في تعليمه بلقران، بقي متمسكًا بذلك إلى آخر خطة في حياته، فكان وهو في
غمرات الموت كلما أفاق فتح عينيه ثم قال، ربي خنقي حقت فوعزنت بك لتعلم
أن فبي بحيث^(٣)، وأما عدة بن الصامت رحمته، فقد وحبه عمر لفاروق إلى الشام
قاصيًا ومعلمًا، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين، فولي قضاءه، واستقر به المقام
بها، فكان أول من تولى قضاء فلسطين، وكان أيضًا يعلم أهلها القرآن، وظل على
هذا النحو إلى أن مات بها^(٤)، وقد أسهم عبادة بن صبيب كبير في تنفيذ سياسة الفاروق
رحمته العممية والتربوية واجهادية، وكان رحمته من أهل الرهد والخشونة فعندما وصل
إلى حمص قال لأهلها. ألا إن لدينا عرص حاصر، وإن الآخرة وعد صادق... ألا
وإن للدنيا نين وإن للآخرة نين فكونوا من أساء الآخرة ولا تكونوا من أساء الدنيا
فإن كل أم يتبعها سواها^(٥)، فهذه المعاني كان عمر رحمته يحرص على ترسيخها في
نفوس مسلمين، ويختار من اصحابه الكرام رحمته من يستطيع أن يذكر الناس بها
وتتجسد هذه المعاني في سيرته، وكان رحمته، بأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا
تأخذه في الله لومة لائم، فعندما كان قاضيًا في فلسطين، أنكر على والي الشام شيئًا

(١) المصدر نفسه ص ٢٨٥، حلية الأولياء (١/ ٢٣٩)

(٢) صفة الصفوة (١/ ١١) ص ٥

(٣) صفة الصفوة (١/ ٥٠١)، الأنصار في العصر الراشدي ص ٨٤

(٤) الاكتفاء للكلامي (٣/ ٣١٠).

(٥) عباد بن الصامت صحابي كبير وفاتح مجاهد، ربه الروحاني ص ٨٤

وقال: لا أسألك بأرض مرحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره، فقال: ارحل إلى مكك فقع له أرضاً لست فيها وأمثالك فلا إمرة له عيك^(١)، فعاد إلى الشام داعية ومعلماً وقادة في مجتمعه، وبعث عمر رضي الله عنه أيضاً عبد الرحمن بن عزم الأشعري إلى الشام يفتيه لاس فمعاد وأبو لدرء وعبادة رضي الله عنه هم لأعمدة الرئيسية التي اعتمد عليها عمر في تأسيس المدرسة الشامية التي قدمت بالدعوة والتعلم والتربية في تلك الديار، وكان معهم مجموعة حيرة من الصحابة الكرام، وعلى يد هؤلاء الصحب الكرام تعلم التابعون بالشام، وكانوا كثيرين إلا أن أشهرهم عند الله بن عبد الله أبو دريس اخولاني، ومكحول أبو عبد الله بدمشقي وغيرهم كثير^(٢).

٦- المدرسة المصرية:

كان في جيش عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي فتح مصر الكثير من الصحابة، إلا أنما يمكن أن نعد عقبة بن عامر رضي الله عنه أكثر الصحابة، تأثيراً في مصر في النواحي العلمية، وقد أحب أهل مصر عقبة، ورؤوا فيه، ولأمره، حتى قال سعد بن إبراهيم كان أهل مصر يحدثون عن عقبة بن عامر، كما يحدث أهل الكوفة عن عبد الله^(٣)، وتلقى المصريون العلم من صحابة، وكان من أشهرهم أبو الخير مرشد ابن عبد الله البيرني، فقد أخذ لعلم وتلمذ على يد عقبة، وشمرو بن العاص^(٤)، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنه هذه أهم المدارس التي كان لحركة الفتوحات أثر في نشأتها والتي أشرف على نواتها الأولى الفدوق رضي الله عنه، وقد كان عمر رضي الله عنه إذا اجتمع إليه جيش بعث عندهم رجلاً من أهل العلم والفتوة ليعلّم الخلد أمور دينهم وما قد يعرض لهم من الأمور والأحكام والقواعد الفقهية والقرآن^(٥)، وعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية احتاجت للمؤسسات العلمية لتربية، بنيت فقد لأمصاير الإسلامية مثل الكوفة والبصرة ونسطاص، بالإضافة إلى كونها قواعد عسكرية ومراكز تتجمع الخلد

(١) سير علام النبلاء (٦/ ١٢٢)، لأتصار في المعصر الرشدي ص ١٢٤

(٢) تفسير النعمان (١/ ٥٢٦ إلى ٥٢٨)

(٣) المصدر نفسه (١/ ٥٤٠، ٥٤١)

(٤) حسن للعاصفة (١/ ٢٩٦)

(٥) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (٢/ ٧١٢)

وأمرهم، أصبحت أيضاً مقراً لتجمع العلماء والفقهاء والوعاظ^(١)، فقد كان الفاروق يعين الدعاة والمعلمين ويرسلهم إلى البلدان المفتوحة، وقد صرح الفاروق بأن من أهم مقاصد بعث الولاة والأمراء إلى الأمصار أن يقوموا بتعليم الناس، فقد كتب لفراروق رضي الله عنه وقال اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار وإني إمام بعثتهم عليهم ليعدلوا بينهم وليعلموا الناس دينهم وسنة سيهم ﷺ ويقسموا فيهم فيهم^(٢)، وقد حرص الفاروق الأزراق من بيت مال المسلمين للمعلمين والمفتين حتى تفسرغوا لأداء مهمتهم في التعليم وإقتناء وحتى الذين يعلمون الأطباء تكفل الفاروق بأرزاقهم، فقد كان بالمدينة ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان، فكان عمر يورق كلأ منهم خمسة عشر (درهماً) في كل شهر^(٣)، فقد كان يشر التعليم من أهم أهداف الخليفة عمر بن الخطاب، فقد أرسن في البوادي والأمصار من يعلمهم دينهم، ولم يكتف عمر رضي الله عنه بجهد ولاية الأمصار في نشر التعليم، بل دعمها بالعماء الذين كان يرسلهم من المدينة، محملين بوصاياهم، فقد بعث عشرة من الصحابة رضي الله عنهم وكان فيهم عبد الله بن سفل المرني ليفقهو الناس بالبصرة^(٤)، وكذلك بعث عمران بن حصين الخراعي رضي الله عنه إلى البصرة ليفقه أهلها وكان من فقهاء الصحابة^(٥).

ويبدو أن التعليم في الشام كان أكثر مركزية من بقية الأمصار؛ لأن عمر رضي الله عنه لما افتتح بلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري، وهو على البصرة، يأمره أن يتخذ للجماعة مسجداً، ويتخذ للقائل مسجداً، فإذا كان يوم الجمعة انصموا إلى مسجد الجماعة وشهدوا الجمعة، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص، وهو على الكوفة، مثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر، مثل ذلك، وكتب إلى أمراء أجناد الشام: لا يتدوا إلى القرى ويتركوا المدن، وأن يتخذوا في كل مدينة مسجداً واحداً، ولا يتخذوا للقائل مسجداً كما اتحد أهل الكوفة والبصرة ومصر^(٦)، فقد اهتم الفاروق بالترادد العلمية المتخصصة وبعثها إلى الأمصار، وأرشد القادة

(١) مصدر نفسه (٢/ ٧١٢)

(٢) روى البيهقي (٦/ ١٢٤)، السلطة الصحفية (٢/ ٧١٦)

(٣) المصدر نفسه ص ٢٧٣

(٤) صميم رقم ٥٦٧.

(٥) عصر الخلافة لراشدة ص ٢٧٣

(٦) المصدر نفسه ص ٢٧٥

والأمراء- مع توسع حركة لفتوحات- بإقامة المساجد في الأقاليم المفتوحة لتكون مراكز للدين الجديد، ومراكز للعلم والمعرفة ونشر الحضارة الإسلامية، فقد كانت المساجد هي المؤسسات العممية الأولى في الإسلام، ومن خلالها تحرك عمماء الصحابة لتعليم الأمة وفق الخطة الاستراتيجية التي سار عليها الدروق والتي وصفت منذ عصر النبي ﷺ، وقد وصلت المساجد التي صلى فيها الجمعة في دولة عمر رضي الله عنه إلى اثني عشر ألف منبر^(١)، وكانت تقوم بدورها في تعليم الناس وتربيتهم وتهذيب نفوسهم، وعندما احتاج المسلمون إلى فصل مكان تعليم صبيان عن المساجد أمر عمر رضي الله عنه ببناء بيوت المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم^(٢)، وشجع الفاروق الطلاب على تنقي العلوم ويسر سبلها لهم، وأعطاهم المكافآت المالية تشجيعاً لهم، فقد كتب إلى بعض عماله بمنح أجوات تشجيعاً للمتفوقين، وقد تجلّى ذلك في أمره نُسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بأن يعطي من يتعلم القرآن مما بقي من المال^(٣)، وهذا التشجيع من الدروق لأنشاء لأمة- لذين إن تفرغوا لتعلم كتاب الله وحفظه فمن يحدوا إلا العون والتشجيع وخصوصاً في الأقاليم التي أهدبها حديثو عهد بالإسلام- بفجر الصدقات بكامنة فيها من مقدرة أبنائها على حفظ وفهم كتب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد كان عمر رضي الله عنه يهتم بكافة العلوم التي لها علاقة بالقرآن والسنة وخصوصاً اللغة العربية، ومن أقواله في ذلك: تعلموا العربية فإنها تشبب العقل وتريد في المروءة^(٤) وقوله: تعلموا النحو كما تتعلمون السنن وأعراف^(٥)، وقوله: تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه^(٦)، وقوله: شر الكتابة المشق^(٧)، وشر القراءة الهلزمة، وأجود الخط أبه^(٨)، بل نجد أن الدروق يعاقب من يخطئ في لغة وهو في مكتب مهم يسعى أن يكون فيه مجيداً لما كلف به وتحمله، فقد ورد أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاباً،

(١) نظام الحكومة الإسلامية (٢/ ٢٦٢)

(٢) نسخة السنية (٢، ٧٦٨)

(٣) أشهر مشاهير الإسلام (٢/ ٥٤٠، ٥٤١).

(٤) البيان والبيان للجاحظ (٢/ ٢١٩).

(٥) المتن: تعلموا النحو كما تتعلمون حفظه (٦)

(٦) ألف باء لبطلاني (١/ ٤٢) أولويات الدروق ص ٤٥٨

(٨) تاريخ طبري لسيوحي ص ١٥٢

فكتب إليه عمر. إن كانتك الذي كتب إليّ لحى فاصربه سوطاً^(١)، وقد روى ابن الجوزي أيضاً أن كاتب عمرو بن لعاص كتب إلى عمر فكتب. سم الله، ولم يكتب السين، فكتب عمر إلى عمرو: أن اضربه سوطاً، فضربه عمرو، فقبل له: في أي شيء ضربك؟ قال في سين^(٢).

إن الفاروق رضي الله عنه كان حريصاً على بقاء كل شيء، ولذا لم يترك أمراً من الأمور التي تتصل بالسياسة أو الاقتصاد أو الحيش، أو التعليم، أو الأدب، أو غير ذلك مما يتصل بحياة الأمة ومجدها وعزتها وقوتها وحضارتها إلا أبدع فيه وأعطاه اهتمامه، ويدنا ذلك على شمولية سياسته وحسن رعايته للأمة باستعمال أشد في موضعها، ولين في موضعه، والحفاظ على أن يكون مستوى الكتابة بين الولاة على مستوى الفصحى في أمة دستور القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين^(٣).

كانت خيف المؤسسة العسكرية التي قامت بفتح العراق ويران والشام ومصر وبلاد المغرب، كواد علم، وفقهاء ودعوة متميزة تربت على يدي رسول الله ﷺ في المدينة، وقد استند الفاروق من هذه العداقات فأحسن توجيهها ووضعها في محلها، فأسست تلك الكوادر الحركة العلمية والفقهية التي كانت مواكبة حركة الفتح، واستطاع علماء الصحابة الذين تفرعوا بدعوة لئاس وربييتهم أن يشعروا حياءً من العارفين بالدين الإسلامي من أبناء المذاهب المفتوحة، وقد استطاعوا أن يتعبوا على مشكلة إعاقه حاجز اللغوي، بل تعلم الكثير من الأعاجم لغة الإسلام، وأصبح كثير من رواد حركة العلم بعد عصر الصحابة من العجم، لقد أثرت مدارس العلمية والفقهية في المناطق المفتوحة، وشكلت جيلاً من العلماء نقلوا إلى الأمة علم الصحابة وأصبحوا من صميم سلسلة السند التي نقلت للأمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويرجع الفصل - بعد له - في نقل م ت لفظاء لصحابه من علم من لرسول ﷺ بالدرجة الأولى إلى مؤسسي المدارس العلمية، بمكة والمدينة، والصره، والكوفة، ومصر وغيرها من لأقطار^(٤).

(٣) أولويات الفاروق ص ٤٥٨

(١) مناقب أمير المؤمنين لأبن الجوزي ص ١٥١

(٤) الدور السياسي للصعوة ص ٤٦٢ إلى ٤٦٣

وقد اهتم الفاروق بأولئك لعلماء والعقهاء وتابع أحوالهم وسعيهم، حتى برك الله في جهودهم وأثمرت تلك الثمار، فأصبحت ياتعة.

ثالثاً: الفاروق والشعر والشعراء:

يظهر من الأخبار التي وصلتنا أن الحركة الشعرية، كانت مشطة في المدينة أيام عمر ابن الخطاب، حيث لا يحلو كتاب في تاريخ الشعر العربي من ذكر عمر بن الخطاب، وبخاصة في موضوع النقد الأدبي. وانتشار الآراء النقدية في زمة دليل على وجود السماع أو الرواية، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد في الأسانيد على الموثوقين من الرواة، ولكن تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التي تتصل بالخلفاء الراشدين، والصحابة بعامة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما عدا بعض الأراخير التي كانت تردد في لعهد النوي ورواتها كتب الحديث الشريف^(١)، ونحو أبيات للسانة الحمدي^(٢) وأمية بن أبي الصلت وحسان بن ثابت^(٣)، فالمراجع في ما يتعلق بالشعر والشعراء في عهد عمر هي كتب الأدب والأدباء، فهي غيبة في هذا الباب.

١- عمر والشعر:

كان عمر رضي الله عنه أكثر الخلفاء الراشدين ميلاً لسماع الشعر وتقويته، كما كان أكثرهم تمثلاً به، حتى قيل كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أشد فيه بيت شعر^(٤) . روي أنه حرق يوماً - وقد لسس برداً حديداً فنظر إليه الناس نظراً شديداً، فتمثل قائلاً:

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
أين الملوك التي كانت نوازلها من كل أوب إليها راكب يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب لأبد من ورده يوماً كما وردوا^(٥)

(١) مجمع الزوائد (١٢٦/٨)

(٢) نونية البوية فجر الإسلام (٩٨/٢)

(٣) الأيض للمحافظ (٢٤٦/١)، الأدب في الإسلام، تأليف معروف ص ١٦٩

(٤) الأدب في الإسلام د. تأليف معروف ص ١٧٠.

ويروي الإمام الشافعي - رحمه الله - أن عمر كان يحرك في محسر ويقول:
ليك تغدو قلقاً وضيقاً مخالفاً دين النصاري دينها^(١)
والبيت لواحد من نصاري لحيان أسلم وقد ذهب يجمع.

وقيل لامرأة أوسية حكيمة من العرب بحضرة عمر رضي الله عنه: أي منظر أحسن؟
فقالت: قصور يضر في حدائق خضر، فأنشد عمر رضي الله عنه لعدي بن زيد:
كدمي العجاج في المحاريب

أو كالبيض في الروض زهره^(٢) مستثير

وعن ابن عباس قال: خرجت مع عمر في بعض أسفاره فإذ لسير ليلة، وقد
دنوت منه إذ ضرب مقدم رجله بسوطه. وقال:

كلبتم وبيت الله يقتل أحمد
ولما نطاعن دونه وناضل
وقال أيضاً:

وما حملت من ناقة فوق رحلها
وأكسى لبرد الخصال قبل ابتذاله
وأعطى لرأس الساق المتجرد^(٣)

ويلاحظ الدخيل أن محفوظ عمر من الشعر - قديمه ومعه - كان طبعاً له،
كما ينبئ عن حافظة استوعبة لحزونها، مصفحة له؛ إذ كان على طرف لسانه ما
يناسب وقائع يومه في بديهة حاضرة وحافظة سريعة، بل إنه حفظ من الشعر ما
صدر عن ضعيقة للإسلام، فأسمع حسن بن ثابت ما قلته هـ بنت عنتة ضد حمزة
والمسلمين^(٤)، مما هيج حسان للرد عليها.

وبهذا يمكننا أن نقول: إن عمر كان مرهف الحس، رقيق الشعور، يتذوق الشعر
ويرويه، ويبدى فيه رأي صادقاً، بيد أنه لم يكن شاعراً، كما يرى بعض الدخيلين،
وما قيل من أنه شاعر لا يسلم به النقاد والأدباء المنصفون؛ لأنه عدس في قومه كتاباً

(١) مسند الشافعي ص ١٢٢ نفاً عن عمر بن الخطاب د أبو النصر ص ٢٠٩.

(٢) انصهر نفسه ص ٩٠، أدب الإملاء للشمعاني ص ٧١.

(٣) عمر بن الخطاب ص ٢٠٩ محمد أبو النصر

(٤) تاريخ الطبري (٢١٨/٥).

مفتوحاً، لا يستتر مهم في شيء، وكانت له مجالسه التي تجمعها وغيره من أسام، ولو كان عمر شعر لرواه عنه هؤلاء ورددوه وأداعوه فيم بينهم، ووصل إلينا عن طريق الرواة كم وصلت إلينا سيرته وحياته، كما أن النقاد لا وتل لم يدكروا أن عمر كان شاعراً، فلم يذكره بن سلام في طبقاته، ولا بن قيس في كتابه الشعر ولشعراء، كما لم يذكره الجاحظ في كتاباته نتي عني فيها بكثير من بلاعة عمر وأدبه^(١)، وقد ذكر المبرد في خسر عمر ومتمم بن نويرة - في رثائه الأخير - ماله أن نويرة قود عمر لمتهم: نوكت أقول الشعر - كما تقول - لرثيت أحي كما رثيت أخاك^(٢)، وكان يوجب من أشعر ما يعبر عن جوهر الحياة الإسلامية، ويصور مبادئها، ولا تتعارض مع معاني الدين الحديده، أو تعارض قيمه وكان يحث المسلمين على تعلم الشعر الحميل فيقول: تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغي، ومسوى تنقى، وحكمة للحكماء، ويدل على مكارم الأخلاق^(٣)، وكتب لأبي موسى الأشعري ولبه على العراق: مَرَّ من قلبك بتعلم شعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصور الرأي، ومعرفة الأنساب^(٤)، ولا يقف عند هذا الحد فحسب، بل يراه مفتاحاً للقلوب ومحركاً شاعر الخير في الإنسان، فهو يقول في قصبه ونفعه: أفصل ساعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته، يستعطف بها قلب الكريم ويستميل به قلب اللئيم^(٥). ولكي تكتمل تربية الأبناء يوجه الآباء ليرثوا أولادهم محاسن شعر، فيقول علموا أولادكم العوم والرمابة، ومروهم فليشبووا على الخيل وثأ، ورووهم ما يحمل من لشعر^(٦)، ويظهر حرص عمر على الشعر الجاهلي شديداً، لما لذلك من صلة بكتاب الله حين يقول: عليكم ديوانكم لا تصلوا. فقال له سامعوه وما ديوان؟ قال: شعر جاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم^(٧)، وهذا يتفق مع موقف تلميذه ترجمان القرآن عبد الله بن

(١) المصدر ص ٢١٠.

(٢) أدب الإملاء لسبعاني ص ٧١.

(٣) الأدب في الإسلام د. ثابت معروف ص ١٧١.

(٤) الكامل في الأدب (١) / ٣٠٠.

(٥) العمدة لأبي رشيق (١) / ١٥.

(٦) الكامل في الأدب (١) / ٢٢٧.

(٧) المعجم الكبير للطبراني (٧) / ١٢٩، الأدب الإسلامي ص ١٧١.

عباس الذي يقول: إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب. فإن الشعر ديوان العرب^(١). وكان عمر رضي يرى أن الشعر كان أصح العلوم عند احاديثيين، فقد ورد أنه قال: كان الشعر علم القوم، ولم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاعتلت عنه العرب بالجهاد وغزو الروم ولهيت عن الشعر وروايته، فما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب في الأمصار، راجعوا رواية الشعر فلم يثولوا إلى ديوان ملون، ولا كتاب مكتوب وأنفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عنهم أكثره^(٢).

وقد كان رضي يحب من الشعراء من ملأ الإيمان قلبه، وعمر وجدانه يمثل الإسلام اربعية، وقيمه السامية، وترجمها شعراً ينم عن التدبّر الحق، ويصور الأخلاق الفاضلة، التي حث الإسلام عليها، وطالب أتباعه باعتمادها، أما ما عدا ذلك مما يتعارض مع هذه المبادئ وتلك القيم، فإن عمر كان يلقطه ويأناه، ويقف من أصحابه موقفاً متشدداً، يؤازره في ذلك حسه الرهيف، ودوقه الرفيع، الذي ينفذ إلى أعماق النص الأدبي يكشف عما فيه من قيم شعورية تتماشى مع الإسلام ولا ترفضها تعاليمه^(٣).

٢- الماروق والخطبة والزبرقان بن بدر:

روي أن لشاعر الخطبة - أبا مليكة - حرول بن أوس من بني قطيعة بن عسي، كان في طريقه إلى العراق فراراً بأهله من الجذب، وطلباً للعيش، فلقى الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن حلف التميمي السعدي^(١) وكان في طريقه إلى عمر بصداقات قومه، وعرفه الزبرقان فحادثه، وعلم بحاله، فطلب إليه أن يترك قومه، ويتطرق أوبته، فزل الخطبة بهم، لكن بغض من عامر بن شماس بن لؤي من جعفر أنف الباقية، وكان حصناً للزبرقان، استطاع أن يفلسه عليه، وأن يضمه إليه، وأن يعريه

(١) الأدب في الإسلام ١٧٦، الممثلة (ابن دحيق) ١٧ / ١٧

(٢) طبقات الشعراء ابن سلام ٢٥ / ١، أدب صدر الإسلام ص ٨٧

(٣) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر ص ٢١٨

(٤) المصنوع منه ص ٢١٩

بالبرقان، فتدفع يهجوهم ويمدح بني نفع لئلا تارة، وبلغ هجوه قصائد عدة دفع
البرقان من مدر واحدة منها إلى عمر، يقول فيها الخطيئة:

ما كان فنب بغيض لا أبا لكم في بائس جاء يحدو آخر الناس
لقد مريتكم لو أن درتكم يوماً يحيى بها مسحي وإيساسي^(١)
إلى أن قال:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
ما كان ذنبي أن قلت معاولكم من آل لابي صفاة أصلها راسي
قد ناضلوك فسلوا من كدنتهم مجدداً تليداً ونبلأ غير أنكاسي^(٢)

ثم رفع أمره إلى عمر وأتاه به وقال له هجائي قل. وما قال لك؟ قال. قد
لي دع المكارم لا ترحل لبغيتها. إلح الأبيات. فقال عمر. ما أسمع هجاء
ونكها معاتمة، فقال الزبرقان: أو ما تبلى مروءتي إلا أن أكل وألست؟ فقال عمر
عليّ بحسان، فحيى به فسأله، فقال لم يهجه، بل سلع عليه، فسجبه عمر^(٣) وكان
عمر يمتنع أعلم الناس بالشعر ونكها هـ في مقدم القضاء فاستدعى أهل التخصص
ليحكموا ثم أصدر بعد ذلك حكمه، ويقول العقاد عن عمر في هذه القضية: (. . .
فنسي أنه الأديب الراوية، ولم يذكر، لا أنه لقاضي، الذي يدرأ الحدود بالشبهات،
ولا يحكم بما يعلم دون ما يعلمه أهل الصاعقة)^(٤)، وحيما شعر الخطيئة بمرارة
السجن أخذ يستعصف عمر بآهيات يمي ما سب إليه، وذلك على طريقة الناعة في
اعتذارياته للنعمان بن المنذر، حين يقول:

(١) الإيساس: وهاء الناقة بقولهم، يس يس طيباً لإدراؤهم

(٢) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر، ص ٢٢٠.

(٣) سلع، فحرق، الأدب في الإسلام، ص ١٧٢

(٤) حشرية عمر، ص ٢١٦

أعوذ بجدك إني امرؤ سقتني الأعادي إليك لَحْالاً
ولا تأخذني بقول الوُضْأة فإن لكل رَمَـان رجلاً
فإن كان ما زعموا صادقاً فسبقت إليك نسبي رجلاً^(١)
حواسر لا يشككين الوَجَا يُخَضِّضْنَ آلا ويرفعن آلا^(٢)

فلم يتجبر عمر لاعتذاره، حتى قال أبياته العاطفية المؤثرة الرائعة التي يقول فيها^(٣):

ماذا تقول لأفراخ بلدى مرخ رغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاعفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى البشر^(٤)
لم يؤثروك إذا ما قدموك لها لكن بث استأثروا إذ كنت الأثر
فأمنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر
أهلي فساؤك ما بيني وبينهم من عرض داوية تعمى بها الخبير^(٥)

فكفى عمر تأثراً مما سمعه، وأمر بإطلاق سراحه، وعملاً على حلم سانه، فقد اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم فعدل الخطيئة متشاكياً في ذلك.

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتماً يضر ولا مديحاً ينفع
وحميتني عرض اللثيم فلم يخف ذمي وأصبح أمّا لا يفزع

ويبدو أن الخطيئة لم يقتنع في قرارة نفسه بوجوب هجر الهجاء نهائياً، فاستدعاه عمر، وأجسسه بين يديه، وهدده بقطع لسانه، فعاد الخطيئة: يا أمير المؤمنين، إني والله قد هجوت أبي وأمي، وهجوت امرأتي وهجوت نفسي، فتسم عمر ^{بنيته}، وعمه ^(٦)، وانتهى الخطيئة عن الهجاء في زمن عمر، وهناك حادثة أخرى بمثلية

(١) رجلاً أي راجلة. (٢) الموجد: الجعد. (٣) التكميل في الأدب (٢/ ٧٢٥)
(٤) النهى: النهي. (٥) اللداية: الغلاء الواسعة. (٦) التكميل في الأدب (٢/ ٧٢٥)

ذكرها صاحب (زهر الآداب) حيث قال: كان بنو العجلان يصحرون بهذا الاسم ويتشرفون بهذا الوسم إذ كان عبد الله بن كعب حدهم، لما سمي العجلان لتعجيله الفري للصيف. فكان شرفاً لهم حتى قال النجاشي - واسمه قيس بن عمرو بن كعب - يهجوهم بقصيدة منها:

أولئك أخوال اللعين وأسرة الهجين ورهط الواهن المتذلل
وما سمي العجلان إلا لقسوله خد العقب واحلب أيها العبد واعجل
ورعيت الرواة أن بني العجلان استعدوا على النجاشي - لما قال هذا لشعر -
عمر بن الخطاب بمقتله فحسه وقيل جلده^(١)، وخليقة عمر بن الخطاب يعاقب على
شعر بهجاء، وليس لأمر كذلك فحسب، وإنما كان يعاقب على أنواع أخرى من
الشعر منها: التعرض لأعراض المسلمين، إثارة الشحناء وتعضد بين المسلمين،
التعرض لنساء المسلمين، وقد فصل ذلك الدكتور واضح الصمد^(٢).

٣- الشعر يحول حزم عمر إلى لين وشفقة:

كان أمية بن الأسكر الكناسي، وكان سيذاً من سادات قومه، وله من اسمه كلاب
هاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأقام بها مدة، ثم لقي ذات يوم
طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فسألهما: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقال
له: الجهاد، فسأل عمر فأعراه في الحيد لعمري إلى لفرس. فقام أمية وقال لعمر: يا
أمير المؤمنين، هذا اليوم من أيامي ولولا كبر سبي، فقدم إليه ابنه كلاب وكان عادداً
راهداً، فقال: لكبي يا أمير المؤمنين أبيع لله نفسي وأبيع ديني بأحزني فتعلق به أبوه
وكان في ظل محل له وقد لا تدع أمك وأمث شيخين ضعيفين ربيك صغيراً حتى
إذا احتجنا إليك تركتهما. فقال: نعم أتركهما لما هو خير لي، فحرح عارياً بعد أن
أرضى أماء فأبطأ، وكان أبوه في ظل محل له، وإذا حمامة تدعو فرخها، فرأه
الشيخ فبكى، فرأته المعجوز فبكى، وأنشأ يقول:

(١) زهر الآداب للبرواني (١/ ٥٤)، الأدب في الإسلام ص ٩٢

(٢) أدب صدر الإسلام د. واضح الصمد ص ٩٢، ٩٣

لمن شيخان قد نشدا كلاها
كتاب الله لسو قبل الكتابا
أباديه فيعرض في إساء
فلا وأبي كلاب ما أصاب
لدا هتفت حمامة بطن وج^(١)
على يفضانها ذكراً كلاها
فإن مهاجرين تكمساء
ففارق شيخه حطاً وخابا
تركت أبك مرعشة بداء
وأماك ما تسيف لها شرابا
وتجنبه أبا عرها لصعابا
يطارق^(٢) أينما^(٣) شرباً^(٤) طراب
أثرون بكل رايية تراب
إذا ارتعشن أرقلا^(٥) مسراها
على حزن ولا يرجو الإياب
طويلاً شموقه ييكك فرقاً
فبك والتماسر الأجر بعدي

وكان أمية قد أصر (أي عمي) فأخذه فائده بيده ودخل به على عمر وهو في المسجد فأشده:

أعادل قد عدلت بغير علم
وما تدرين عاذل ما ألقى
فأما كنت عادلي فـردى
كلاباً إذ توجه للمرقى
ولم أقص اللبانة من كلاب
غداة غد وأدن بالفراق
فتى الفتيان هي عسر ويسر
شديد الركن في يوم ثلاني
فلا وأبيك ما باليت وجدي
وإفادي عليك إذا شتونا
ولا شفقي عليك ولا اشتيفي
ولو خلق الفزاد شديد وجد
وضمك تحت نحري واعتناقني
لهم سود قبي بانفلاق

(١) اسم ولد بالطاعب. (٢) يطارق يضرب. (٣) أينما. جمع ناه. (٤) شرباً: ضامراً. (٥) الإرقال: السير السريع. (٦) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر من ٢٢٦

سأستعدي على الفاروق رباً
له دفع الحجيج إلى باق^(١)
وأدعو الله محتهداً عليه
بعضن الأخشين^(٢) إلى دقاق^(٣)
إن الفاروق لم يردد كلاباً
على شيخين هامهما زواق^(٤)

فكفى عمر بكاءً شديداً وكتب إلى أبي موسى يأمره بإشخاص كلاب، فرحله على الفور. فقدم على عمر، فأمر به فأدخل ثم أرسل إلى أمية، فتحدثت معه ساعة ثم سأله ما أحب الأشياء إليه في يومه، فقال: كلاب أحب أنه عندي فأشبهه، فأمر بكلاب فأخرج إليه فوتب الشيخ، فجعل يشم ابنه ويكي، وجعل عمر يركب يكي^(٥)، والحاضرون كذلك وقالوا لكلاب: الرم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شاك بفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرفه مع أبيه، وتعت الركبان شعر أبيه فلفه، فأنشأ يقول:

لعمرك ما تركت أبا كلاب
كبير السن مكتئباً مصاباً
وأماً لا يزال لها حنين
تنادي بعد رقدتها كلاباً
لكسب المال أو طلب المعالي
ولكنني رجوت به الثواب
وكان كلاب من خيار المسلمين فلم يزل مقيماً عندهما حتى ماتا^(٦).

وهناك حادثة مشبهة حيث هاجر شياب بن المحجل السعدي (الشاعر المعروف) وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب انقرس، فحزغ عليه والده (المجل) جزعاً شديداً، وكان قد أسن وصعف، فلم يملك الصبر عنه، فأشد قصيدة يقول فيها

أبهلكي شياب في كر لينة
لعلني من حروف المراق وحب
دبي حنت ظهري حطوب ألا ترى
أرى الشخص كدشخصين وهو قريب
ويحسري شيبان أن لن يعفي
تُعق إذا فارقتني وتحبوب^(٧)
فلا تُدخل الدهر قبرك حوبة
يقصوم بها يوماً عليك حبيب^(٨)

(١) موضع. (٢) دقاق: أشرف على اللوت.
(٣) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص ٢٢٨
(٤) الحربة: القندب

(١) جين عرفت (٢) جبال بكة.
(٥) الأندلس الإسلامي د. داهم معروف ص ١٨.
(٧) محروب: قاتل.

عمر بن الخطاب ٢٤٧

فلما سمعها عمر رق له وبكى، وكتب إلى سعد بأن يرجع شيبان، فردّه إلى أبيه^(١)، ولم تكن هذه الحادثة هي الأخيرة من نوعها حيث يتأثر عمر بالشعر بل يُذكر له حوادث مماثلة منها: هاجر خراش بن أبي حراش الهذلي في أيام عمر بن الخطاب، وعزّ، مع المسلمين فأوّل في أرض العدو فقدم أبو حراش المدينة، فجلس بين يدي عمر وشكا إليه شوقه إلى أبيه وأنه رحل قد يقرص أهله وقتل إحوته، ولم يبق له ناصر ولا معين غير أبيه خراش، وقد غزا وتركه، وأنشأ يقول:

ألا من مبلغ عني خراشاً	وقد يأتيك بالبا البعيد
وقد تأتيك بالأخبار من لا	تجهر بالحذاء ولا تزيد
تناديه ليحسبه كليب	ولا يأتي لقد مفه الوليد
فرد أناءة لا شيء فيسه	كأن دموع عينيه الفريد
وأصبح دون غابقة وأمى	جبال من حرار الشام سود
ألا فاعلم خراش بأن خير	المهاجر بعد هجرته زهيد
رايتك وابتعاه البرّ دوني	كمخضوب اللبان ولا يصيد ^(٢)

فتأثر عمر، وكتب بعودة خراش إلى أبيه، وأمر بأن لا يعرف من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له^(٣).

وهكذا نلاحظ تأثر أمير المؤمنين بالشعر، ولشدة تأثره يبكي، وهو الذي اشتهر بالشدة والجرم، وهذا يدل على إحساسه المرفف وشعوره الإنساني، حيث يشارك الأبناء العاجزين نوحهم وحاحتهم إلى أساتهم، وكذلك يشارك كل إنسان مظلوم أو مغلوب على أمره، ما يتناه من أحاسيس ومشاعر وقد مرّ معنا موقفه من شعر الهجاء^(٤).

٤ - نزعته النقد الأدبي عند عمر:

كان عمر من الخطباء من أشد الناس تأثراً برسول الله ﷺ حتى في نظراته إلى

(٢) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص ٢٣

(٤) أدب صدر الإسلام ص ٩

(١) أدب صدر الإسلام، ص (٩٠).

(٢) الألفي للأصمعي (١٣/ ١٨٩)

لأدب، وفي حكمه على الشعر والشعراء، وقد أثرت عنه آراء وأحكام نقدية لمصوص أدبية كثيرة، ومعظم هذا المروي - نقل عنه - وهو حليقة - أي في السوت بعشر لأخيرة من حياته، وهي آثار تصور في حملتها مدى تقديره للأثر الأدبي عندما تكتمل له (نظرية الكمال) التي يراها عمر، والتي هي لديه نتاج ثقافة العمر في تلك المرحلة المصاحبة، لذا يسفي أن يحيط بالروايات التي أصقلت حسه النقدي، وممت ملكة النقد عنده واصعين في الاعتبار حياته بشطريه الجاهلي والإسلامي على هذا النحو:

- كان عمر في جاهليته واحداً من المسئولين عن صيانة القيم الجاهلية، وكانت له مكانته في قريش، وقريش آنذاك محط أنظار العرب وملتهقى أفئدتهم، وكان كذلك في الإسلام في عصر الخلافة.

- كان عمر حبيراً بالشعر العربي جاهليته وإسلاميه، مشوعباً لما قاله المشركون والمتردون وأعداء الإسلام من شعر ضد هذا الدين الخنيف.

- كان عمر عليمًا بأحوال العرب في اخاهية وإسلام - عقيدة وتاريخاً وأنسناً وسلوكاً وعلمًا، وقد أثار له علمه بهذه الأشياء طريق نقد الكلام وإبداء الرأي فيه.

- حرص عمر منذ نشأته على عشيان المجالس الأدبية، التي لم تحل من المسامرة وإنشاد الشعر ومطارحة لأدب وتذوقه وإبداء الرأي فيه، حتى إذا أسلم عمر أصبح يعدُّ محالسة الرجال، الذين يتقون أطايب الحديث كما يتقن أطيب الشعر، إحدى ثلاث نواعه في الدنيا بعد الصلاة والجهاد في سبيل الله، كما كان عمر واحداً من سمار النبي ﷺ، وقد أقام وهو خليفة رجة في ناحية المسجد سميت الطحاه كان يرتادها محبو الشعر وطلابه^(١).

- كان عمر صاحب رسول الله ﷺ بقدرح المعلى وانظر الذقب والالمعية الهادفة، والذكاء الخارق المصحوب بالإلهام، والشفافية اسصرة، بما يجعله يصب معنى فلا يكاد يخطئه، وهو بحسب ذلك موفور الإحسان بما يقرأ أو يسمع، شديد الذوق للنص الأدبي وما احتوى عليه من قيم جمالية أو شعورية، وذلك لقرط

(١) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص ٢٤٤

عمر بن الخطاب ٢٤٩

إحساسه به وإدراك كنهه وعيانيته^(١)، فقد كان عيشه تأخذ المعاني الهادفة بمجامع نفسه، فترضى بها نفسه، ويفصح عن إعجابه بها وتقديره، فقد روي أن متمم بن نويرة رثا أخاه مالكًا، الذي نقي حنقه على يدي حنود خالد بن الوليد في حروب الردة، فلم ينتهى متمم إلى قوله:

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه حلو شمائله هفيف المئزر

قام إليه عمر فقال: لو ددت أني رثيت أخي زيد بن الخطاب بمثل ما رثيت به مالكًا أحاك فقال له: يا أبا حفص، والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته. فقال عمر: ما عزاني أحد بمثل تعزيتك^(٢).

ومن هذا المطلق في فهم النص وتقدير حيويته، كان عمر يرتفع بقيمة النص الأدبي البليغ، ويسمو به، إلى منزلة لا تدانيها قيمة كوز الدنيا العبدية، روي عنه عيسى أنه قال لبعض ولد هرم بن ساد: أشدني بعض ما قال فيكم رهير، فأشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، فقال: يا أمير المؤمنين، إنا كما يعطيه مسحر، فقال عمر: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم^(٣) هذه هي الروايد التي عدت دوق عمر نصي وصقلت منكنه الساقدة، وجعلته يتنوا هذه المكانة الأدبية في عصر صدر الإسلام^(٤).

وأما المقاييس التي أخذها عمر في إثارة بعضا على بعض، أو تقديم شاعرا على غيره، فإنها مقاييس الشكل وهي:

- سلامة العربية: فقد كان دوقه مطوعا على سلامة الفصحى وصحتها، يتأفف من اللحن، وينهر منه، وكان للحن في العبارة كافيًا لأن يسقط النص ويرفضه، بل ويعاقب من يقع منه اللحن^(٥).

(١) تلخيص عنه السابق ص ٢٤٦

(٢) تلخيص عنه ص ٢٤٧، الكامل للبهرد (٢/ ٣٠)

(٣) المدينة النبوية ص ١١٠٦، وقصص الرشدي (٢/ ١٠٦)

(٤) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر ص ٢٤٨

(٥) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص ٢٤٨.

- أنس الألفاظ والبعد عن المعازلة والتعقيد:

روي أن عمر رضي الله عنه كان يقدم رهيراً، ويستحسن شعره، ويعلل لهذا الاستحسان، بأنه كان لا يعاطل بين الكلام ولا يتسع وحشيته، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه^(١) والمعازلة. أن يعتقد لكلام ويوالي معضه فوق بعض حتى يتداخل ويعمض، وحوشي لكلام. وحشيته وعريته^(٢)، وهذا الأثر يوضح أصول الشعر لذي يرمى عنه الإسلام. وهو الشعر لوضح المعنى، تقرب لمفردات، الصادق البعيد عن المبالغة. لأن الشعر يدعو إلى قضية، ويخاطب جمهور الناس، ولا بد أن يكون مهوماً^(٣)، والتحذير بالذكر أن عناء البلاغة، الذين دونوا أصول هذا العلم فيما بعد، لم يخرجوا في صاحتهم عن فصاحة المفرد وبلاغته و لكلام وفصاحته، عما قال عمر في هذا الصدد، اللهم إلا ما اقتضاه التصنيف من منهج وتنظيم وتبويب عند بعضهم^(٤).

- الوضوح والإبانة:

فقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنه قد معني من بعض ما أردت الكتاب به، قلة علمي بما هجتم عليه، والذي استقرّ عليه أمر عدوكم، فصف لنا سائر المسلمين، والبلد لذي بيسكم وبين المذائن صفة كأني أظر إليه، واحمدي من أمركم على الخلية^(٥).

وهذه الكلمة الأخيرة (واحمدي من أمركم على الخلية) تثير بحلاء إثارة عمر ابوضوح والإبانة في الكلام، كما تصور إثارة الصدق فيه، وهذا مقياس بقدي دقيق كما كتب إلى كل قضائه يناشدهم الإيضاح في التعبير عن فهم مسائل القضاء: ... افهم افهم فيما تلحح في صدرك، وقال عن أمر أراد أن يحط به: وكب رويت مدلة أعجبتني. وهكذا يرى عمر أن الكلمة وسيلة إفهام وأداة هدي وبيان، وليست سبيلاً إلى الإغراب والتعمية، ومن ثم أكر التشاؤم والتعقيد^(٦).

(١-٢) المذهب النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (١٠٢/٢).

(٤) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص ٢٥٠.

(٥) مجموعة الوثائق السياسية ص ٤١٤.

(٦) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص ٢٥١.

- أن تكون الألفاظ بقدر المعاني:

ومن مآثور كلامه من ذلك قوله إياك والمكاملة^(١) قد الإمام الدارمي يعني في الكلام أي: المزايدة فيه، فعمر إذن يريد العد عن فصول القول؛ لأنه ضياع لمضمون الفكرة وتبدل لها ولا يخلو من تكرار ممل وترداد مكروه، فوق كونه يفقد روعة النص ويذهب بجماله^(٢)، قد عمر رحمه الله إن شقائق الكلام من شقائق اللسان فأقلوا ما استطعتم^(٣).

- جمال اللفظة في موقعها:

كان رضي الله عنه ينصر من اللفظة التي أقحمت في غير مكانها اناساً؛ لأنها تشي بالمعنى وتذهب بروق الكلام وبهائه، ومن ذلك قوله لسحيم عبد بني الحسحاس بصدد تعقيبه على بيت له يقول فيه:

عميرة ودع أن تجهزت غادياً كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

فقال عمر رضي الله عنه : لو قدمت الإسلام على الشيب لأجرتك؛ وذلك لأن عمر أدرك بذوقه، الذي صمغه الإسلام ونمائه، أن الإسلام في نفس المؤمن، أقوى رجاً من قبل الشيب ومن بعده. . . وجدير به أن يقدم في النص تمثيلاً مع أهميته وتأثيره في النفوس، وهذا ما نأى عنه البيت^(٤).

- حسن التقسيم:

كما كان عمر يعلن عن إعجابه الشديد بما في البيت من جمال في يرضي الأذواق والعقول على السواء ويشرح هذا لإصحاب في ترديده البيت، ترديداً يسم عن حسن تدقيق، وعمق إحساس بما في النص من جمال. وما يدل على ذلك ما روي من أن عمر أنشد قصيدة عبدة بن الطيب، التي أولها:

(١) سنن الدارمي (٩/١) نقلاً عن عمر بن الخطاب، أبو النصر ص ٢٥٢

(٢) عمر بن الخطاب، أبو النصر ص ٢٥٢

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (١١٢/٣).

(٤) المدينة النبوية، شرآب (١-٢/٢)، عمر بن الخطاب، أبو النصر ص ٢٥٣

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
علما بلغ المنشد قوله:

والمرء سئاع لأمر ليس يدركه والعيش شح وإشفاق وتأميل
قال عمر متعجبا: والعيش شح وإشفاق وتأميل، يعجبه من حس ما قسم وما
فصل^(١).

ولما أنشد عمر قول زهير بن أبي سلمى:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفاذ أو جلاء
فذلكم مقاطع كل حق ثلاث كلهن لكم شفاء^(٢)

فهو يريد أن الحقوق إنما تصح بواحدة من هذه ثلاث. يمين أو محاكمة أو حجة
بينة واصحة، وسُمي زهير (قاصي الشعراء) بهذا البيت فكان عمر يوقّ يتعجب
من معرفة زهير لمقاطع الحق مع أنه جاهلي، وقد جاء الإسلام وأكد تلك المقاطع^(٣).
وهناك مقاييس أخرى كان عمر يؤثرها في مصموم الأدب، ويوحه بها الأدباء
وجهة جديدة، سمع من الدين والخلق، ويمكن أن تصاف إلى المقاييس المية السابقة.
حتى يمكن أن تعطي القارئ تصورا لمقاييس نقد الأدب في عصر عمر ممثلة في
تعبيرته وتأثيراته منها: لصدق في الترجمة عن الخواطر وتصوير العواطف النبيلة،
كان مما يستحسسه عمر ويأثّر إيمانه، وعصر الصدق هذا هو الذي جعله يعجب
إعجابا شديداً بقصيدة المنجبل العدي، وأمية بن الأسكر الكندي كما كان عمر يؤثر
في المعنى أن يكون جديداً مستكراً يناسب الدين ويتمشى مع أخلاقه وآدابه، وأن
يصاغ هذا المعنى صياغة محكمة، وأن يعبر عنه في تصوير حميل وبيان حسن، وكان
عمر يؤثر في المعنى فوق صدقه وانتكاره، أن يكون موائماً لمقاييس الدين الخلقية،
سحب لا يتورط الشاعر في هجاء دميم أو سباب فاسح، أو نهش للأعراض، أو

(١) بيان ومختار (١ - ٢٤)، للذمية السوية شرّاب (٢/ ١٠٥).

(٢) عمر بن الخطاب، أبو النصر ص ٢٥٤. (٣) أدب صدر الإسلام ص ٩٦.

الانكباب على وصف الشراب وتصوير سورة الخمر أو غير ذلك مما ينبئ عن ضعف العفيدة وفساد الخلق، وقد سبق أن ذكرنا موقفه من الخطيئة وسحيم، ومن كان على شاكلتهما من الشعراء^(١).

ومما يتصل بنعله هذا ما روي من أن النعمان بن عدي قد عينه عمر على ميسان^(٢)، فذهب إليها، وامتنعت زوجته عن أن ترفقه، فأراد أن يبعث في نفسها الرغبة في صحته، مما يعرف عن عيرة النساء، فكتب إليها مائيات من فصل القول، لا تمثل حقيقة في قليل أو كثير هي:

فمن مبلغ الحناء أن حليلها	ميسان يسقى في زجاج وختم
إذا شئت غتني دهاقين قرية	وصناجة تحذو على كل ميسم
إذا كنت ندماني قبلاً كبير اسقني	ولا تسقني بالأصغر المتلثم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه	تنادمنا في الجومسوق المتهدم

فلما سمعها عمر رضي الله عنه قال: وبم لله لقد ساءتني، ثم عرّفه. ولا غرة فيما فعل عمر من عرّله النعمان - لأن النعمان كان أمير قوم وإمامهم في الصلاة، وقبوتهم في الحياة، وهذا الشعر وإن لم يمثل حياء رجل كان من أهل الهجرة الأولى، لكنه يتعارض مع قيم هذا الدين، وتأباه تعاليمه، ومن ثم رفضه عمر، وعاقب قائله^(٣).

هذه هي أبرز الملامح والبرعات النقدية التي تميز بها نقد عمر من الخطابات^(٤)، والتي تدل على أصالة النقد الأدبي في أطوار شأته الأولى، كما تبرز منعه واتجاهه، حيث لم يعتمد على الدوق وحده في تفويم الأدب واحكام عليه، وإنما جرح إلى لون من الموضوعية الدقيقة في شرح النص، وتبيان جماله أو قبحه والعليل لما يستحد أو يستهجن من محادحه، وسيظل النقد العربي مديناً لعمر ما عاش يتوخى

(١) عمر بن الخطاب أبو النصر، ص ٢٥٥-٢٦٢.

(٢) ميسان: بلدة في العراق كثيرة القرى وتحتل تقع بين البصرة وواسط.

(٣) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص ٢٦٣.

في النص سلامة العربية، وبلاغة عبارتها، واستقلال المعنى بحظه التام من التعبير وصدق التكوين وحسن التصوير ووضوحه، وهذه مقاييس نقدية دقيقة لا يختلف مع عمر فيها ناقد أصيل^(١)، ويطول بنا القول لو استرسلنا في بيان ثقافة هذا الخليفة العظيم ومقدرته على تذوق الشعر ونقله والحكم عليه؛ فإن ذلك يحتاج إلى فصول طويلة، ومن حير الكتب التي ترضي حاجة النفس في هذا الباب كتاب. عمر بن الخطاب للدكتور محمد أبو النصر، والأدب الإسلامي في عهد البوّة وخلافة الرشدين للدكتور نايف معروف، وأدب صدر الإسلام للدكتور واصح الصمد، والمدينة البوّة فخر الإسلام والعصر الراشدي للأستاذ محمد حسن شرّاب.



■ الفصل الرابع ■

المؤسسة المالية والقضائية وتطويرها في عهد عمر رضي الله عنه

المبحث الأول: المؤسسة المالية

أولاً: مصادر دخل الدولة في عهد عمر رضي الله عنه:

نظر المسلمون في العصر الراشدي إلى المال بكل أشكاله وأنواعه بأنه مال الله، وبأن الإنسان مستخلف فيه، يتصرف فيه بالشروط التي وضعها المولى - عز وجل -، والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة في كل أمر يتعلق بالمال وإملاكه فيقول: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ١٧)، ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَمِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ٢٥٤)، وقوله تعالى يتحدث عن البر وهو جماع الخير: ﴿وَأَنَّى الْمَالِ عَلَىٰ حَبِّ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَمِّنَ السُّبُلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ (البقرة: ١٣٧) وإيتاء المال اعتراف من المسلم - ابتداءً - بأن المال الذي في يده هو رزق الله له: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ لأنه خلقه هو، ومن هذا الاعتراف بنعمة الرزق انشق الر مصاد الله^(١)، وعلى هذا الأساس الإيمانسي نظر الفاروق إلى مال الدولة لتي توسعت مواردها في عصره؛ حيث فتحت الدولة بلداناً واسعة، وحصعت لحكمها شعوب كثيرة، فطم علاقة الدولة مع هذه الشعوب، فمنهم من دخل في حكم الدولة صلحاً، ومنهم من دخل في حكمها كرهاً، وتمناً للفتح آلت إليها أرض علبت عليها عتوة (بقوة السلاح)، وأرض صالح أصحابها، وأرض حلا عنها مالكوها أو كانت ملكاً لحكام البلاد السابقين ورجالهم، ومن شعوب هذه البلاد كتابيون (أهل كتاب كاليهود والنصارى) نظم الفاروق طريقة التعامل معهم وفق شرع الله المحكم، وقد قام عمر رضي الله عنه بتطوير النظام المالي في دولته سواء في الموارد أو الإيرقات أو ترتيب حقوق الناس من خلال نظام الدواوين، وقد أخذت موارد الدولة

(١) مؤلفات في الحضرة الإسلامية، أحمد إبراهيم الشريف، ص ٢٥٢

تزداد في عصر عمر رضي الله عنه، وشرع في تطويرها، ورتب لها عمالاً للإشراف عليها، فكانت أهم مصادر الثروة في عهده الزكاة، والعنائم، والفيء، والغزوة، والحراج، وعشور لتجار، فعمل الفاروق على تطوير هذه المصادر واجتهد في قصاها وفق مقاصد الشريعة التي وضعت لمصالح العباد، فقد أحدث الدولة تسجد في قضايا وفق لم تكن موجودة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١)، وكان عمر رضي الله عنه مفسداً للكتابات والنسبة تنفيذاً عبقرياً، لا يستأثر بالأمر دون المسلمين، ولا يستند بالرأي في شأن من الشئون، فإذا وزن به أمر جمع المسلمين يستشيرهم ويعمل بأرائهم^(٢)، وأما أهم مصادر الثروة في عهد الفاروق فهي الآتي:

١- الزكاة:

هي الركن الاجتماعي البارز في أركان الإسلام، وأول تشريع سماوي إسلامي، فرض في أموال أعياء المسلمين؛ لتوحد منهم، وترد إلى الفقراء، بحسب أنصبتها المعروفة في الرزوع والثمار، والذهب والفضة وعروض التحار والماشية؛ ليكون هناك نوع من التضامن والتكافل الاجتماعي، والمحة والألفة بين الأعياء والفقراء، فالزكاة تكليف يتصل بالذل، والمال كما يقولون عصب الحياة، فمن الناس سعيد بالذل ومنهم شقي به، وهذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تسديلاً، وطرأ لما للمال من أثر في حياة الناس فقد عي الإسلام بأمره أشد العناية، واهتم بالزكاة عاية الاهتمام ووضع لها نظاماً دقيقاً حكيماً رحيماً، يؤلف بين القلوب^(٣)، ولذلك سار الفاروق على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، فقام بتنظيم مؤسسة الزكاة، وتطويرها، فأرسل المصدقين لجمع الزكاة في أرجاء الدولة الإسلامية بعد أن أسلم الكثير من سكان البلاد المفتوحة، وكان العدل في جباية الأموال صفة الخلافة الراشدة، دون لإحلال بحقوق بيت المال، وقد أنكر الفاروق على عامل من عمال الزكاة أخذه لشة كثيرة البن ذات ضرع عظيم، قائلاً: ما أعطى هذه أهلها وهم طنعون، لا تفنوا

(١) المصدر السابق ص ٢٥١

(٢) مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي د. محمد إبراهيم صانع ص ٢١٣

(٣) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب، عبد الله جمان السعدي ص ٨

الدمس^(١)، وقد جاء بس من أهل الشام إلى عمر، فقالوا: إن قد أصبنا أموالاً وحيلاً ورقيقاً يحب أن يكون لنا فيها زكاة وظهر قل عمر: ما فعله صاحبدي قبلي فأفعمه، واستشار أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم عبيد، فقال علي: هو حسن، إن لم يكر حرية راتمة يؤخذون بها بعد^(٢)، وقد ذكر الدكتور أكرم صبياء لعمر بن الخطاب الصلابة فترحوا على عمر فرض الزكاة على الرقيق وخيل بعدم توسعت ملكية الرقيق واخيل في أيدي المسلمين، فعرض عمر الرقيق والخيل من أموال التجارة وفرص على الرقيق الصبيان والكنار ديناراً (عشرة دراهم) وعلى الخيل العربية عشرة دراهم وعلى البردين (الخيل غير العربية) خمسة دراهم، ويفهم أنه لم يفرض الزكاة في رقيق الخدمة وخيل المعلقة للجهاد لأنها ليست من عروس التجارة، بل إنه عوض من يدفع ركاتهما كل شهرين جريب (حوالي ٢٠٩ كيلو غراماً من القمح) وهو أكثر قيمة في الزكاة، وذلك لحدث رسول الله ﷺ: (ليس على مسلم في فرسه ولا عبده صدقة)^(٣)، وقد أخذ من الزكاز (المال المدفون) -إد عشر عبيد الخمس، وحرص على تداول الأموال وتشغيلها لئلا تذهب بها الزكاة مع تعاقب الأعوام^(٤)، فكان عبده مال يتيم فأعطاه للحكم بن العباس الثقفي يتجر به^(٥)؛ إذ لم يجد عمر وقتاً للتجارة لانشغاله بأمور الخلافة، وعندما صار الربح وفيراً من عشرة آلاف درهم إلى مائة ألف شك عمر في طريقة الكسب، ولما علم أن لتاجر ستعل صلة اليتيم بعمر رفض جميع الربح واسترد رأس المال حيث اعتبر الربح حبيئاً^(٦)، فهو يعمل بمبدأ فرصه على ولائه وهو رفض استغلال مواقع استولبية في الدولة، ومن هنا قسم الولاية ثروتهم دائماً بالتجارة^(٧)، وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن الولاية يودن الله تعالى، وقد أخذ عمر في زكاة الزروع لعشر فيما سقته الأمطار ولأنهار،

(١) أنوط (٢٥٦/١)، عصر الخلافة الراشدة ص ١٩٩

(٢) الموسوعة الإسلامية صد أحمد رقم ٨٢، إسناده صحيح

(٣) صحيح الترمذي (١٩٦/١) وقال الترمذي: والعمل عليه عند أهل العلم

(٤) عصر الخلافة الراشدة ص ١٩٥، ١٩٤

(٥) عصر الخلافة الراشدة ص ١٩٥، لأموال لابن زنجويه (٢/ ٩٩) الأثر صحيح.

(٦) الأموال أبو عبيد ص ٤٥٥ والأثر صحيح نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص ١٩٥.

(٧) عصر الخلافة الراشدة ص ١٩٥

ونصف العشر فيما سقي بالآلة^(١)، وهو الموافق للمسة، وكان يوصي بالرفق بأصحاب الساتين عند تقدير الحاصل من التمر^(٢)، وأحد زكاة عشرية من العسل إذا حمت الدولة وادي النحل لمستثمره^(٣)، وقد كثرت الحطة في خلافته، فسمح بإخراج زكاة العطر من الحنطة بنصف وزن ما كانوا يؤدونه قبل خلافته من الشعير أو السمرو الربيب^(٤)، وهذا فيه تيسير على الناس، وقبول للعمال الأتيس في الزكاة وإن تفاوت الحس^(٥)، وأما بخصوص مقادير أموال الزكاة التي كانت تُجنى كل عام فأمر غير معروف، والإشارات التي تذكر بعض الأرقام إشارات حشرية وغير دقيقة، ولا تنفع في إعطاء تقدير كلي، وقد قبل إد عمر بن الخطاب حمى أرض الربدة لنعم الصدقة، وكان يحمل عليها في سبيل الله، وكان مقدار ما يحمل عليه كل عام في سبيل الله أربعين ألفاً من الطهر^(٦). وأما الموطعون الذين أشرفوا على هذه المؤسسة فقد ذكرت المصادر أسماء عدد منهم في خلافة عمر بن الخطاب، وهم أنس بن مالك، وسعيد بن أبي الديار على السراة، وحارث بن مصرب العددي، وعبد الله بن الساعدي، وسهل بن أبي حشمة، ومسلمة بن مبلد الأنصاري، ومعاد بن حل على بني كلاب، وسعد الأعرج على اليمس، وسعيان بن عبد الله الشقي كان والياً على الطائف فكان يجبي زكاتها^(٧).

٢- الجزية:

هي الصرية التي تعرض على رؤوس من دخل ذمة المسلمين من أهل الكتاب^(٨)، وقيل هي الخراج المحمول على رؤوس الكفار إداراً لهم (وصغاراً)^(٩)، لقوله

(١) للصف (٤/١٣٤، ١٣٥) والأثر صحيح مثلاً من عصر الخلافة الراشدة من ١٩٥.

(٢) عصر الخلافة الراشدة من ١٩٥ والأثر صحيح.

(٣) المصدر نفسه من ١٩٦ والأثر صحيح.

(٤) فتح الباري (٣/٣١٣) مثلاً من عصر الخلافة الراشدة من ١٩٦.

(٥) الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى د. محمد بطانة من ١٠٤.

(٦) عصر الخلافة الراشدة من ١٩٦، ١٩٧.

(٨) سياسة الشرعية لابن تيمية من ١١٣، ١١٤ للمعاملات في الشريعة د. عبدك من ٣١٣.

(٩) نقل الذمة في الحضارة الإسلامية حسب المعنى من ٣٩.

تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة، آية ٢٩).

وتؤخذ الجزية من أهل الكتاب. وهم اليهود والنصارى وهو إجماع لا خلاف فيه ومن لهم شهية كتاب وهم المجوس، وقد حار عمر رضي الله عنه في أمرهم في أول الأمر، يأخذ منهم الجزية؟ أو لا يأخذها؟ حتى قطع عبد الرحمن بن عوف خبره حين حدثه أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر^(١)، فقد روى ابن أبي شيبة وغيره أن عمر كان بين القصر والمنبر فقال ما تدري ما أصنع بالمجوس، ولبسوا بأهل كتاب، فقال عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله ﷺ يقول: سُوا بهم سئة أهل الكتاب^(٢)، وفي حديث آخر أن عمر لم يرد أن يأخذ الجزية؛ من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر^(٣)، وقد علل النساء أخذها من المجوس بأنهم كانوا في الأصل أهل كتاب، وإنما طرأت عليهم عبادة النار بعد ذلك، وعندئذ أخذها من أهل السواد^(٤) وأخذها من مجوس فارس وكتب لحزبه بن معاوية انظر مجوس من قبلك فخذ منهم الجزية فإن عبد الرحمن بن عوف أحسبني أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر^(٥)، وهي نجس على الرجال الأحرار العفلاء، ولا نجس على امرأة ولا صبي ولا محزون ولا عبد لأسهم اتباع ودراري، كما أن الجزية لا تؤخذ من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من مقعد، والمقعد والرأس إذا كان نهما يسار أخذت مهما، وكذلك الأعمى وكذلك المترهبون الذين في الديارات، إذا كان لهم يسار أخذ منهم، وإن كانوا مساكين يتصدق عليهم أهل اليسار لم يؤخذ منهم^(٦) وتسقط الجزية بالموت، فإذا مات من نجس عليه الجزية سقطت الجزية؛ لأن الجزية واحدة على الرؤوس، فإذا فانت الرؤوس بالموت سقطت،

(١) موسوعة طه عمر بن الخطاب ص ٢٣٤

(٢) المصدر ص ٢٣٥ طلاً عن مصنف ابن أبي شيبة (١٤١/١)

(٣) ليحاري، في الجزية والموادعة رقم ٣١٥٦ . (٤) سواد العراق

(٥) ليحاري، رقم ٣١٥٦ . (٦) أهل الذمة في الحضرة الإسلامية ص ٤٢

وبالإسلام، فإذا أسلم من فرضت عليه الجزية، سقطت عنه بإسلامه، فقد أسلم رحلان من أهل أليس، ورفع عنهما حزيتهما^(١)، وأسم الرقييل دهقد البهرين وفرص له عمر في الفين ووصع عن رأسه الجزية^(٢)، ومن الحدير بالذكر أن الجزية تسقط عن العام الذي أسلم فيه الدمى، سواء كان إسلامه في أوله أو في وسطه أو في آخره، قال عمر إن أحد الجزية اجسائي بكفه ثم أسلم صاحبها رده عليه^(٣)، وتسقط بالافتقار، فإذا افتقر لدمي بعد غنى وأصبح غير قادر على دفع الجزية سقطت عنه الجزية، وقد أسقطها عمر عن الشيخ الكبير الصريير البصر عندما رآه يسأل الناس^(٤) وفرص له ما يعو به من بيت مال، وتسقط عند عجز لدولة عن حماية الدمين، لأن الجزية ما هي إلا صرية على الأشخاص القاصين في أقاليم بدوة الإسلامية، وتدفع هذه صرية في مقابل خدمات العامة للدولة، علاوة على أنها نظير حمايتهم ولحفاة عنهم وبدل عدم قيامهم بواجب لدفع عن الدولة ومواطنيها^(٥)، ومن الأدلة على أن الجزية في مقابل الحماية، ما قام به أبو عبيدة بن الجراح، حينما حشد روم حموعهم على حدود لبلاد الإسلامية الشمالية، فكتب أبو عبيدة إلى كل وال ممن خيمه في المدن التي صانع أهلها يأمرهم أن يردوا عنهم ما حبي منهم من الجزية والخراج، وكتب إليهم أن يقبوا لهم إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجمرع وأنكم اشترطتم علينا أن نجمعكم، وإن لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن على لشروط، ومن كتب بيننا وبينكم إن نصرن الله عبيهم، فيما قالوا ذلك لهم ورددوا عنهم أموالهم لبي جيت منهم، قلوا، ردكم لله علينا وبصركم عليهم (أي الروم) فلو كنو هم ما ردو علينا شيئاً وأخذو كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا لنا شيئاً^(٦).

(١) موسوعة فقه عمر ص ٢٣٨.

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص ٢٣٨ نقلاً عن المعنى (٧/٢٤٥).

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٩ نقلاً عن المعنى (٨/٥١١).

(٤) موسوعة فقه عمر ص ٢٣٩.

(٥) المعاهدات في الشريعة الإسلامية د. الشيك ص ٣١٤.

(٦) فتح البنان ص ١٤٣، موارد المالية د. يوسف عبد المصنود ص ٢٢٨.

كما تسقط إذا قاموا هم بعبء الدفاع بتكليف من الدولة، كما حدث في العهد الذي وقعه سراقه بن عمرو مع أهل طبرستان بعد أن وافقه عمر على ذلك^(١).

وأما قيمتها فقد كانت غير محددة واختلعت من إقليم لآخر بحسب قدرة الناس، وحروب الإقليم، فقد وصَّحَ على أهل السواد، ثمانية وأربعين درهماً، وأربعة وعشرين درهماً، بحسب حال كل واحد من اليسار، يؤخذ ذلك منهم كل سنة، وإن جاءوا بعرص قلل منهم مثل اللواب والمتاع وعصير ذلك ويؤخذ منهم بالقيمة^(٢)، وجعل على أهل الشام أربعة دنانير وأوراق المسلمين من الخطة مدين وثلاثة أقساط من زيت لكل فرد، وعلى أهل القصة أربعين درهماً وخمسة عشر صاعاً لكل إنسان، وعلى أهل مصر دينارين لكل حالمة إلا أن يكون فقيراً^(٣)، وأما أهل اليمن فقد خضعت للإسلام في عهد النبوة، وفرضت الجزية على كل رجل دبر أو عدله معافى، وتشير روايات ضعيفة إلى بقاء هذه الجزية على أهل اليمن دون تغيير في خلافة عمر ورغم ضعفها فإنها تتفق مع سياسة عمر في مراعاة أحوال الرعية، وعدم تغيير الإجراءات السوية^(٤)، والحزبية كانت تحتلف بحسب يسار الناس وبحسب على الإقليم كذلك، وكانت تحصص للاجتهاد بما يكون من طاقة أهل الدمة بلا حمل عليهم ولا إصرار^(٥)، وكان عمر يأمر جماعة الحزبية بأن يرفعوا بالناس في حياتهم، وعندما أتى عمر مال كثير فقال: إني لأظكم قد أهكنتم الناس، قالوا: لا والله، ما أخذنا إلا عفوفاً صفواً، قال: فلا سوط ولا نوط؟ قالوا: نعم. قال الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني^(٦)، ومن أشهر الموظفين في هذه المؤسسة: عثمان بن حنيف، وسعيد بن حديم، وولاء الأمصار كعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم.

(١) تاريخ الدولة الإسلامية د. جميل المصري ص ٣٢٧

(٢) دور الحجاز في الحياة السياسية ص ٢٣٠

(٣) عصر الخلافة الراشدة ص ١٧٣

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٩، عصر الخلافة الراشدة ص ١٦٧.

(٥) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص ٢٤٢

وقد نظمت الجزية مجموعة من الأحكام والقوانين، استمدتها المقهاء والمشرعون من نصوص القرآن والسنة وعمل الخلفاء الراشدين، ودت تلك الأحكام على أن مؤسسة الجزية من مصادر الدولة الإسلامية، كما أن لها صفة سياسية، فدفع أهل الذمة للدولة دليل على إحلالهم لها وخصوعهم لأحكامها وقوانينها والوفاء بما عاهدوا عليه^(١)، ويذهب الأستاذ حسن المني إلى أن مؤسسة الجزية لها صبغة سياسية أكثر منها صبغة مالية^(٢)، والحقيقة أن هذه المؤسسة جمعت بين الصفتين، وهي من مصادر الثروة في الدولة الإسلامية.

- أخذ عمر الصدقة مضاعفة من نصارى تغلب:

كان بعض عرب الجزيرة من نصارى قد رفضوا دفع الجزية لكونهم يرونها منتقصة ومذمة، فبعث الوليد رؤساء لنصارى وعلمائهم إلى أمير المؤمنين فقال لهم أدوا الجزية. فقالوا لعمر: أبغ مأماء والله لن وصعت علينا الجزاء لدخن أرض الروم والله لتفضحنا من بين العرب، فقال لهم: أنتم فضحتكم أنفسكم، وخالفتم أمتكم فيمن خالف وفتضح من عرب الضاحية، والله لتؤدنه وأنتم صفرة قماء (يعني حقيرين) ولن هربتم إلى الروم لاكتبن فيكم، ثم لأسيبنكم. قالوا: فحد ما شيتا ولا تسمه جراء، فقال: أم نحن منسميه جراء وسموه أنتم ما شتتم، فقال له علي بن أبي طالب يا أمير المؤمنين ألم يضعف عليهم سعد بن مالك الصدقة؟ قال: بلى، وأصغى إليه فرضي به منهم جراء، فرجعوا على ذلك^(٣)، ومن هذا الخبر تأخذ درساً في معاملة المتكبرين من الأعداء الذين يخاطبون المسمين بعزة وأبهة ويهددون باللجوء إلى دول الكفر، فحد أمير المؤمنين خراطيمهم يعنف وحقرهم وهددهم إذا لجثوا إلى الكفار بالسعي في إحصارهم ومعاملتهم كمعاملة الحريين من سبي ذرايعهم ونسائهم، وهذا أشد عليهم كثيراً من دفع الجزية، فهذا الجواب لقوي أزال ما في رءوسهم من الكبرياء ولتضعهم فرجعوا متواضعين يطلبون من أمير المؤمنين أن يوفق على أخذ ما يريد من غير أن

(١) عمر الذمة في الحضرة الإسلامية ص ٤٣

(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٣٠) وقد جمع الدكتور المصري هذه الرواية، انظر عصر الخلافة الراشدة ص ١٦٧

يُسمَّى ذلك جرية، وهنا تدخل عبي بن موسى وكان لرأيه مكانة عند عمر لمقهبه في الدين، فأشار عليه بأن يُضعف الصدقة كما فعل سعد بن أبي وقاص بأمثالهم، فقبل ذلك أمير المؤمنين تألفاً لهم ومنعاً من محاولة اللجوء إلى دول الكفر، وقد أصبح هذا الرأي مقبولاً حينئذ وقع موقعه، وذلك بعدما أزعج أمير المؤمنين ما في نفوسهم من العزة والكبرياء، فاما لو قبل ذلك منهم في بداية العرض لفيهم سيعودون بكبريائهم ولا يؤمن منهم بعد ذلك أن يتقضوا العهد ويسبثوا إلى المسلمين^(١).

وفد جاء في رواية عن قصة بني تغلب، بأنهم دعوا إلى الإسلام فأبوا، ثم إلى الجزية فلم يطمئنوا إليها، وولوا هارين يريدون إلحاق بأرض الروم، فقال النعمان ابن ربيعة لعمر، يا أمير المؤمنين، إن بني تغلب قوم عرب، يأفون من الجزية، وليست لهم أموال إنما هم أصحاب حرث ومواشي، ولهم تكية في العدو فلا تنع عدو عبيك بهم قس. فصالحهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على أن صاعف عليهم الصدقة^(٢). . . وقد هي حرية وسموها ما شئت^(٣)، فقال بنو تغلب: أما إذا لم تكن جرية كجرية الأعلاج فإن نرضى ونحفظ ديننا^(٤)، ونسرفي قبول الخليفة عمر رضي الله عنه الصدقة من بني تغلب، وهل تعد صدقة أم جزية؟ يرجع إلى أن الاختلاف في تسمية أمر قد تسوّهل فيه ورضي الخليفة به مادام في ذلك المصلحة العامة، والذي دفعه إلى ذلك خشية انضمام بني تغلب إلى الروم وما كان يرجوه من إسلامهم ليكونوا عوناً للمسلمين على أعدائهم؛ ولأن هؤلاء قوم من العرب لهم من العزة والأنفة ما يبرر حفظ كرامتهم، وأن ما يرد إلى بيت ادال من أموالهم خير للمسلمين وأحدى على خزانة الدولة من هربهم وانضمامهم إلى صفوف الروم^(٥). أما من ناحية هل هي صدقة أم جزية؟ فهي جزية؛ لأنها تصرف في مصارف الخرج، ولأن الصدقة لا

(١) التاريخ لإسلامي (١٤١/١، ١٤٢)

(٢) الأموال (٣٧/١) نقلاً عن سياسة المال في الإسلام عبد الله جيعان ص ٧٢

(٣) فتح القدير (٥١٤/١)، سياسة المال في الإسلام ص ٧٢

(٤) فتح القدير ص ١٨٦، سياسة المال في الإسلام ص ٧٢، يعتبر كتاب سياسة ادال في عهد عمر بن الخطاب للأسناد

عبد الله جيعان السلمي هو العمل في مبحث المؤسسة المالية فقد تمت بتدقيقه وإضافة بعض الأشياء

(٥) سياسة مال في الإسلام ص ٧٢

تجب على غير المسلمين، ولأن الحرية في بطير الحمية وكان مو تغلب في حمية لمسلمين، وفي بوقت نفسه بمكنا أن نقول. إنها ليست بجزية عمياً، لأن ما فرص على نصارى بني تغلب كان على الأمور التي تعرض عليها الركاة، فكل شيء على لمسلمين فيه زكاة كالزروع والثمار والذرية والنقدين فهو عليهم مصاعف يؤخذ من لاء كما يؤخذ من الرحا ومن يمكن على الأشخاص، وهذا يتأني معنى الحرية عرباً^(١)، والمهم في كلتا الحالتين باعتبارها صدقة أو جزية فهي صريفة بينت مدى خصوعهم لسلطة الإسلام^(٢)، هذا وقد كانت هنالك حقوق وتنز مات كثيرة لعرب على البلاد المفتوحة عد الجزية، وقد شوعت هذه الحقوق وتصورت أيام الخليفة عمر بن الخطاب، فمن ذلك صياغة الحاكم إد وده والرسل والسفراء ومن تزب من المسلمين بأهل البلاد، وقد حددت مدة النصيفة في خلافة عمر بن الخطاب بثلاثة أيام مما يأكلون، ولا يكلمون مدح شاة ولا دحاسة ولا مما لا طاقة لهم به^(٣)، وقد مر مع عدد حديثاً عن التطوير العمراني في عهد عمر أن بعض الاتفاقيات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب اشتملت على إصلاح الطرق، ورشاء الجسور وبناء العاظر وقد تطور نظم الحرية في عهد عمر بن الخطاب، فأحصى السكان وميز بين الغني والفقير ومتوسط الحال، واستحدث كثيراً من الشروط والالتزامات في نصوص المعاهدات مما لم يعرف من قبل؛ وذلك لاتساع العمران وبسط السلطان على مصر و شام والعراق ومحالطة المسلمين لأهل البلاد واتصافهم الدائم بحضارتها، مما مكنهم من سياسة الدولة وشؤون العمران وما تتطلبه طبيعة التدرج والسمو فأوجدوا ما سم يكن موحداً من إصلاح الطرق والعمران وبناء القناصر والجسور التي هي عون الأمم المتحصرة، ومن هذا تنظمت الأمور، واتسعت البلاد، ورسخت قواعد النظم المالية وغيرها^(٤).

- شروط عقد الجزية ووقت أدائها:

وقد استسط العقهاء من حلال عصر الخلفاء الراشدين مجموعة من شروط

(١) المصدر نفسه ص ٧٢، النظام الإسلامي لنقارن ص ٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٣

(٣) الأحكام السطانية والولايات الدينية ص ١٦٤

(٤) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ص ١٧٤ .

* ألا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له.

* ألا يذكروا رسول الله ﷺ بتكذيب ولا إرداء.

* ألا يذكروا دين الإسلام بدم له ولا قدح فيه.

* ألا يصيبوا مسلمة بزئى ولا باسم تكاج.

* ألا يفتنوا مسلمًا عن دينه، ولا يتعرضوا لماله ولا دينه.

* وأن لا يعينوا أهل الحرب ولا يوذوا أغنياءهم^(١).

وأما وقت أدائها فقد حدد الخليفة عمر بن الخطاب وقت أداء الخرية في آخر الحول وهر دنا به آخر العام الزراعي، ويرجع هذا التعبير في وقت أداء الخرية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب إلى حالة الاستقرار، والاستقرار يدعو إلى التنظيم وتعيين الأوقات المناسبة للدولة والمكلفين بدفع الخزية، كما أن تحصيلها وقت إتيان العلات - وهو ما يعبر عنه المؤرخون بأحر العام - فيه دفع للمشفة، وتسهل على المكلفين وراحة لنداهم^(٢).

١- الخراج:

الخراج له معيان عام وهو كل إيراد وصل إلى بيت مال المسلمين من غير الصدقات، فهو يدخل في المعنى العام للمعنى، ويدخل فيه إيراد الخرية وإيراد العشور وغير ذلك، وأنه معنى خاص وهو إيراد الأراضي التي امتتحها المسلمون عموة وأوقفها الإمام لمصالح المسلمين على الدوام كما فعل عمر بأرض السواد من العراق والشام^(٣)، والخراج كما قال ابن رجب الحسني لا يقاس بجماعة ولا ثمن، بل هو أصل ثابت بنفسه لا يقاس بغيره^(٤).

عندما قويت شوكة الإسلام بالفتوحات العظيمة وبالذات بعد القضاء على الفوتين العظيمين الفرس والروم، تعددت موارد المال في الدولة الإسلامية وكثرت مصارقه،

(٢) المصدر منه ص ٢٧

(١) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر ص ٧٦ .

(٢) الخراج لأبي يوسف ص ٢٤، ٢٥، اقتصاديات الحرب ص ٢١٥ .

(٣) الاستخراج لأحكام الخراج ص ٤٠، اقتصاديات الحرب ص ٢١٥ .

﴿ ٣ ﴾ **عمر بن الخطاب**

وللمحافظة على كيان هذه الدولة المترامية الأطراف وحصون عزها وسلطانها، وضمان مصالح العامة، والخاصة كان لابد من سياسة مالية حكيمة ورشيدة، ففكر لها عمر رضي الله عنه، ألا وهي إيجاد مورد مالي ثابت ودائم للقيام بهذه المهام، وهذا المورد هو: الخراج فقد أراد الفاتحون أن تقسم عليهم العنائم من أموال وأراضي وفقاً لما جاء في القرآن الكريم خاصة بالعنائم. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَاقُحِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: ٤١).

وقد أراد عمر رضي الله عنه في بداية الأمر تقسيم الأرض بين الفاتحين، لكن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رأى عدم التقسيم، وشاركه الرأي معاذ بن جبل، وحذّر عمر من ذلك^(١)، وقد روى أبو عبيد قتيلاً: قدم عمر الحجابة فأراد قسم الأراضي بين المسلمين فقال معاذ: والله إذن ليكون ما تكره، إنك إن قسمتها صار الربيع العظيم في أيدي القوم ثم يبطلون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة، ثم يأتي من بعدهم قوم يستولون من الإسلام مستداً، وهم لا يجدون شيئاً فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم^(٢)، لقد نه معاذ بن جبل رضي الله عنه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى أمر عظيم، جعل عمر يتتبع آيات القرآن الكريم، ويتأملها مفكراً في معنى كل كلمة يقرأها حتى توقف عند آيات تقسيم الفيء في سورة الحشر، فتبين له أنها تشير إلى الفيء للمسلمين في الوقت الحاضر، ولن يأتي بعدهم، فعزم على تنفيذ رأي معاذ رضي الله عنه، فانشتر حر ذلك بين الناس ووقع خلاف بينه وبين بعض الصحابة رضوان الله عليهم، فكان عمر ومؤيدوه لا يرون تقسيم الأراضي التي فتحت، وكان بعض الصحابة ومهم بلال بن رباح، والربيع بن العوام يرون تقسيمها، كما تقسم غنيمة العسكر، كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم حبيرو، فأبى عمر رضي الله عنه التقسيم ونال عليهم الآيات الخمس من سورة الحشر من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْحَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خِيلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحشر: ١) حتى فرغ من شأن بني

(٢) الأموال لأبي عبيد من ٧٥، سياسة المال من ١٠٣

(١) سياسة المال في الإسلام من ١٠٣

الضير ثم قال ﴿مَأْفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِللَّهِ وَلِلرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَعْيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَخَذَكُمْ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٧) فهذه عامة في
القرى كلها، ثم قال ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَسْتَغْنُونَ
فَصَلَا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَوْلَتْكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (المائدة: ٨) ثم لم
يرض حتى خلط بهم غيرهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قُلُوبِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ
هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَفِّ شَخْصًا نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩) فهذا في الأنصار
خاصة ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ
رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ١٠)، فكانت هذه عامة لمن جاء بعدهم، فما من أحد من
المسلمين إلا له في هذا الشيء حق، قال عمر: فليس بقيت ليلفن الراعي مصنعا
نصيبه من هذا الشيء ودمه في وجهه^(١)، وفي رواية أخرى جاء فيها: قال عمر:
فكيف بمن يأتي من المسلمين فيحدون الأرض بعلوحتها قد اقتسمت وورثت عن الآباء
وحيزت، ما هذا رأي، فقال له عبد الرحمن بن عوف: فما الرأي؟ ما الأرض
والعلو إلا ما آفاه الله عليهم، فقال عمر: ما هو إلا كما تقول ولست أرى ذلك،
والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى أن يكون كلاً على المسلمين،
فلما قسمت أرض العراق بعلوحتها، وأرض الشام بعلوحتها، فما يسد به الثغور؟ وما
يكون للذرية والأرامل لهذا البلد وبغيره من أراضي الشام والعراق؟ فأكثروا على عمر
وقالوا: تقف ما آفاه الله علينا بأسياننا على قوم لم يحصروا ولم يشهدوا، ولأبناء
القوم وأبناء أبنائهم ولم يحصروا، فكان عمر يبتدئ لا يزيد على أن يقول: هذا
رأيي، قالوا: فاستشر، فأرسل إلى عشرة من الأنصار من كراء الأوس والخزرج
وأشرافهم فحطهم، وكان مما قال لهم: إني واحد كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون

بالحق، خالسي من حالتي، ووافقي من وفاقتي، ولست أريد أن تسبوا هذا الذي هوأي، ثم قال: قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أنني أضلمهم حقوقهم، ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعدوهم فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله، وأخرجت الخمس فوجته على وجهه، وقد رأيت أن أحبس الأرضين معلوجها، واضعاً عليهم فيها الخراج وفي رفدهم الخزية يؤدونها فتكون بيتاً للمسلمين، المقاتلة والدرية، ومن يأتي من بعدهم، أرايتم هذه الثعور لاند لها من رحال يلومونها أرايتم هذه المدن العظام لاند لها من أن تشحن بالحيش، وإدر العطاء عليهم فمن أين يُعطى هؤلاء إدر قسمت الأرض والمعلوج؟ فقالوا جميعاً: لرأي رأيك فتعمد قلت ورأيت، إن لم تشحن هذه الثعور وهذه المدن بمرجان وتجري عليهم ما يتقوون به رجع أهل كمر إلى مدنيهم^(١)، وقد قد عمر فبقاؤه لو قسمتها بينهم لصارت دولة بين لأعياء منكم، ولم يكن من جاء بعدهم من المسلمين شيء، وقد حص الله لهم فيها الحق بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ثم قال: فسئعت الآية ساس إلى يوم القيامة، وبعد ذلك استقر رأي عمر وكبار الصحابة رضي الله عنهم على عدم قسمة الأرض^(٢).

وفي حوار مع انصحانة يظهر أسلوب العاروق في الحدل، وكيف جمع فيه قوة الدليل، وروعة لصورة، واستمالة الخصم، في مقالته التي قال للأنصار، عند المناقشة في أمر أرض السواد، ولو أن رئيساً ناشئاً في السياسة، متمرساً بأساليب الخطب البرلمانية أراد أن يخطب لنواب (لبنان موافقهم) على مشروع من المشروعات لم يحى بأرق من هذا اندخل، أو أعجب من هذا الأسلوب. وامتر عمر فوق ذلك بأنه كان صادقاً فيما يقرب، ولم يكن فيه سياسياً مخادعاً وأنه جاء به في لمط من البيان يسمو على الأشباه والأمثال^(٣).

(١) الخراج لأبي يوسف ص ٦٧، اقتصاديات الخرج ص ٢١٧

(٢) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر ص ١٠٥

(٣) أخبار عمر ص ٢١

هل كان الفاروق مخالفاً للنبي ﷺ في حكم أرض الخراج؟

من قال إن الفاروق حالف الرسول ﷺ بفعله في عدم تقسيم أرض الخراج؟ لأن النبي ﷺ قسم حير، وقال: إن الإمام إذا حرس لأرض المفتوحة عنوة نقص حكمه لأجل مخالفة السنة، فهذا القول خطأ وحرارة على الخلفاء الراشدين إذا فعلوا هذا الفعل - فإن فعل النبي ﷺ في حير إنما يدل على جواز ما فعله ولا يدل على وجوبه، فلو لم يكن معاً دليل على عدم وجوب ذلك، لكان فعل الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلي رضيه الله عنهم دليلاً على عدم الوجوب، فكيف وقد ثبت أنه فتح مكة عنوة كما استفاضت به الأحاديث الصحيحة، بل تواتر ذلك عند أهل المعاري والسير^(١) فيه قدم حين نفصوا العهد ونزل عمر الطهران، ولم يأت أحد منهم يصاحبه ولا أرسل إليهم أحداً يصاحهم، بل خرج أبو سفيان يتحسس الأحبار فأخذه العباس وقدم به كالأسير، وعانته أن يكون العباس أمه فصار مستأماً، ثم أسلم فصار من المسلمين، فكيف يتصور أن يعقد صلح الكفار - بعد إسلامه - بغير إذن منهم؟ مما يبين ذلك أن النبي ﷺ علق الأمان بأسبب، كقوله: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أعلق بابه فهو آمن)^(٢)، فأمس من لم يقاتله، فلو كانوا معاهدين لم يحتاجوا إلى ذلك، وأيضاً، فمنهم النبي ﷺ طلقاء، لأنه أضلقتهم من الأمر كشمامة من أثال وعيسره، وأيضاً فإنه أدن في قتل جماعة منهم من الرجال والنساء، وأيضاً فقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال في حطته: إن مكة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة^(٣)

ودخل مكة وعلي رأسه المفسر ولم يدخلها بأحرام، فلو كانوا صالحين لم يكن قد أحل له شيء، كما لو صالح مدينة من مدائن الحل لم تكن قد أحلت فكيف يحل له البلد الحرام وأهله مسالمون لهم صلح معه^(٤) وأيضاً فقد قتلوا خالداً وقتل طائفة من المسلمين طائفة من الكفار، وفي الحملة، فإن من تدر الأثار المنقولة علم

(١) مسلم رقم ١٧٨٠

(٢) السنن في الكبرى في الحج (٢/ ٣٨) الفتاوى (٢/ ٣١٣)

(٤ ٣) عمر بن الخطاب

بالإصطرار أن مكة فتحت عوة، ومع هذا فالنبي ﷺ لم يقسم أرضها كما لم يسترق رجالها، ففتح حبير عوة وقسمها، وفتح مكة عوة ولم يقسمها، فعلم جور الأمرين^(١)، وبذلك لم يكن الفاروق محالفاً للهدى لنبي في عدم تقسيمه للأراضي المفتوحة، وقد كان منده - فيما فعل - أموراً منها:

١ - آية نفي في سورة الحشر.

٢ - عمل النبي ﷺ حينما فتح مكة عوة وتركها لأهلها ولم يصع عليها خراجاً.

٣ - قرار مجلس الشورى الذي عقده عمر لهذه المسألة بعد الحوار والمجادلة وقد أصبح سنة متبعة في أرض يظهر عليها المسلمون ويقرون أهلها عيها، وبهد يظهر أن عمر حينما مير بين العنالم انقولة وبين الأراضي كان متمسكاً بدلائل النصوص، وجمع بينها وأنزل كلاً منها منزله التي يرشد إليها النظر الجامع السديد، يضاف إلى ذلك أن عمر كان يقصد أن تبقى لأهل البلاد ثرواتهم وأن يعصم الحند الإسلامي من فتن النزاع على الأرض ويعقد، ومن فتن الدعة والاشغال بالثراء والخطام^(٢).

إن الفاروق رحمه الله كان يهجا إلى القرآن الكريم يلتبس منه الحلول ويظوف بين مختلف آياته، ويتعمق في فهم منطوقها ومفهومها، ويجمع بينها ويخصص بعضها ببعض حتى يصل إلى نتائج تحقق المصالح المرجوة منها، مستلهماً روح الشريعة غير وقف مع ظواهر النصوص وقد أسعفه في قطع هذه المراحل إدراكه الدقيق لمقاصد الشريعة بتلكم النصوص، وهي عملية مركبة ومعقدة لا يحسن الخوض فيها إلا من تمرس على الاجتهاد وأعطى فهماً سديداً وجرأة على الإقدام بحيث يحسن الإقدام، حتى حيل للعص أن عمر كان يضرب بالنصوص عرض الحائط في بعض الأحيان، وحاش أن يفعل عمر رحمه الله ذلك لكنه كان مجتهداً ممتازاً اكتسب حاسة تشريعية لا تصاهي حتى كان يرى الرأي فينزل القرآن على وفقه، والنتيجة التي يخرج بها من

(١) الفتاوى (٢٠ / ٣١٢، ٣١٣).

(٢) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ص ١٣١

هذه القضية هي أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، ومثله في السنة، فعلى المجتهد وهو يبحث عن الحكم الشرعي أن يتعرض لجميع النصوص التي تساعد على الحل دون الاختصار على بعضها، وإلا عد مقصراً في اجتهاده، ويكون ما توصل إليه لاجئاً^(١).

- كيف تم تنفيذ مشروع الخراج في عهد الفاروق؟

لما انتهى كبار الصحابة ورجال الخُل والعقد إلى إقرار رأي الخليفة عمر رضي الله عنه بتحيين الأرض على أهلها، وتقسيم الأموال المنقولة على الفائزين انتدب شخصين كبيرين هما عثمان بن حنيف، وحذيفة بن اليمان وذلك لمسح أرض سواد العراق، وحين بعثهما لهذه المهمة زودهما الخليفة بنصائحه وتوجيهاته الثاقبة، وأمرهما بأن يلاحظا ثروة الأفراد، وحصوة الأرض وحدها، ونوع النبات والشجر، والرفق بالرعية، فلا تحمل الأرض ما يتحملة المكلفون، بل يترك لهم ما يحبرون به النوائب واخواتح، ولكي ينطلقا قرار عمر رضي الله عنه على أساس عادل، رغب أن يعرف أحوال التي كان عليها أهل لعراق قبل الفتح، وطلب من الصحابييين عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان أن يرسلأ إليه ومسا من كبار رجال السواد، فعثا إليه وفدأ من دهقنة السواد، فسألهم عمر رضي الله عنه . كم كنتم تؤدون إلى الأعاجم في أرضهم؟ قلوا سعة وعشرين درهماً، فقال عمر رضي الله عنه لا أرضى بهذا منكم^(٢٧)، وهذا يدل على أن الفتح لإسلامي كان عدلاً على الناس الذين فتحت بلادهم. وكان عمر يرى أن فرض الخراج على مساحة الأرض أصليح لأهل الخراج. وأحسن ردأ، وزيادة في الميء من غير أن يحملهم ما لا يطبقون، فقام عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان بما وكل إليهما خير قيام فسلقت مساحة السواد (٠ ، ٣٦٠٠٠) سة وثلاثين ألف ألف^(٢٨)، ووضعأ على جريب العيب عشرة دراهم، وعلى جريب البخل ثمانية دراهم، وعلى جريب القصب ستة دراهم، وعلى جريب الحطة أربعة دراهم وعلى

(١) المصدر منه حر، ١٣١، ١٣٢.

(٦) الخراج لأبي يوسف من ١، ٢، ٣.

(۴) اخراج لایہ پر ص ۳۸.

٣٠٦ **عمر بن الخطاب**

جريب الشعير درهمين^(١)، وكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك فأوصاه، وقد حرص عمر رضي الله عنه على العناية بأهل تلك الأرض والسداد، وما يوفر العدل ويحققه خوفاً أن يكون عثمان وحذيفة رضي الله عنه محملاً الدس والأرض ما لا يطيقون أداءه من خراج فسالهما، كيف وضعتما على لأرض لعلكما كلتما أهل عمكما ما لا يطيقون؟ فقال حذيفة: لقد تركت فصلاً، وقال عثمان: لقد تركت الضعف، ولو شئت لأخذته فقال عمر رضي الله عنه عند ذلك: أما والله لئن بقيت لأراجل أهل العراق لأدعهم لا يفتقرون إلى أمير بعدي^(٢).

وهذه الطريقة التي نفذت في سواد العراق هي ذاتها التي نفذت في أراضي المصرية، لكن الذي تولاها هو عمرو بن العاص وكانت وحدة المساحة التي ربط على أساسها خراج نقد^(٣)، وكذلك فعل عمر رضي الله عنه بأرض الشام كتب فعل بأرض السواد، ولم يذكر المؤرخون معلومات صريحة وضحة عن المساحة ونوع لزروع ولشجر التي فرض عليها الخراج، ولا من قام بعملية مسح أراضي الشام^(٤)، وكان الخليفة عمر رضي الله عنه يهد الصدقات عمل إحصاء دقيقاً لثروة الولاية قبل الولاية عيها، ثم إلزام أولاء عند اعتزل لهم أعمالهم بمصداقة بعض الأمور التي جمعوها لأنفسهم في أثناء ولايتهم، إذا تبين له أن أعطيتهم لا تسمح لهم بادخار هذه الأمور كلها^(٥) وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن أولاءه. وقد كثرت المنكبات الخاصة للدولة التي اصطفاها عمر رضي الله عنه لبيت مال في العراق والشام ومصر، فكانت هذه الأملاك تلزم دحلاً عظيماً ووفيراً على خزانة الدولة، خاصة في مصر لاتساع الأراضي الزراعية التي يملكها التاج في العصور القديمة^(٦).

- ما القيم والمصالح الأمنية في عدم تقسيم أراضي الخراج؟

هاك جملة من المصالح الأمنية التي استند إليها الخليفة والدين وافقوه على

(١) الخراج لأبي يوسف ٢٩، سياسة المال في الإسلام ص ١٠٨

(٢) الخراج لأبي يوسف ص ٤٠، سياسة المال في الإسلام ص ١٠٨

(٣) قدرة السياسة للخضري ص ١٤٤، سياسة المال ص ١٠٩

(٤) سياسة المال في الإسلام ص ١١١ - (٥) المصدر نفسه ص ١١٤ - (٦) المصدر نفسه ص ١١٨

رأيه - في اتخاذ هذا القرار بمكسي تصنيفها إلى صنفين. أولهما المصالح الداخلية وأهمها سد الطريق على الخلاف والقتال بين المسلمين، وصمان توافر مصادر ثابتة لمعيش البلاد والعباد، وتوفير الحاجات المادية اللازمة للأجيال اللاحقة من المسلمين، وثانيهما. المصالح الخارجية والتي يتمثل أهمها في توفير ما يسد ثغور المسلمين، ويسد حاجتها من الرجال والمؤن، والمعدة على تجهيز الحيوش، بما يستلزمه ذلك من كفالة الرواتب وإدارة العطاء وتمويل الإنفاق على العتاد والسلاح وترك بعض الأطراف لتتولى مهام الدفاع عن حدود الدولة وأراضيها اعتماداً على ما لديها من خراج، والذي يجب ملاحظته في هذه المصالح أن الخليفة أراد أن يصح بقراره دعائم ثابتة لأمن المجتمع السياسي ليس في عصره فقط، بل وفيما يليه من عصور بعده وعارائه من مثل (فكيف عن يأتي من المسلمين)، و(كرهت أن يترك المسلمون) التي تروحي مظرتة المستقلية لهذا الأمن الشامل تشهد على ذلك، وقد أثبت تطور الأحداث السياسية في عصر الخليفة الثاني صواب وصدق ما قرره.

- إن تعدد أطوار اتحاد القرار بعدم تقسيم الأراضي قد أكد أمرين: أولهما أن بعض القرارات المهمة التي تمس المصالح الجوهرية للمسلمين قد تأخذ من الجهد والوقت الكثير، كما أنها قد تتطلب قدراً من الآلة في تادان الخرج والبراهين، دون أن يتبع ذلك محالاً للخلاف وتعميق هوة الانقسام أحياناً أو يعوت نائاً من أبواب تحقيق بعض المصالح الخاصة بأمن الأمة في حاصرها ومستقلها، ولأمر الثاني أن بعض القرارات المهمة التي قد تحرح بعد عمر النقاش والحوار، والبداية المتعثرة لها، يحرص على الحاكم الشرعي أن يكون أوز المسلمين وآخرهم جهداً في السعي إلى نصيب هوة الخلاف، والتفريب بين وجهات النظر المتعارضة لكي يصل بالمسلمين إلى الحكم الشرعي فيما هو متنازع بشأنه^(١).

- إن تادان الرأي والاجتهاد بين الخليفة والنصحية الدين لم يوافقه على رأيه واستاد الكل في ذلك إلى المصوم المرنه في الاجتهاد يثبت أن الميصل في إيداه.

(١) الأبعاد السياسية لفهوم الأمن في الإسلام، مصطفى محمود ص ٣١٧، ٣١٨

الآراء في القرارات السياسية عامة والتي تمس مصالح المسلمين بصفة مباشرة خاصة، هو أن نحي هذه الآراء مستندة إلى النصوص المنثورة، أو ما ينبغي أن يتفرع عنها من مصادر أخرى لا تخرج من أحكامها في محتواها ومبرراتها.

- إن لحزم الخليفة إلى استشارة أهل السانقة من كبار لصحابة العلماء في فقه الأحكام ومصادر الشرع، واستجابتهم بإحلاص لصبح له، يؤكد أن أهل الشورى لهم مواصفات خاصة تميزهم، فالذين يستشارون هم أهل الفقه والفهم والورع والدراية، الراعون بدورهم، إنهم بعدرة أدق الذين لا إمعنة في آرائهم، ومن دأبهم توطئن أنفسهم على قول الحق وفعله، غير خائفين في ذلك لومة لائم من حاكم أو غيره.

- ثم يبقى لقول إن ما حدث بصدور قرار عدم تقسيم الأراضي، يطل نموذجًا عاليًا سر عليه الصحافة في كيفية التعامل وفق آداب الحوار وأخلاقيات ماقشة انقضايا، وتقريب أوجهها المختلفة انتهاء بمرحلة التفكير في اتحاد انقرر بعدم تقسيم الأراضي -بصفة مباشرة، أو غير مباشرة- وعلى رأسهم الخليفة الذي لم يخرج عن هذه لأداب رغم اختلاف احتشاداتهم شأنه^(١)، بل إن العاروق ؤيؤيؤ بين أن الحاكم محرد فرد في هيئة الشورى، وأعلن لشقة في مجلس شورى الأمة، حالفته أو وافقته، والرد إلى كتاب الله، فقد قال ؤيؤيؤ: 'إني واحد مككم، كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون بالحق، خالفني من خالفي، وو فني من وافقني، ومعكم من الله كتاب ينطق بالحق'^(٢).

- أهم الآثار الدعوية في هذا القرار:

من أهم هذه الآثار. القضاء نهائيًا على نظام الإقطاع، فقد ألقى عمر ؤيؤيؤ كل الأوضاع الإقطاعية الطالمة التي احتكرت كل الأرض لصالحها واستمعدت الملاحين لرراعتها مجانًا، فقد ترك عمر ؤيؤيؤ أرض السواد في أيدي فلاحها يزرعوها مقابل خراج عادل يطبقونه يدفعونه كل عام، وقد اغتبط الملاحون بقرار عمر من الخطاب

(١) الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، مصطفى منجود ص ٣١٧، ٣١٨

(٢) الأدور السياسي للمصرة ص ١٨٥

فجعلهم يملكون الأرض الزراعية يزرعونها مقابل دفع الخراج الذي يستطيعونه، مما جعلهم يشعرون لأول مرة في حياتهم أنهم أصحاب لأرض الرعية لا ملكاً للإقطاعيين من الصقة الحكمة، وكان الملاحون مجرد أحرار يزرعونها بدون مقابل، وكان تسلمهم وكدهم يذهب إلى جيوب طبقة الإقطاعية، طبقة ملاك الأرض ولا يتركون لهم إلا الفتات^(١).

- قطع الطريق على دعوة جيوش الروم والفرس بعد طردهم:

لقد أدت سياسة عمر بن الخطاب في تمليك لأرض للملاحين الأمصار المفتوحة دعوة إلى شعورهم بالرضا التام كما تقدم، وهذا مما جعلهم يعصون حكامهم من الفرس والروم ولا يقدمون لهم أية مساعدات، بل كانوا على العكس من ذلك يقدمون المساعدات للمسلمين صدهم، حتى إن رستم القائد الفارسي دعا أهل الخيرة فقال: يا أعداء الله فرحتهم بدخول العرب علينا بلادنا وكتم عيونهم علينا وقويتهم بالأموال^(٢).

- مسارعة أهل الأمصار المفتوحة إلى الدخول في الإسلام:

فقد ترتب على ما تقدم من تمليك الأرض للملاحين أن سارعوا إلى الدخول في الإسلام، الذي انتشر بينهم بسرعة مذهلة لم يسبق لها مثيل، فقد لمسوا العدل وتبين لهم الحق، وأحسوا بكرامتهم الإنسانية من معاملة المسلمين لهم^(٣).

- تدبير الأموال لحماية الثغور:

فقد امتدت الدولة الإسلامية حول جهاتها الأربع وانتقلت أسماء الثغور إلى ما وراء حدود الدولة في عصورها الأولى، ومن أهم هذه الثغور ما كان يعرف بالشحور الفراتية، والتي كانت تمتد على طول خط استراتيجي يفصل ما بين لدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية وغيرها من الثغور، وقد اتحد عمر في كل مصر على قدره حيولاً، وقد وصلت قوات المرساة المراتبين في الأمصار إلى أكثر من ثلاثين ألف

(١) الدعوة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب حسب طيطاس ص ١٣٠

(٢) الدعوة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر ص ١٣١ .

(٣) المصدر ص ١٣٢

فارس، وهذا بحلاف قوات المشاة وأي قوات أخرى كالحمالة وخلافه، وهذه خصصها عمر كحيش منظم لحماية شعور المسلمين وكفل أرواحهم وصرهم عن الاشتداد بأي شيء إلا بالجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، فكان الخراج من الأساب التي ساقها المولى -عز وجل- لتحفيز هذه القوات وكفاءة أرواق أجنادها^(١).

إن الفروق بينه وصح قواعد نظام الخراج باعتباره مورداً من الموارد المالية المهمة لحرية الدولة، وكان يهدف من ورائه إلى أن يكون بيت المال قائماً بما يحب عليه من تحقيق المصالح العامة للأمة وحفظ شعورها وتأمين طرقها، ولا يتأتى ذلك إلا بإبقاء أصحاب الأرض التي تملكها المسلمون عوة لقاء سعة معينة مما تنتجها الأرض، وهذا أمر من شأنه أن يريد لهم حمماً في العمل ورغبة في الاستغلال والاستثمار ومقارنة ذلك بما كانوا يرهقون به من الضرائب من طرف أولياء أمورهم قبل وصول المسلمين^(٢).

٤ - العشور:

هي الأموال التي يتم تحصيلها على التجارة التي تمر عبر حدود الدولة الإسلامية سواء داخلية أو خارجة من أراضي الدولة، وهي أشبه ما تكون بالرسوم الجمركية في العصر الحاضر، ويقوم بتحصيلها موظف يقال له (العاشر) أي الذي يأخذ العشر^(٣)، ولم يكر له الصربية وجود في عهد النبي ﷺ، وحليفته لأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لأن تلك الصرة كانت فترة دعوة إلى الإسلام، والجهاد في سبيل نشره، وبناء الدولة الإسلامية، فلما اتسعت الدولة في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه، وامتدت حدودها شرقاً وغرباً وصار التبادل التجاري مع الدول المجاورة ضرورة عليها المصلحة العامة، رأى الخليفة عمر رضي الله عنه أن يحرص تلك الصربية على الوارد إلى دار الإسلام، كما كان أهل الحرب يأخذونها من تجار المسلمين القادمين إلى بلادهم، معاملة بالمثل، وقد أجمع المؤرخون^(٤) أن أول من وصح العشر في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك عندما كتب إليه أهل منبج ومن وراء بحر عدن يعرضون عليه أن

(١) تفصيل السابق نفسه ص ١٢٥

(٢) أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ص ٦٣ .

(٣) تخرّج لأبي يوسف ص ٢٧١، اقتصاديات الحرب ص ٢٢٢ . (٤) سياسة المال في الإسلام ص ١٢٨ .

يدخلوا تجارتهم أرض العرب وله بها عشر فنشور عمر في ذلك أصحاب النبي ﷺ فأجمعوا على ذلك، فهو أول من أحد منهم لعشور، ولكن عمر أراد أن يتأكد من مقدار ما تأخذه الدول الأخرى من تجار المسلمين إذ اجتاروا حدودهم، فسأل المسلمين: كيف يصنع بكم الخشة إذ دخلتم أرضهم؟ فأنوا: يأخذون عشر ما معاهم، قال: فخذوا منهم مث من يأخذون منكم^(١)، وسأل أيضاً عثمان بن حنيف كم يأخذ منكم أهل خرب إذا أتيتهم دارهم؟ قال: العشر، قال عمر: فكذلك فخذوا منهم^(٢)، وروى أن أبا موسى الأشعري كتب إلى الخليفة عمر رضي الله عنه: إن تجاراً من قنبا من المسلمين يأتون أرض الخرب فيأخذون منهم لعشر، فكتب إليه الخليفة عمر رضي الله عنه: خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وحد من أهل الدمة نصف العشر، ومن المسلمين من كل أربعين درهماً درهم، وليس فيما دون المائتين شيء، وإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم، وما زاد فتحسابه^(٣)، وقد ساهم هذا التشريع الحديد في تنظيم العلاقات التجارية بين الدول، وقد حققت التجارة الإسلامية مكاسب كبيرة في عالم التجارة، حيث فتحت أبواب الدولة الإسلامية للتجارة، وجلت الضرائب ولسلح إلى الدولة الإسلامية من كل أنحاء العالم، وهذا بطبيعة الحال شجع التجار المسلم ولأجبي على زيادة نشاطهم في التصدير والاستيراد من كافة أنحاء العالم، وبذلك نشطت المركز لتجارية داخل بلاد الدولة الإسلامية بما فيها الجزيرة، وراحت حركة القوافل التجارية القديمة والذخيرة من أقاليم الجزيرة إلى الأقاليم الإسلامية الأخرى، كما استفادت موانئ بلاد الإسلام السبع الكبيرة التي تصل إليها من الهند و الصين وشرقي إفريقيا محممة بأعلى وأفضل البضائع وظهر ذلك جلياً في العصر الراشدي والدولة الأموية^(٤)، وقد كان في عهد عمر عشائرون يأخذون ركة ما يمر بهم من أموال لتجار ويعتبرون الصواب والخول، قال أنس بن مالك: بعثني عمر بن الخطاب على جبهة عرق، وقد بلغ ما من المسلم مائتي

(١) موسوعة لغة عمر بن الخطاب ص ٦٥١

(٢) الخراج لأبي يوسف ص ١٤٥، ١٤٦ سبيل المال ص ١٢٨،

(٤) التجارة وطرقها في الجزيرة العربية د. محمد العمادي ص ٣٣٢

درهم فخذ منها خمسة دراهم، وما زاد على المائتين، ففي كل أربعين درهماً، درهم^(١) وذكر الشيباني أن عمر بن الخطاب بعث زياد بن حريز، وقيل: زياد بن حدير مصدقاً إلى عين التمر، وأمره بأن يأخذ من أموالهم ربع العشر، ومن أهل الدمة إذا احتلموا بها للتجارة نصف العشر، ومن أموال أهل الحرب العشر، وجعل عمر بن الخطاب نفقة لعاشر أي المصدق من المال الذي يأخذه^(٢)

إن من يفكر في ذلك التحديد الذي رسمه الخليفة عمر من الخطاب رضي الله عنه قد يصل إلى أنه فرض العشر على الحربيين لمعاملتهم المسلمين كذلك، فهذا مبدأ المعاملة بالمثل، وأنه فرض نصف العشر على أهل الدمة تمبيراً لهم عن المسلمين، وتطبيقاً لما سبق أن فرضه على مصاري بني نعلب، الذين قبلوا أن تؤخذ منهم الحرية ضعف ما يؤخذ من المسلمين من الصدقة، وأن ما قرره على المسلمين هو بمثابة زكاة، ومعروف نصاب الزكاة لعروض التجارة، وهو الذي جعله حداً أدنى لأحدها وضع من تكرار أحدها من المسلمين وأهل الدمة، ما دام رأس المال ثابتاً والصفاعة الواردة لم ترد قيمتها عنه، ولو تكررت مرات دخولها، إلا بعد الخول، وتمشياً لمبدأ المعاملة بالمثل، فإنه حينما يرفع أهل الحرب ما يأخذونه من المسلمين من ضريبة، فيحق للمسلمين رفع الضريبة على ما يرد منهم إلى دار الإسلام بنفس النسبة، وكذلك الحال عند إسقاطهم لها، فعلى المسلمين إسقاطها عنهم. وهذا ما تسير عليه الدول حديثاً، ويسمى برفع الخواجر الجمركية^(٣)، وعندما يكون المسلمون في حاجة إلى معص الصانع والمنتجات الواردة إليهم فإنهم يحمضون أو يعفون التجار من صريبتها تشجيعاً لتوريدها، والإكثار منها، وقد فعل الخليفة عمر رضي الله عنه ذلك، حين أمر عماله أن يأخذوا نصف العشر من الحربيين حين دخولهم أبحار بالريث والحبوب، كما أمر بإعصاتهم أحياناً أخرى، فعن الزهري عن سالم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه، أنه كان يأخذ من البطح من القطية العشر، ومن الحنطة والربيب نصف العشر؛ ليكثر الحمل

(١) الحية الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى ص ١٠٩ .

(٢) شرح المسير الكبير (٢١٣٣/٥، ٢١٣٤) الحية الاقتصادية ص ١٠٩ .

(٣) مجلة المال في الإسلام ص ١٣٢ .

إلى المدينة^(١)، وقد كان لهذه التنظيمات المالية التي وجدت أيام الخليفة عمر من الخطاب أثره، المع الكبير في سهولة التبادل التجاري بين المسلمين وحبيرانهم، وورود أصناف متعددة من متطلبات الناس واحتياجاتهم فهو لم يقتصر اهتمامه على تنظيم المواد الآتية إلى بيت المال، بل نظم الطرق التي بواسطتها ويسبها يزداد دخل بيت المال، وتعم البلاد بالرخاء ورغد العيش، ومن ذلك اهتمامه بالتجارة الخارجية، وحسن معاملته لأهلها، وتبعية العمال والأمراء، والكتابة إليهم بذلك وحرصه على استيفاء حقوق الدولة من غير تعسف في جبايتها^(٢).

٥- الفبي والغنائم:

أما الفبي، فهو كل مال وصل المسلمين من المشركين من غير قتال، ولا بإيحاء خيل ولا ركاب، ويوزع خمس لفبي على أهل الخمس^(٣) الذين بينهم الله سبحانه في كتابه الكريم. ﴿مَا أَهَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (الممتة: ٧).

وأما الغنائم، فهي ما جلب عليه المسلمون من مال أهل الحرب حتى يأخذوه عنوة^(٤)، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُرْنَا عَلَىٰ عَبْدًا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ تَفْتَقَىٰ الْجُجُفَانُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: ٤١).

ففي خلافة عمر رضي الله عنه زادت الغنائم زيادة كبيرة لاتساع المناطق المفتوحة ولما كانت تتمتع به من اردهار اقتصادي كبير، وكان القادة المرس والروم يخرجون إلى الميدان بكامل انهمهم، فيقع سلبهم للمسلم، وأحياناً يبلغ ١٥,٠٠٠ درهم، و ٣,٠٠٠ درهم^(٥)، وقد فتحت المدن العظيمة كالملائس وجلولاء وهمدان والري

(١) مبسة ذلك في الإسلام ص ١٢٢ .

(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل عبد الله المصري ص ٢٢٢

(٣) المخرج لأبي يوسف ص ١٩ نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص ١٨٢

(٤) عصر الخلافة الراشدة ص ١٨٨

وصطخر وغيرها، فحار المسلمون أموالاً عظيمة، مثل ساط كسرى، وهو ٢٦ دراع مربعة، أرضه مفروشة بالذهب وموشى بالنصوص وفيه رسوم ثمار بالخواهر، وورقها بخير، وفيه رسوم للماء الحار بالذهب، وقد بيعت بعشرين ألف درهم (٢٠٠ درهم) وحار المسلمون الذهب والفضة والحوهرات العظيمة من عندهم جلولاً ونهاوند، حيث بلغ خمس جلولاً ستة ملايين درهم^(١)، وأعظم الغنائم هي أرض السواد التي وقفها عمر رضي الله عنه للدولة، وأراضي الصوامي التي قتل أصحابها أو فروا عنها، وأملاك كسرى وأهله، حيث جعلت غلتها للدولة، فكانت بإدارتها لصالح بيت المال، ويقال: إن غنتها - فيما بعد - بلغت سبعة ملايين درهم، فقد كانت العنائم عظيمة القدر، وبها أعنت المسلمين أفراداً ودوة وارتفعت بمسوى المعيشة وظهرت آثارها أكثر جلاء في خلافة عثمان رضي الله عنه^(٢).

هذه هي أهم مصادر الدولة في عهد الفاروق رضي الله عنه

ثانياً بيت مال المسلمين وتدوين الدواوين:

بيت المال هو المكان الذي ترد إليه جميع موارد الدولة، وهو كذلك المكان الذي تصرف منه جميع مصروفاتها من إعطيات الخلفاء والحيش والفضة والعمال والمرافق العامة والخاصة للدولة وهكذا^(٣)، وأم الدواوين فهي السجلات والدفاتر التي تسجل فيها أمور الدولة وقد أطلقت كلمة ديوان على المكان الذي يجتمع فيه الكتاب والموظفون العاملون بتلك السجلات عند الفرس^(٤)، وفي بداية الدولة الإسلامية لم يكن هناك بيت مال بالمعنى الذي عرف به فيما بعد، فقد كانت سياسة الرسول ﷺ تقوم على ألا يؤخر تقسيم الأموال أو إنصافها، وقد سار أبو بكر على نهج النبي ﷺ، وبهج عذروق طريق صاحبيه في أول خلافته، حتى اتسع سلطان الدولة شرقاً وغرباً، وبدأ بالتفكير في طريقة يدر فيها ما تجمع لدى الخليفة من أموال الفتوحات وغنائمها، وإيرادات الحزبة والخراج والصدقات، فكثر الحشوش

(٢٠١) عصر الخلافة الراشدة من ١٨٩ .

(٣) سياسة المال في الإسلام ص ١٥٥ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ٢٤٣ ، سياسة المال في الإسلام ص ١٥٥ .

واحتجت إلى ضغط احتياحاتها ومساء رجالها خوفًا من ترك أحدهم دون عطاء، أو تكرار العطاء للآخرين وتوالى حملات الفتح وانتصاراتها، فكثرت الأموال بشكل لم يكن معروفًا لدى المسلمين من قبل، فرأى أمير المؤمنين عمر ألا طاقة للحليمة وأمرائه بصيبتها، وأنه ليس من الحكمة الاقتصادية أن يترك زمام الأمور المالية بيد الأعمال والولاء دون أن يصعبها عدًا أو يحصنها حسابًا، فكان نتيجة ذلك التفكير مليًا في وضع قواعد شتى لهذه الأموال، ومن هنا نشأ الديوان، وكان عمر يريته هو أول من وضع الديوان في الدولة الإسلامية^(١) وقصة ذلك كما تناقلها المؤرخون أن أبا هريرة قال: قدمت من البحرين بحماسة ألف درهم فأتيت عمر بن الخطاب يريته فسألني عن الناس، فأخبرته، ثم قال لي: ماذا حثت به؟ قال قلت: حثت بحماسة ألف، قال ويحك، هل تدري ما تقول؟ قلت: نعم، مائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف، قال إنك باعسر، رجع إلى أمك فسم، فإد أصبحت فانتني، فلم أصعبت أثيت، فقال: ماذا حثت به؟ قلت: حثت بحماسة ألف، قال: ويحك! هل تدري ما تقول؟! قلت: نعم، مائة ألف، حتى عليها خمس مرات، بعدها بأصابعه الخمس قال: أظيب؟ قلت: لا أعلم إلا ذلك. قال: فصعب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال أيها الناس، إنه قد جاءنا ما كثير، فإن شئتم أن نملككم كسلًا، وإن شئتم أن نعدكم عدًّا فنم إنيه وحل فقال يا أمير المؤمنين، إني قد رأيت هؤلاء لأعاجم يدبون ديوانًا لهم^(٢)، فاشتبهى عمر ذلك^(٣)، وقد سئار عمر المسلمين في تدوين الدواوين، فأشدر بعضهم بما يراه إلا أن الوليد ابن هشام بن المعيرة، قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانًا وجندوا جندًا، فدون ديوانًا وجند جندًا، وفي بعض الروايات أن نذري قال ذلك هو خالد بن الوليد^(٤)، وذكر بعض المؤرخين أنه كان بالمدينة بعض مراربه لفرس، فلما رأى حيره

(١) سبحة السنن في الإسلام ص ١٥٧

(٢) المصنفات لأبي سعد (٣-١، ٢-٣) خير صحيح

(٣) مدخله ابن خلدون، ص ٢٤٤، ومخراج لأبي يوسف ص ٤٩، ٤٨

(٤) الأحكام السلطانية ص ٢٢٦، ٢٢٧، وشرح الملوك ص ٤٣٦

﴿ ٣١٦ ﴾ ❦ ❦ **عمر بن الخطاب** ❦

عمر قال له: يا أمير المؤمنين: إن للاكاسرة شيئاً يسمونه ديوناً جميع دخلهم وخرجهم مضبوطة فيه لا يشد منه شيء، وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يتطرق عليها خلل، فتنه عمر وقل: صفه لي، فوصفه المزيان فدوّن الدواوين وفرض عطاء^(١)، وقد حيز عثمان التدوين فأشار برأيه أرى مالا كثيراً يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يُعرف من أخذ ممن لم يأخذ، خشية أن يتشتر الأمر^(٢) هذه بعض لروايات التي حدثت ساء على استشارة عمر رضي الله عنه في مرات متعددة لمن يحصرون عدده، وهناك اختلاف بين المؤرخين في السنة التي تم فيها لتدوين، فمن قائل إن ذلك في السنة الخامسة عشرة للهجرة كلطبري وعنه أخذ ابن الأثير وغيرهم، وقال آخرون إن ذلك كان في شهر محرم من سنة عشرين هجرية كلبلاذري، والواقدي، والماوردي وابن خلدون^(٣) وغيرهم، والأرجح أن يكون تم في سنة عشرين هجرية؛ لأنه في سنة خمس عشرة كانت القديمة، ولم يستكمل فتح العراق والشام ومصر إلا بعده^(٤) وقد صار عمر في تقسيم الأموال على خلاف ما صار عليه أبو بكر حيث كان لصديق يقسم الأموال بين الناس بالسوية، في حين قسم عمر أعطيتهم على حسب السابقة في الإسلام والفضل في الجهد وبصرة رسول الله ﷺ^(٥)، وقد كان رأي عمارق هذا من زمن الصديق وقل لأبي بكر لما رآه سؤي بين الناس قل له أتسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى لقتلين، وبين من أسلم عدم العتق خوف سيف؟ فقال له أبو بكر إني عملت لله وإنما أحورهم على الله، وإنما الدنيا دار ملاغ لمراكب، فقال له عمر: لا أجعل من قسائ رسول الله كمن قسّل معه^(٦)، ولذلك قسم عمارق الناس في العطاء إلى:

- ذوي نوابق الذين يسابقتهم حصل المال.

(١) الأحكام السلطانية ص ٢٢٦ ، تاريخ الإسلام السياسي (١، ٤٤٦)

(٢) الأحكام السلطانية ص ٢٢٦ ، سياسة المال ص ١٥٨

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٤ ، سياسة المال ص ١٥٩

(٤) سياسة المال في الإسلام ص ١٥٩ .

(٥) الأحكام السلطانية للماوردي ص ١ - ٢ .

- من يعني المسلمين في حلب المدفع لهم كولاة الأمور والعلماء الدين يجلبون لهم منافع الدين والدنيا.
- من يلي بلاء حسناً في دفع الضرر عنهم كالمجاهدين في سبيل الله من الخوذة والعيون والناصبين نحوهم.
- قوي الحاجات^(١).

هذه سياسته في التقسيم تصممها قوله ليس أحد أحق بهذا المال من أحد إنما هو الرجل وسابقته والرجل وغبؤه، والرجل وبلاؤه، والرجل وحاجته^(٢)، وقد دعا الفاروق رضي الله عنه عقيل بن أبي طالب ومحرمه بن نوفل، وحير بن مطعم، وكانوا من شيوخ فريش وقال: اكتبوا للناس على مازلهم، فعدوا بني هاشم فكتبوهم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوه إلى عمر، فما نظر فيه قال: لا، ما وددت أنه كان هكذا، ولكن ائدوا بقرابة النبي ﷺ الأقرب فالأقرب، حتى تصموا عمر حيث وصعه الله، فجاءت بنو عدي إلى الخليفة عمر رضي الله عنه وقالوا: بك خليفة رسول الله ﷺ وخليفة أبي بكر رضي الله عنه وأبو بكر خليفة رسول الله ﷺ فهو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا فقال: بخ بخ يا بني عدي، أردتم الأكل على ظهري، وأن أهب حساتي لكم لا، ولكمكم حتى تأتكم الدعوة وأن يطق عليكم الدفر - يعني ولو تكتبون امر الناس إن لي صاحبين منكاً طريقاً فإن حالهما خوفاً بي، ولكنه والله ما أدركنا لفصل في الدنيا ولا نرجو الثواب عند الله تعالى على عملنا إلا بمحمد ﷺ، فهو شرفاً وقومه أشرف العرب ثم الأقرب فالأقرب، والله لنش حاجات الأعاجم بعمل وجنا بغير عمل لهم أولى بمحمد ﷺ منا يوم لقيامة؛ فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه^(٣)، وبدأ عمر رضي الله عنه تسجيله بديوان سجل فيه أصحاب الأعطيات ومقدار أعطياتهم، وسمى ديوان الخدم على أساس أن جميع

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ٤٨ - وأولويات الفاروق ص ٢٥٨ .

(٢) جامع الأصول (٧١/٢) - وأخبار عمر ص ٩٤ .

(٣) فتح البلاء ص ٤٣٦ ، والأحكام السلطانية ص ٢٢٧ .

العرب المسلمين جنود للجهاد في سبيل الله، هذا سجله لنحيش بني هاشم الأقرب والأقرب من رسول الله ﷺ ثم عن بعدهم طبقة بعد طبقة، وحمل بكل واحد من المسلمين مبلغاً محدداً، وفرص نزوحات النبي ﷺ وسريه، وسائر المسلمين من الرجال والنساء والأطفال منذ الولادة والعيد بمقادير مختلفة^(١)، ومخراج هذا الدين أظهر عمر اهتمامه بأمر الجهاد في سبيل الله، واعتنى بأمر المحاهدين جمعاً لحقوقهم، وعمل سجل الجند بالنسبة العربية بملكية منورة على يد نفر من نوع قريش وعماء الأنساب منهم، ثم أمر بعمل الدواوين في أقاليم الدولة الإسلامية، فدونت سعة البلاد المفتوحة، ولم يتم تعريبها إلا في خلافة عبد ملث بن مروان وابنه الوليد، وبعد تدوين الدواوين صدر عمر بجمع المال مدة سنة ثم يقسمه بين الناس؛ لأنه يرى أن جمعه أعظم نسيئة، فكان جمع المال يستمره أن يكون له أمد، فكان زيد بن أرقم على بيت المال في عهد عمر^(٢)، وروى أبو عبيد بسنده عن عبد لقاري من قبيلة القارة قال: كنت على بيت المال زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٣).

ثالثاً- مصارف الدولة في عهد عمر:

نقسم مصارف بيت المال إلى ثلاثة أقسام هي: مصارف الزكاة وما يتصل بها، ومصارف الجزية والخراج والعشور وما يتصل بها، ومصروف العنائم وما يتصل بها، وقد بين القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعمل الصحابة رضي الله عنهم مصارف هذه الأنواع^(٤).

١- مصارف الزكاة:

ذكر مولی -عمر وحسن- ثمانية أصناف ممن تجب لهم الزكاة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَّ السَّبِيلَ مَرْبُوعَةٌ مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة آية ٦٠).
وقد كان الفقراء والمساكين في عهد عمر رضي الله عنه يعطون من هذه الأموال ما يعدهم

(١) سياسة المال في الإسلام ص ١٦٠.

(٢) صحيح الأعمش في تراجم الإنشاء لقفقشني (١/٨٩).

(٣) هذه الزكاة (١/٣١٨) هذا المصدر والذي حقه من سياسة المال ص ١٦٠.

(٤) سياسة المال في الإسلام ص ١٦٩.

عن المسكنة والمقر، ويحرحهم من العاقبة والعور، ويقربهم إلى أدنى مراتب الغنى واليسار^(١)، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: إذا أعطيتهم فأغبروا^(٢)، وهذه هي السياسة العمرية الرشيدة وهي إعطاء ما يكفي وزيادة النسبة للعجز المؤقت، أما العجز المزمع من مرضى ونحوه، فإن الزكاة بالنسبة لهذا الصنف من الناس معوية دائمة منتظمة، حتى يرول المقر بالمس، ويزول العجز بالفقرة، والبطالة بالكسب، وتتعدى هذه السياسة العمرية المسلمين فتشمل مسكين أهل الكتاب بعد إسقاط الجزية عنهم^(٣)، كما أن من نفقات الزكاة العاملين عليها فهم نهم وظائف شتى، وأعمال منتشعة، كلها تتصل بتنظيم الزكاة، وإحصاء من تجب عليه، وفيما تجب؟ ومقدار ما يجب، ومعرفة من تجب له؟ وكم عددهم؟ ومبلغ حاجتهم، وقدر كفائتهم، إلى غير ذلك من الشؤون التي تحتاج إلى جهار كامل من الخبراء وأهل الاختصاص ومن يعاربتهم^(٤)، وأما المؤلفات قبلهم، فقد أسقط عمر سهمهم؛ وذلك لأن لإسلام كان قوي أخائب في خلافته فلا حاجة للإعناق من أموال الزكاة على هذا الصنف من الأصناف الثمانية التي نصت عليها الآية^(٥)، وأما في عصرنا الحاضر فلا يزال التأليف موحوداً بصورة أو أخرى، ويوجد من تنطبق عليهم شروط المؤلفات قبلهم^(٦)، وقد استغل بعض حصوم الإسلام ودعاة الجمود من المسلمين إسقاط نصيب المؤلفات قبلهم من الزكاة في عهد عمر رضي الله عنه فكتبوا عن هذه القصة، وادعوا أن عمر رضي الله عنه بهذا أوقف نصاً منصوص القرآن الكريم، وهذا الادعاء ليس بصحيح، كما أنه لا يتفق مع الحقيقة، فالواقع أن الخليفة عمر رضي الله عنه أوقف نصيب المؤلفات قبلهم لسبب وحكمة، وهي أن الإسلام أصبح عزيزاً قوياً بعد أن كان ضعيفاً في عهد الأول، ورأى رضي الله عنه أنه لا داعي لتأليف هؤلاء وهؤلاء بعد العزة والبصر والقوة^(٧).

(١) النظام الإسلامي المأثور من ١١٤، سياسة المال من ١٧١.

(٢) الأموال لأبي حنيفة (٢٧١/٤)، سياسة المال من ١٧١.

(٣) سياسة المال في الإسلام من ١٧٢.

(٤) المصدر نفسه من ١٧٢.

(٥) عصر الخلافة الراشدة من ٢٠٢.

(٦) سياسة المال في الإسلام من ١٧٧، ١٧٨.

وقد وافق الصحابة على قرار الفاروق، ولم تأت هذه الموافقة اعتباطاً وإنما نتيجة الاقتناع بالمررات التي دفع بها لإيقاف إعطاء المؤلفة قلوبهم من حيث إن الإسلام قد عدا في قوة ومكة نجعلانه في عى من عدد قليل لا وزن له، بعد دخول أمة كثيرة في الإسلام، كما أنه ليس ثمة خوف من هؤلاء الذين يطلبون التأليف، بل كان الخوف عليهم أن يظنوا على برعتهم التواكلية، ثم إن حق هؤلاء ليس حقاً موروثاً يتوارثونه حياً بعد جيل^(١)، إن عمر لم يقف جامداً أمام هذا البص فيما يتصل بسهم المؤلفة قلوبهم، فهو قد فهم أن المقصود من البص هو عزار الإسلام بدخول أشرف العرب فيه، وتثبيت من أسلم منهم على الإسلام، فقد نظر إلى علة البص لا إلى ظاهره، وحيث أعر الله الإسلام وكثر أهله فقد أصبح الإعطاء حينئذ - في نظر عمر - ذلة وخنوعاً، وزالت العلة التي من أجلها جعل الله للمؤلفة قلوبهم نصيباً من الزكاة، وبناء على ذلك أوقف عمر هذا السهم ولم يعطه لهم، وبناء على هذا الفهم الصحيح لا يجوز أن يقول: إن عمر ألغى العمل بالبص القرآني المتعلق بإعطاء المؤلفة قلوبهم نصيباً من الزكاة لأن ذلك من قبيل النسخ، ولا نسخ إلا من طرف صاحب الشرع نفسه وعليه فلا نسخ بعد وفاة الرسول ﷺ^(٢)، لقد كان عمر رضي الله عنه يراعي تغير الظروف والعلل التي بنيت عليها نصوص الأحكام، ولم يكن يقف مع ظواهرها كما سبق القول^(٣)، كما كان الإنفاق في الرقاب، والعارمين، وفي سبيل الله وابن السبيل، وقد اعتنى القرآن الكريم بابن السبيل أتم اعتناء، فقد جعل له سهماً من الزكاة ونصيباً من القبي ومن خمس الغنائم، وعناية الإسلام بالمسافرين الغرباء والمقطعين عداة لم يعرف لها نظير في نظام من الأنظمة أو شريعة من الشرائع، ويؤكد هذه العناية هدي النبي ﷺ والصدق، كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتخذ في عهده داراً خاصة أطلق عليها (دار الدقيق)، وذلك أنه جعل فيها الدقيق والسويق ونتمر ونزيب وما يحتاج إليه، يعين به المقطع، والضيف ومن ينزل بعمر، ووضع

(١) الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام ص ٦٠ .

(٢) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٣٤ .

عمر في طريق السبل ما بين مكة والمدينة ما يصلح من يتقطع به، ويحمل من ماء إلى ماء^(١).

إن هذا التحديد للأصناف الثمانية يوحى على الدولة حصرهم وتنوع حالتهم وأن يكون هناك سجلات في كل بلد، ثم في الأمر الرئيسي للدولة، وقد كان للمصدقة ديوان مناص بها هي دار الخلافة، له فروع في سائر الولايات وقد كان ذلك في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه بعد تدوين الدواوين^(٢)، إن نظرة إلى تلك الأصناف الثمانية الذين ذكرتهم الآية تلاحظ أنها قد شملت المصالح الدينية والسياسية والاجتماعية من دعوة للجهاد في سبيل الله، وتكوين الخيوش، والعمل على القضاء على الفقر، وسداد الدس، ودفع الحاجة عن ذوي الحاجة، أي إنها تشمل كل متطلبات المجتمع وإيجاد الأمن والمحبة والتآلف بين أقرانه^(٣).

٢- مصارف الجزية والحراج والعشور:

تصرف في أعطيات الخلفاء، والعمال والخدم، وآل البيت، وروحات المجاهدين وغيرها من أوجه الخير.

• أعطيات الخليفة: وقد فرض للخليفة عمر رضي الله عنه من الأعطيات خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم على رواية أخرى

أعطيات العمال: أي ولاية الأقاليم، ففي عهد الخليفة عمر رضي الله عنه، عين الفاروق في كل ولاية، والياً حازماً عادلاً لحكمها وإدارتها، وروى عدد من الأعوان والمساعدين والحياة والقضاة والكتاب وعمال الحراج، والصدقات وغيرهم، فكان للصلاة والحرب عامل - وهو لأمير - ولتحصيل الأموال عامل آخر، وللمساحة الأراضي وتقدير الضرائب وإحصاء الناس عمال لهم حبرة ودراية، وقد أجرى لهم الأعطيات بما يتناسب مع منصب كل منهم وما تتطلبه أعماله، مراعيًا في ذلك حالة الإقليم من قرب وبعد، وتوفر خيرات، ورخص وضلاء، ولم يجعل لصرفها موعداً

ثابتاً لا يتحلف^(١)، وسيأتي الحديث عن العمال بالتفصيل بإذن الله عند حديثنا عن مؤسسة العمال.

- أعطيات الجند:

اهتم عمر رضي الله عنه بأمر الجند فظم ديوان الجيش، وسار في تقسيم لأوراق فيه على أساس القربي من النسب النبوي الشريف، والسابقة للإسلام^(٢)، وبذلك أصبح في مقدمة أصحاب المعاشات آل بيت رسول الله ﷺ وهم أبو هاشم وكان العباس يتسلمها ويوزعها عليهم، ثم زوجات النبي ﷺ وتختص كل واحدة بمعاش مستقل عن آل البيت، أما بقية المسلمين فقد قسموا إلى طبقات حسب ترتيب اشتراكهم في الجهاد في سبيل الله، فبدأ بأهل بدر، ثم من حاربوا بعد بدر إلى الحديبية، ثم من حاربوا من الحديبية إلى آخر حروب الردة، ثم من تلاهم عن شهد القادسية واليرموك وهكذا، كما أنه جعل محصيات لزوجات المحاربين وأطفالهم منذ الولادة ولم يعقل أمر الغلمان، واللقطاء، بل حصص لهم أعطيات سنوية، أدناها مائة درهم، تزايد عد بلوعهم^(٣)، كما فرض للموالي من ألفين إلى ألف^(٤)، وقد وردت روايات كثيرة تتفق فيما بينها في كثير من أرقام المقررات التي قررها الخليفة عمر رضي الله عنه أعطيات للجند، وتختلف بعض الاختلافات في تلك المقادير^(٥)، وأما ما صرح من مقادير العطاء، فإن عطاء زوجات النبي ﷺ كان عشرة آلاف درهم (١٠٠٠ درهم) كل سنة إلا جويرية وصفية وميمونة فقد فرض لهن أقل من ذلك، ثم زاد عطاءهن إلى اثني عشر ألف درهم (١٢٠٠ درهم) إلا صفية وجويرية كان عطاؤهن ستة آلاف درهم (٦٠٠٠ درهم)، وقد طالبت عائشة بالمساواة بين أمهات المؤمنين، فوافق عمر على مساواتهن، وكان عطاء المهاجرين والأنصار أربعة آلاف درهم (٤٠٠٠ درهم) لكل واحد سنوياً سوى عبد الله بن عمر بن الخطاب فإنه فرض له ثلاثة آلاف وخمسمائة درهم (٣٥٠٠ درهم) معللاً ذلك بأنه هاجر به أبوه، أي ليس كمن هاجر

(٢) الأحكام السلطانية من ٢٢٧، سيرة لال من ١١٩

(٤) تاريخ الخلفاء (٢/ ١٥٢، ١٥٤)

(١) سيرة لال في الإسلام من ١٩٨

(٣) الطبقات (٣/ ٣٠١).

(٥) سيرة لال في الإسلام من ٢٠٠.

بنفسه^(١)، وكان عبد الله صبيًا حين الهجرة، ثم رد المهاجرين ألفًا فصار عتوهم خمسة آلاف درهم (٥٠٠ درهم) كل سنة^(٢)، ويدنو أن هذا العطاء للبدرين فقط من المهاجرين والأنصار^(٣)، وأما من شهد صلح الحديبية فكان عطاؤه ثلاثة آلاف درهم (٣٠٠ درهم) كل سنة^(٤)، وعرض لكل مولود مائة درهم (١٠٠ درهم) وكان يفرض للفتيم ثم فرض للمولود حين ولادته حوقًا من تعجيل فطامه، وأما أمواله فقد فرض لأشرافهم كالأهرم من حينما أسلم أنفي درهم (٢٠٠ درهم) وغير ذلك من الأعطيات، وإضافة إلى لعطاء السنوي فإن عمر رضي الله عنه كان يوزع عطايا متفرقة^(٥)، وإلى جانب ما خصص لكل فرد من سبق ذكرهم وريادة على عطائه السابق طعام من الحنطة كل شهر^(٦)، وقد قل الخليفة عمر رضي الله عنه في آخر عهده: لن كثر المال لأفرصن لكل رجل أربعة آلاف درهم، ألف لسره، وألف لسلاحه، وألف يحلفها لأهله، وألف لفرسه ونعله^(٧)، وقد رأى الخليفة عمر رضي الله عنه أن لكل مسلم حقًا في بيت المال، منذ أن يولد حتى يموت، ولقد أعلن هذا المبدأ بقوله: والله الذي لا إله إلا هو - ثلاثا - ما من أحد إلا له في هذا المال حق أعطيه أو منعه، وما أحد بأحق به من أحد إلا عبد مملوك، وما أن فيه إلا كأحدكم، ولكننا على منازلنا من كتاب لله وقسمت من رسول الله ﷺ فالرجل ويلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وعناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته، والله لن يقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حفظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه^(٨)، ومن المهم أن نتبين وجهة نظر عمر رضي الله عنه في عدم المساواة بين المسلمين في العطاء، ودعمه الواضح لقراءة الرسول ﷺ ولكبار الصحابة من المهاجرين والأنصار واعتباره لسابقة في الإسلام وللبلاء في الجهاد، فلا شك أن الفئة التي حازت الأموال الوفيرة في خلافته هي التي أقامت على اكتافها صرح الدولة الإسلامية، كما أنها أكثر فقها

(١، ٤) المصدر نفسه ص ٢١٥.

(٢-٣) عصر الخلافة الراشدة ص ٢١٤.

(٦) سياسة المال في الإسلام ص ٢٢.

(٧) سياسة المال في الإسلام ص ٢٠٣، الطبقات الكبرى (٢/٢٩٨).

(٨) الطبقات الكبرى (٢/٢٩٩) كتاب الطواغيت لابن يوسف ص ٥٠.

والترام بالشرع ومقاصده، وأكثر ورعاً وصلاًحاً في التعامل مع المال، وتدريبه لتحقيق المقاصد الاجتماعية عن طريق الإنفاق، ودعم هذه الفئة اقتصادياً بقوي نفودها في المجتمع، ويجعلها أقدر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويلاحظ أن عمر رضي الله عنه عزم على تبديل سياسة التفصيل في العطاء إلى المساواة، وقد صرح بذلك في آخر خلافته قائلاً: «لئن بقيت إلى قابل، لأخضع آخر الناس بأولهم ولا جعلهم بيتاً واحداً»^(١) - أي سواء - وأما عن نظرة عمر إلى الأموال العامة فقد عثر عنها بقوله: «إن الله جعلني حارثاً لهذا المال، وقاسماً له، ثم قال: إن الله يقسمه»^(٢)، وقد مكى عندما رأى عظمة الأموال التي جلبت إلى بيت مال في فتوح فارس، فلما ذكره عبد الرحمن بن عوف بأنه يوم شكر وسرور وفرح وقال عمر رضي الله عنه: «كلا إن هذا لم يعطه قوم إلا أنقي بينهم العداوة والبغضاء»^(٣)، ونظر إلى أموال فتح حلولا، فقرأ الآية: ﴿رَبِّ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِي وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةُ﴾ (١٤ عمر، ١٤٠هـ) وقد: اللهم لا نستطيع إلا أن نفرح بما زيننا، اللهم فاجعلني أنفق في حقه، وأعوذ بك من شربه»^(٤).

٣- مصارف الغنائم

أما توزيع الغنائم فقد قسمها الله تعالى ورسوله ﷺ كما جاء في الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (٥١، ٥٢)، وأما أربعة أحماس العنيفة الباقية فكانت توزع بين العامين، للفرس ثلاثة أسهم، سهمان لفرسه وسهم له، وللراجل سهم^(٥)، وقد كان للرسول ﷺ سهم في حياته ينفقه على نفسه، وأرواحه، وما بقي من هذه الأسهم كان يجعله في المصالح العامة أو ينفقه على أهل الفاقة والاحتياج، وكان للزوي

(١) عصر الخلافة الراشدة ص ٢١٦، الأموال ابن حجرية (٥٧٦/٢)

(٢) الآثار صحيح، عصر الخلافة الراشدة ص ٢١٦

(٣) عصر الخلافة الراشدة، ص ٢١٧ الآثار صحيح

(٤) عصر الخلافة الراشدة ص ٢١٧ الآثار حسن

(٥) المخرج لأبي يوسف ص ٢٢

عمر بن الخطاب (٢٢٥)

قربى الرسول ﷺ السهم الثاني، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب الذين خضعوا للإسلام وشمئتهم دعوته ﷺ. وقد اختلف الناس بعد وفاة لرسول ﷺ في هذين السهمين، سهم الرسول ﷺ، وسهم ذوي القربى، فقال قوم: سهم الرسول ﷺ للخليفة من بعده، وقال آخرون: سهم ذوي القربى لقرباه الرسول ﷺ، وقالت طائفة: سهم ذوي القربى لقرباه الخليفة من بعده، فأجمعوا على أن جعلوا هذين السهمين في الكراع والصلاح^(١)، وبذلك أصبحت محصيات السهمين تصرف في مصالح المسلمين العامة. كتجهير الحيوش، وسد الثغور، والعمل على تقوية الدولة وتمكيبها، في عهد الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأما محصيات انقراء واساكين وأساء ليل، فقد بقيت كما كانت على أيام الرسول ﷺ، ولم يطرأ عليها أي تغيير أو تعديل في أيام الخليفة الثاني رضي الله عنه^(٢).

هذه بعض المعالم الرصحة على المؤسسة المالية في زمن العاروق وكيف عمل على تطويرها، وقد كان رضي الله عنه شديد الورع في المال العام وبطهر ذلك في قوله: أنا أحر كم بما أستحل من مال الله، حلة الشتاء ونقيط وما أحج عليه وأعتمر من الطهر، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأعاهم ولا بأفقرهم، أنا رجل من المسلمين يصيبني ما يصيبهم^(٣)، وكان يقول: اللهم إني لا أكل إلا وجستي، ولا ألس إلا حلتي، ولا أحد إلا حقني^(٤). وكان يقول: إني أنزلت مال الله في عملة مال اليتيم، من كان عبياً فليستعفف، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف^(٥).

٤- أمور متعلقة بالتطوير الاقتصادي في الدولة:

- إصدار النقود الإسلامية:

النقود من المعادن الثمينة كالذهب والفضة، وهي وسيلة ضرورية للحياة

(١) المخرج لامي يوسف ص ٢٢

(٢) سياسة المال في الإسلام ص ٥، ٦، ٧.

(٣) تاريخ المدينة لابن شبة (٦٩٨/٢) الأكثر صحيح

(٤) للصدر نفسه (٦٩٨/٢)، عصر الخلافة الراشدة ص ٢١٨

(٥) الطبقات (٣١٢/٣)، عصر الخلافة الراشدة ص ٢١٨

الاجتماعية الخاصة والعامة، لا سيما في التعامل بين الأمم والدول، وما يعيننا من هذا الموضوع - وقد أصبح للإسلام دولة فيها مسلمون وغيرهم من الناس، ويحاورها أمم ودول ذات نظم وحضارات، طلّت تتعامل مع الدولة الإسلامية في عهد عمر وغيره من خلفاء وأمرء المسلمين - هو الناحية التنظيمية والإدارية التي سلكها عمر بشأن النقود، سواء أكان في داخل الدولة الإسلامية أم في دور الحرب الأخرى^(١)، فالمعلومات التاريخية تشير إلى: أن عمر بن الخطاب قد أبقى على تداول النقود والعملّة التي كانت متداولة قبل الإسلام وفي عهد الرسول ﷺ وأبي بكر عا كسب عليها من نقوش هرقلية عليها نقوش مسيحية أو كسروية رُسم فيها بيت النار، بيد أنه أقرها على معيارها الرسمي المعروف على عهد النبي ﷺ وأبي بكر، مصيِّفًا إليها كلمة جائز، لتمييزها من البهارج الرثافات^(٢)، فالذي ضرب النقود لسكوك في الخارج وأقر التعامل بها وقرر الدرهم الشرعي في الإسلام هو الفاروق رضي الله عنه، يقول المؤرخون: إن عمر بن الخطاب هو الذي حدد مقدار الدرهم الشرعي^(٣)، ويقول المقررون: وأول من ضرب النقود في الإسلام عمر بن الخطاب سنة ثمان عشرة من الهجرة على نقش الكسروية، وزاد فيها 'أحمد لله' وفي بعضها 'لا إله إلا الله، وعلى حرة منها اسم الخليفة عمر^(٤)، وعليه فإن الفاروق رضي الله عنه قد وضع تنظيمًا خاصًا لوسيلة من وسائل الحياة الضرورية للمسلمين وغيرهم في أثناء حكمه، وقد سمى الخلفاء الراشدون وغيرهم ممن طورا هذا الأمر مع تطور وتقدم المدينة والحضارة^(٥).

- الإقطاع:

مضى أبو بكر رضي الله عنه في تطبيق السياسة السوية في إقطاع الأراضي للناس طبقًا لاستصلاحها، فقد أقطع الزبير بن العوام أرضًا مؤنثًا ما بين الحرف وقاة^(٦)، وأقطع

(٢) المصدر نفسه ص ٣٦٦ .

(١) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص ٣٦٤ .

(٤) شعور النقود في ذكر النقود ص ٣١-٣٣ .

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٤٧ .

(٥) الإدارة العسكرية في عهد عمر ص ٣٦٧ .

(٦) الطبقات الكبرى (١٠٤/٣) الأثر صحيح، عصر الخلافة الراشدة ص ٢٢ .

مخاعة بن مرارة الحنفي الحضرمية (قربة كانت باليمامة) وأراد إقطاع عيبة من حصن الصراري والأقرع بن حابس التميمي أرضاً مسبعة - ليس فيها كلاً ولا ممعة - أردا استصلاحها ثم عدل عن ذلك أحدًا مرأي عمر رضي الله عنه في عدم الحاجة لتأليفهما على الإسلام، فقد قال لهما عمر رضي الله عنه ' إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يؤمنه دليل، وإن الله - عز وجل - قد أعز الإسلام، فاذهبما فاجهدا جهدكما^(١)، ومن الواضح أن اعتراض عمر ليس على مبدأ الإقطاع لاستصلاح الأراضي بل على أشخاص بعينهم لا يرى تأليفهم على الإسلام، وقد توسع عمر رضي الله عنه في إقطاع الأراضي لعرص استصلاحها جرياً على السياسة النبوية، فقد أعلن: يأبى الناس من أحيا أرضاً مينة فهي له^(٢)، وتعتضد آثار ضعيفة لتؤكد انتزاع عمر رضي الله عنه ملكية الأرض المنقطعة إذا لم يتم استصلاحها، وتحدد رواية ضعيفة لذلك ثلاث سنوات من تأريخ الإقطاع، وقد ثبت إقصاع عمر رضي الله عنه لحنوت بن جبير أرضاً مواتاً^(٣) وللزبير بن لعوام أرض العقيق جميعها، ولعلي بن أبي طالب أرض ينبع، فتدق فيها الماء الغزير، فأوقفها علي رضي الله عنه صدقة على الفقراء، وتوحد آثار ضعيفة لإقطاعه عدداً من الصحابة الآخرين^(٤).



(١) البخاري، التاريخ الصغير (١/ ٨١)، عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٢١

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص ٢٢١ الأثر صحيح.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢١ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٢٢ .

■ الفصل الخامس ■

فقه عمر رضي الله عنه في التعامل مع الولاية

لما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد عمر، قسم الدولة أقساماً إدارية كبيرة، ليسهل حكمها والإشراف على مواردها، وقد كانت مفتوحات سبباً رئيساً في تطوير عمر لمؤسسات الدولة ومن بينها مؤسسة الولاية.

المبحث الأول: أقاليم الدولة

يعتبر تقسيم الولايات في عهد عمر امتداداً في بعض نواحيه لما كانت عليه في عهد أبي بكر رضي الله عنه، مع وجود تعبيرات في المنصب القيادية لهذه الولايات في كثير من الأحيان وإليك نبذة مختصرة عن هذه الولايات.

أولاً: مكة المكرمة:

تولى ولاية مكة في عهد عمر رضي الله عنه مُحَرَّرُ بْنُ حَازِمَةَ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ثُمَّ وَلِيَّ مَكَّةَ لَعْمَرُ بْنُ عُصَيْرٍ بْنِ جَدْعَانَ التَّمِيمِيِّ، وشأنه شأن من سبقه فلم تذكر أحداً عن مدة ولايته لمكة أو أحداثها. وبعده تولى مكة لعمر (نافع بن الحارث الخزاعي) وقد توفي عمر رضي الله عنه وهو على مكة وذكرت المصادر بعض الأحداث عن ولايته مكة منها شراؤه دراً من صفوان بن أمية بغرض جعلها سجناً وذلك فيما رواه البخاري^(١) وقد ورد أيضاً أن نافعاً بقي عمر به (عُسْفَد) أثناء قدومه لفتح فحل له عمر: من استعملت على الوادي يعني مكة؟ قال نافع: ابن (أُبْرِي) قال: ومن ابن أُبْرِي؟ قال: مولى من مواليها، فقال: استعملت عليهم مولى؟ فقال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض. قل عمر: أما إن نبيكم قال، الله يرفع بهذا الكتاب قومًا ويضع به آخرين^(٢)، وفي عهد عمر كانت أبرز الأعمال لولاية مكة هي توسعة الحرم المكي حيث قام عمر بشراء بعض الدور المجاورة للحرم وأمر بهدمها وإدخالها

(١) البخاري، ٤، المحفوظات (٢٥، ٣) باب الربط وأجبر منه أحمد ولم ٢٣٢ الموسوعة الحديثية إسناده صحيح
(٢) الولاية على الملوك عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٦٧/١) وهذا أهم مرجع في الفصل وقد تمت بتدقيق هذا الكتاب

صمم حرم المسجد وبنى حوله حدرًا قصيرة. كانت مكة ملتقى الأمراء والولاة في مختلف لأصقاع بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في موسم الحج وبالتالي كان لمكة دور أساسي كبير كأحدى لولايات الرئيسة للدولة الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه

ثانيًا - المدينة النبوية:

يعتبر الخليفة هو الولي المباشر للمدينة، مصرًا لأنه كان يقيم فيها وبالتالي كان يتولى شئونها ويسوس أمورها، وخلال غياب الخليفة عمر عن المدينة كان يولي عليها من يقوم مقامه في إدارة شئون المدينة المختلفة، فكان عمر أحيانًا يولي على المدينة خلال بعض أسفاره أو حجه (زيد بن ثابت رضي الله عنه)^(١) كما ولي عمر عبي بن أبي طالب على المدينة عدة مرات أثناء عيابه^(٢) وهكذا فإن عمر رضي الله عنه سار على سياسة الرسول ﷺ وأبي بكر في لاستخلاف على المدينة في حال عيابه، وتكتسب ولاية المدينة المسورة أهمية سياسية متميزة بين لولايات المختلفة في تلك الأيام لعدة أسباب على رأسها أنها مقر الخليفة عمر، ومصدر الأوامر إلى مختلف الأقاليم الإسلامية ومنها تنطلق الجيوش المجاهدة، يضاف لذلك أنها مقر إقامة الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، والذين كان عمر يجمعهم من الانتشار في لأصقار^(٣). ولذلك كان يفد إليها الكثير من طلاب لعلم الذين يريدون أن يأخذوا لقرآن وسنة الرسول ﷺ وفقههما من أفواه الصحابة رضوان الله عليهم^(٤).

ثالثًا - الطائف:

تعتبر الطائف إحدى أهم المدن الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه، وكانت قد حركة الجهاد بالمقاتلين الأشداء، وكان وليها منذ عهد الرسول ﷺ عثمان بن أبي العاص وأقره أبو بكر على ما كان عليه، واستمرت ولايته على الطائف لمدة سنتين من خلافة عمر، وقد نافت نفس عثمان بن أبي العاص إلى الجهاد، فكتب إلى عمر يستأذنه في الغزو فقال له عمر: أما أن فلا أعزلك، ولكن استخلف من شئت فاستخلف رجلاً

(١) الولاية على البندان (١/٦٨).

(٢) تاريخ اليعقوبي (٢/١٥٧).

(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/١٤٧).

(٤) الولاية على البلدان (١/٦٨).

عمر بن الخطاب

من أهل الطائف مكانه، وعين عمر عثمان على عماد والبحرين^(١) وقد ورد أن والي عمر على الطائف حين وفاته هو (سفيان بن عبد الله الثقفي)^(٢)، وقد كان بيته وبين عمر بن الخطاب مكاتبات تتعلق بأخذ الزكاة من الخضار والفواكه أو من العمل^(٣)، ولكنها نزلت على كثرة المزارع ووفرة الإنتاج الزراعي في الطائف أيام عمر بن الخطاب رضي، وقد ضلت مدينة الطائف وما حاورها تنعم بالاستقرار في عهد عمر رضي، وقد كانت لأهل مكة متنفساً يقدمون إليه في الصيف^(٤)، واعتبرت الطائف أحد الأمصار الرئيسة التابعة للدولة الإسلامية في عهد عمر^(٥).

رابعاً - اليمن:

عندما تولى عمر رضي الخلافة كانت اليمن تنعم بالاستقرار، وقد ضببطت أمورها عن طريق ولاية مورعين في أنحاء اليمن، وقد أقر عمر عماد أبي بكر على اليمن^(٦)، وكان يعلى بن أمية أحد ولاء أبي بكر على اليمن، وقد لمع اسمه في خلافة عمر بن الخطاب، وذكره المؤرخون بأنه وال بعد ذلك على أنه والي عمر على اليمن واشتهر بذلك حتى وفاة عمر رضي^(٧) وقد أوردت المصادر العديد من الحوادث التي وقعت لوالي اليمن (يعلى بن أمية) مع بعض لاهلي من اليمن، إضافة إلى حديثها عن بعض القضايا التي قدم أصحابها شكاوى ضد يعلى أمام عمر بن الخطاب، مما استلزم استدعاء يعلى إلى المدينة المنورة عدة مرات حتى حقق خلالها عمر معه في هذه القضايا^(٨)، وفي أثناء غياب يعلى كان عمر أحياناً يعين مكانه من يقوم بعمله، وقد كانت بين يعلى وعمر عدة مكاتبات تتعلق بقضايا الزكاة^(٩)، كما ذكر يعلى نفسه ضمن الولاة الذين قاسمهم عمر أموالهم في أواخر خلافته^(١٠) وقد ذكر

(١) تاريخ الطبري (٢٣٩/٥)

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٢٤ .

(٢) الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، دة حسن صفر ص ١٩ .

(٣) لولاية عمر المداد (١) ٦٩

(٤) الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ص ١٩

(٥) غاية الأمل في أخبار قطر البعثة، يحيى بن الحسنى (٨٣/١)

(٦) غاية الأمل (٨٣/١)

(٧) تاريخ الطبري (١٥٧/٢) .

(٨) تاريخ البعثة (١٥٧/٢)

(٩) الأموال للقاسم بن سلام ص ٤٣٦ .

من ولاية اليمن لعمر عند الله بن أبي ربيعة المحرومي، ولعله كان على منطقة محدده من اليمن وهي (الجنبد) كما صرح بذلك الطبري حيث ذكره ضمن ولاته حين وفاته إذ كان والياً لعمر على الجنبد بجانب ذكره ليعني كوال لليمن^(١) وقد لعب أهل اليمن دوراً رئيساً في حركة الفتوح أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاشتركوا في فتوح الشام وهي فتوح العراق ومصر^(٢)، وعندما اختطت الأمصار الإسلامية الجديدة في العراق كبصرة والكوفة نزلتها لكثير من لقاتل اليمنية وعلى رأسها كعدة التي نزلت الكوفة^(٣)، كما استقرت أعداد أخرى من لقاتل اليمنية بالشام، وكان لهم دور كبير في فتوحاتها، كما سكنت مجموعة منهم في مصر بعد إنشاء القسطنطينية^(٤)، ولا شك أن هذه الهجرت المنظمة من لقاتل اليمنية في عهد عمر قد خلطت لها، وقد يكون لأمراء البلدان على اليمن دور كسر في هذا التخطيط وفي عملية توزيع القاتل على الأمصار، ومن هنا كانت اليمن من أهم الولايات الإسلامية على عهد عمر، وكان دورها وتأثيرها واضحاً بالنسبة لمختلف الولايات^(٥).

خامساً- البحرين:

عندما تولى عمر أمر المسلمين كان العلاء بن الحضرمي والياً على البحرين، فأقره عمر في بداية خلافته والياً عليها واستمر عليها حتى سنة أربع عشرة عس أرحح الأقوال^(٦)، وقد اشترك العلاء رضي الله عنه في اخهاد المكر في نواحي بلاد الفرس، وكان له دور رئيس فيه، وفي أواخر فترة ولاية العلاء على البحرين أصدر عمر رضي الله عنه قراراً بعزل العلاء عن الولاية، ونقله إلى ولاية لبصرة وقد كره العلاء ذلك فتوفي قبل أن يصل البصرة ودفن في البحرين وقد قيل في سبب عزله إنه عرا فارس عن طريق البحرين دون إذن من عمر وكان عمر يكره أن يحمل المسلمين في البصرة، وبعد وفاة العلاء تولى على البحرين عثمان بن أبي العاص، فأخذ يحاهد ما يليه من نواحي بلاد فارس، حتى وصل في بعض فتوحه إلى نواحي السند، وقد صدرت أوامر عمر رضي الله عنه

(١) للربيع الطبري (٢٣٩/٥).

(٢) الولاية على البلدان (٧١/١)

(٣) اليمن في ظل الإسلام د. عصام الدين ص ٤٩

(٤) الولاية على البلدان (٧١/١)

(٥) فتوح مصر ولبنان لابن عبد الحكم ص ١١٩-١٢٣

إلى عثمان بن أبي العاص تأمره بالتعاون في فتوحه مع والي البصرة أبي موسى الأشعري فأصبحت جوشهما تتعاون في غزو فارس عن طريق البصرة^(١)

وقد اشتهر عن عثمان بن أبي العاص ورعه وبعده عن الوقوع في الحرام^(٢)، وقد تولى عثمان ولاية البحرين لعمر مرتين على الأقل إذ إنه ولاء للمرة الأولى في السنة الخامسة عشرة ثم احياح إليه لقيادة بعض الحروب في مواسم البصرة، ليشارك في فتوحاتها، وقد تولى (عياش بن أبي ثور)^(٣) البحرين بعد عثمان بن أبي العاص، ويبدو أن فترته لم تطر، ثم ولي عمر على البحرين (قدامة بن مظعون) **رحمته** الذي صحبه أبو هريرة وولي له أمر القصب في البحرين بالإصافة إلى بعض المهام الأخرى، وخلال فترة ولاية قدامة لسحرين امتدحه الناس، إلا أنه حدث في آخر ولايته أن اتهم **رحمته** شرب الخمر، وبعد التحقيق ثبت التهمة، فأقام الماروق عليه الحد وقدامة بن مظعون حال أولاد عمر من الخطب، عبيد الله وأم المؤمنين حفصة^(٤)، وقد عصب قدامة على عمر إلا أن عمر أصر على إرضائه وكان يقول: إني رأيت رؤيا أنه قد أناني آت في مامي فقال لي: صالح قدامة فربه أحوك^(٥) وقبل أن عزل قدامة عن ولاية البحرين كان في سنة عشرين^(٦) للهجرة، وقد تولى على البحرين بعد قدامة الصحابي المعروف (أبو هريرة) **رحمته** وقد كان أبو هريرة يتولى بعض المسؤوليات في البحرين أثناء ولاية قدامة بن مظعون السابقة وكان ضمن الشهود الذين شهدوا على قدامة في الخمر، وقد أصدر عمر **رحمته** أمراً بتولية أبي هريرة على البحرين بعد عزله لقدامة^(٧) وقد ولي البحرين لعمر فيما بعد عثمان بن أبي العاص الثقي مرة أخرى واستمر ولياً عليها حتى توفي عمر^(٨)، وقد وردت في كثير من النصوص ولاية البحرين مصفغة إليها عمان، ووردت روايات عند تولية عثمان بن أبي العاص أنه ولي البحرين واليمامة^(٩) وهذه الروايات تعطي دالة قوية

(١) المرجع السابق ص ٧٣/١. (٢) سير أعلام النبلاء (٣٧٤/٢). (٣) الولاية على قبلي (١/٧٣)

(٤) طلمات (٥/ ٥٦)، تاريخ المدينة (٨٤٣/٣) الولاية على قبلي (١/٧٤)

(٥) الولاية على قبلي (١/٧٤) (٦) الخلفاء والنبأ (٧/ ١٠١) (٧) الولاية على قبلي (١/٧٥)

(٨) المرجع نفسه (١/٧٥) (٩) تاريخ نصري (٥/ ٣٣٩)

على مدى ارتباط البحرين بكل من عمان واليمامة، وأن هذين القسمين ربما اعتبرا جزءاً من ولاية البحرين خلال عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولا يحصى مدى الارتباط الجغرافي ولشكري بين هذين لإقليمين وبين البحرين، وقد يقيد تعبير البحرين وما والاها الذي يردده المؤرخون وجود تواع للبحرين ربما كان المقصود بها عمان واليمامة، وقد كانت البحرين مصدراً رئيسياً للحراج والحزبة، وهذا يدل على ثراء هذه الولاية في تلك الأيام، وقد شاركت قبائل البحرين المسلمة وأمرائها في فتوح بلاد فارس والمشرق، وكان لهم دور مهم في تلك الفتوح^(١).

سادساً- مصر:

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه هو الذي تولى فتح مصر وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن الفتوحات وأقره عمر وأبنا عليها، واستمر في ولايته حتى توفي عمر بن الخطاب رغم احتلامه مع عمر في بعض الأحيان مما كان يدفع عمر إلى التهديد بتأديبه وكان عمرو هو والي مصر الرئيس، مما كان يرد من وجود بعض الولاة الصغار الآخرين في مصر مثل ما ورد عن ولاية عبد الله من أبي السرح على الصعيد إبان وفاة الخليفة عمر^(٢)، ومن الملاحظ في فترة ولاية عمرو بن العاص لمصر في عصر عمر كثرة تدخل الخليفة عمر في شؤون الولاية المختلفة^(٣)، وقد استفاد عمرو بن العاص من حرة الأقطار في قضايا الخراج والجرية واستخدمهم في هذا العمل^(٤)، وقد اشتهر عن عمرو منعه لجنوده من الرراعة والاشتغال بها ومعاقبة من يحالف ذلك بناءً على أوامر عمر بن الخطاب^(٥) وكان هذا بالطبع لتصريح الخوفاً لأمور الجهاد، وعدم الركون إلى الدعة، أو الارتباط بالأرض، وقد كان لعنجد من الأرزاق التي تصرف من بيت المال ما يعينهم عن ذلك، وقد استطاع عمرو بن العاص بمتابعة من الخليفة عمر تنظيم أمورهم في سواك قليلة حتى أخذت مكانتها كولاية كبرى من ولايات الدولة، وجرى فيها من الأحداث ما يدل على استقرار

(١) الولاية على البلدان (١/٧٦).

(٢) فتوح مصر من ١٧٣ . (٣) الولاية على البلدان (١/٧٩)

(٤) الولاية على البلدان (١/٨٢)

(٥) فتوح مصر وأخبارها من ١٥٢ .

عمر بن الخطاب [٢٦٩]

أوضاع الولاية، بالرغم من المحاطر التي كانت تخلق بها من جراء محاولة الروم المستمرة استعادتها عن طريق غزو الإسكندرية من ناحية البحر، وقد كانت هذه الولاية أرضاً خصبة لانتشار الإسلام فيها في عهد الخليفة عمر بطراً لما ظهر فيها من عدل بين الناس ورحمة، لم يمهدهما أهلها من قبل بالإضافة إلى اقتناعهم بحقائق الإسلام وتعاليمه السمحة فأصبحوا جنداً من حوذه، وكانت الأمور الإدارية في مصر تضي بطريفة بسيطة إذ كان عمرو هو الوالي وهو المسئول عن الخراج، ولا يجمع هذا من استعانة عمرو ببعض الولاة على مناطق أخرى نابعة له كما مر، ولكن الوالي الرئيس والمسئول أمام خليفة هو عمرو بن العاص طوال فترة حكم عمر بن الخطاب، وقد استفاد عمرو من بعض أهل البلاد في تريب أمور الخراج وتنظيم شئونها المالية^(١).

سابعاً: ولايات الشام:

حينما توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان المسئول عن جيوش الشام ولادها هو خالد بن الوليد رضي الله عنه، ولم تولي عمر رضي الله عنه الخلافة أصدر أمراً بعزل خالد بن الوليد عن ولاية الشام وتعيين أبي عبيدة بن الجراح مكانه أميراً لأمرام الشام، ومستولاً مباشراً عنهم ووالياً على الجماعة فيها^(٢)، وحينما تولي أبو عبيدة على الشام أحد يظم أمورها، ويعين الأمراء من قبله على المناطق المختلفة فيها، وأحد يعيد تنظيمها حيث كان على بعضها أمراء سابقون منهم من أقره أبو عبيدة ومنهم من عرله، يقول خليفة بن حياط. هولى أبو عبيدة حين فتح الشامات يريد من أبي سفيان على فلسطين وباجبتها، وشرحيل من حسة على الأردن، وخالد بن الوليد على دمشق وحيث بن مسلمة على حمص ثم عرله، وولى عبد الله بن قريط لثمالي^(٣)، ثم عرله، وولى عبادة بن الصامت ثم عرله ورد عبد الله بن قريط^(٤)، وكان يبعث أحياناً بعض أصحابه لتولي مناطق من الشام لفترة معينة، ذلك أن أبا عبيدة بعث معاذ بن

(٢) تهذيب تاريخ دمشق (١/١٥٢).

(٤) تاريخ خليفة ص ١٥٥.

(١) الولاية على البلدان (١/٨٣).

(٣) الأرمي له نسخة وروايته اشترك في شرح الشام.

جبل على الأردن^(١)، ومن ذلك إناته لسحق الناس مكانه حين كن يسافر للجهاد فقد أناب سعيد بن زيد بن عمر بن عبد الله على دمشق حين حروجه إلى بيت المقدس، وكان أبو عبيدة - رحمه الله - طول فترة ولايته على الشام مثلاً للرجل لصاح الورع الذي يقتدي به بقية أمرائه ويقتدي به العامة، وقد استشهد كما مرّ معنا في طاعون عمواس ثم تولى بعده معاذ، فاستشهد بعده بأيام وحيد علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بوفاة أبي عبيدة ووفاء معاذ من بعده حين على أجناد الشام يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه وفرق أمراء آخرين على الشام، وقد كان يريد صاحب خبرة في إمارة الأحاد، إذ كان على رأس أحد الجيوش التي بعثها أبو بكر إلى الشام لفتح، كما أن أبا عبيدة قد استحلها عدة مرات على دمشق أثناء عرواته^(٢)، وقد ذكر المؤرخون أن عمر حينما ولي يزيد على أجناد الشام حدد أمراء آخرين ورعهم على المناطق واختص يريد بفسطاط والأردن^(٣)، وتعتبر فترة يريد على الشام قصيرة لذلك يقل الحديث عنها في المصادر التاريخية وقد توفي يزيد في سنة الثامنة عشرة، وقبل وفاته استحلها أحماء معدوية بن أبي سفيان على ما كان يتولاه وكتب إلى عمر كتاباً في ذلك، وكانت مدة ولاية يريد قريناً من السنة^(٤)، وأقرّ عمر رضي الله عنه ولاية معاوية وأجرى تعديلات في إدارة الشام بعد وفاة يريد، وقد حدد لمعاوية جند دمشق وحررها، وحدّ من سلطات معدوية في القضاء والصلاة حيث بعث إليه برجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلهم على القضاء والصلاة^(٥)، وهذا فيه تحديد لسلطات معدوية خصوصاً أن الصلاة وكلت إلى غيره وكان الأمير في عادة هو أمير الصلاة، ولعل هناك أسباباً دفعت عمر إلى هذه السياسة الجديدة التي بدأت تظهر في الأقسام الأخرى وبالأسلوب نفسه الذي نهجه مع معدوية تقريباً، وقد اشتهر معاوية بذلك ولذلك جعل مجموعات من الناس تلحق بولايته من العراق وغيرها^(٦)،

(١) فتح الشام ص ٢٤٨

(٢) ابن عسك، ابن أعمم الكوفي ص ٢٨٩، الولاية على البندان (١/ ٩٠)

(٣) فتح البندان ص ١٣٧ (٤) فتح البندان ص ١٤٦، ١٤٥

(٥) الوثائق السياسية لمعمر البوي والحفلة الراشدة ص ٤٩٣

(٦) الولاية على البندان (١/ ٩٢)، (٧) تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩)

وقد قام عمر بتعيين بعض الأمراء في الشام، وجعل ولايتهم من قبل معاوية، وحلال ولاية معاوية على بلاد الشام كان في بعض الأحيان يقوم ببعض العروات ضد الروم في شمال الشام وهي ما عرفت بالصوائف^(١)، وقد استمر معاوية والياً على الشام بقية عصر عمر حتى وفاته رحمته، مع وجود أمراء آخرين في مناطق معينة من الشام لهم اتصالهم المباشر بالخليفة في المدينة المنورة، إلا أن معاوية يعتبر أشهرهم، حيث كان والياً على السقاء والأردن وفلسطين وأنطاكية وقلقية ومعة مصرين وغيرها من مدن الشام^(٢)، وقد سماه بعض المؤرخين والي الشام فيما تحيط بعضهم فقالوا حين ذكروا وفاة عمر «ومعاوية بن أبي سفيان على بعض لشام» ولكن بعضهم ذكر أنه قبل موت عمر جمع الشام كلها لمعاوية بن أبي سفيان^(٣)، ولأنه من التبيه على أن الولايات كانت تجري فيها تغييرات مستمرة تبعاً للظروف العسكرية والظروف العامة للدولة في تلك الأيام، فكانت الأردن أحياناً تستقل وأحياناً تضم لها أقاليم وأحياناً ترع منها أقاليم ونضم إلى الشام أو إلى فلسطين إلى غير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره^(٤).

ثامناً- ولايات العراق وفارس:

كانت الفتوحات قد بدأت في العراق أيام أبي بكر رحمته وكانت في البداية تحت إمارة المشي من حارثة الشيباني إلى أن قدم خالد بن الوليد إلى العراق. فحمل الولاية له، فلما أمره بالنسر إلى الشام أعاد أبو بكر الولاية مرة أخرى إلى المشي بن حارثة، وحينما تولى الخلافة عمر بن الخطاب عزل المشي وعين أبا عبيد بن مسعود الثقفي، وكان عزل المشي في الوقت نفسه الذي عزل فيه خالداً، مما أثار استغراب الناس فقال عمر: إني لم أعزلهما في رية ولكن أساس عظموهما فحشيت أن يوكلوا إليهما^(٥)، ومع عزل المشي فقد كان حديثاً محضاً اشترك مع أبي عبيد في معظم معاركه وأبلى بلاء حسناً^(٦) وبعد استشهاد أبي عبيد عد المشي إلى القيادة ثم تولى قيادة جيوش

(١) الولاية على البلدان (٩٢/١).

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ١٥٥، سير أعلام النبلاء (٣ / ٨٨).

(٣) الولاية على البلدان (٩٢/١).

(٤) الولاية على البلدان (١٠٧ / ١).

(٥) قد لا ولنفسه (٢٨ / ٧).

(٥) المصدر ص (١ / ٨).

العراق سعد بن أبي وقاص، وقد انتقلت على المشي جراحه التي أصابته يوم الخسر فمرص منها ومات قبل أن يصل سعد بن أبي وقاص للعراق^(١) فقد كانت البصرة قد بدأت بالظهور على مسرح الأحداث كولاية قسيلة معركة القادسية، إلا أن انتصار القادسية وسقوط المدائن في يد المسلمين يعتبر بداية مرحلة جديدة وقوية في بلاد العراق، بدأ فيها تنظيم الولايات بأحد شكلاً معيناً وباركاً تنصحب فيه الملامح العامة سواء في ولاية البصرة أو ولاية الكوفة، وما الحق بكل منهما من المدد والفرى التي كنت تنبع كلاً منهما من أقاليم فارس والعراق، أو ما استقل عنهما من الولايات في بلاد فارس^(٢).

- ولاية البصرة -

وجه عمر بن الخطاب إلى نواحي البصرة قبل إثنائها شريح بن عامر، أحد بني سعد بن بكر مدناً لفظة بن قتادة ثم ولاء عمر في نواحي البصرة، وقتل في إحدى المعارك^(٣)، ثم قام عمر بن الخطاب بإرسال عتبة بن غررود إلى نواحي البصرة مع مجموعة من الخد وولاء عليها، وذلك في السنة الرابعة عشرة وليس في السادسة عشرة كما يرجح ذلك صالح أحمد العلي إذ يقول: ويؤيد بعض المؤرخين أن عتبة أرسل سنة ١٦ هـ بعد معركة القادسية أو حلولاً ولكن الأغلبية المطلقة من المؤرخين يؤكدون أنه أرسل سنة ١٤ هـ مما يجعلنا نرجح روايتهم^(٤)، وقد كانت مرحلة ولاية عتبة على البصرة مرحلة تأسيسية وهامة في حياة هذه الولاية، فقد كانت حافلة بالعديد من الأعمال الجلية، ومنها مجموعة من الفتوح قام بها في بلاد الفرس القريبة منه على صفتي دجلة والفرات^(٥)، وقد استغنى عتبة من عمر فأبى عمر أن يعفيه وكان ذلك في موسم الحج وعزم عليه عمر ليرجعن إلى عمله ثم انصرف فمات في الطريق إلى البصرة، فلما بلغ عمر موته قال أنا قتلته، لولا أنه أجل معلوم، وأثنى عليه خيراً وكانت وفاته في السنة السادسة عشرة^(٦) ثم تولى من بعده

(١) الولاية على البلاد (١/١١١).

(٢) الولاية على البلاد (١/١١٣).

(٣) تاريخ خزيمة بن عيط ص ١٥٥.

(٤) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ٣٦.

(٥) تاريخ عتبة بن عيط ص ١٧٧، ١٧٨.

(٦) الولاية على البلاد (١/١١٥).

المعيرة بن شعبة وهو أول من وضع ديوان البصرة واستمر والياً على البصرة إلى أن عرله عمر رضي الله عنه في السنة السابعة عشرة من الهجرة بعد التهمة الموجهة إلى المعيرة بالربا؛ وقد قام عمر بالتحقيق وثبت براءة المعيرة وجلد الشهود الثلاثة وقام عمر بعزل المعيرة، من باب الاحتياط والمصلحة، وولاه عمر فيما بعد على أماكن أخرى^(١)، وبعد عزل المعيرة بن شعبة ولي عمر على البصرة أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، ويعتبر أبو موسى - بحق - أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه ويرسل القواد لجهات المحتلة من البصرة، في أيامه تمكن الصريون من فتح الأهواز وما حولها وفتحوا العديد من المواضيع المهمة وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المحاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شئونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا منها توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجلس الإمارة ومنها نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيمة قال فيها عمر: أما بعد فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، إياك أن ترزع ميراث عمالك، فيكون مثلك عبد دث مثله الهيمة نظرت إلى حصرة من الأرض فترعت فيها تنغي السم وإنما خضها في سمها^(٢)، وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى تدل على نواح إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابه القيم عن الوثائق السياسية^(٣)، وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل العترات حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد الصريين فيما بعد، وهو الحسن البصري - رحمه الله - فقال: ما قدمها ركب حير لأهلها من أبي موسى^(٤)، إذ إن

(١) مناقب عمر لابن الجوزي ص ١٢٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٩)

(١) المصدر السابق (١/١١٧).

(٣) وثائق سياسية للمعهد البوي والحلابة الرابعة

أما موسى - رحمه الله - كان بالإضافة إلى إمارته حير معظم لأهلها، حيث علمهم القرآن وأمور الدين المحتسنة^(١)، وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس، والتي فتحت في زمه تحصص لـسصرة وندار من قبل ولي لـسصرة الذي يعين عنده العمام من قس، ويرتطود به رتباطاً مباشراً وهكذا وعثر أبو موسى من أعظم ولاية عمر، واعتبرت مرسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت مسيرة عمر مع ولايته، وبيّنت ملامح أسلوبه في التعامل معهم^(٢).

- ولاية الكوفة:

يعد سعد بن أبي وقاص أول ولاية الكوفة بعد إنشائها بل إنه هو الذي أسسها بأمر عمر، وكان له الولاية عليها وعلى المناطق المحاورة لها قبل ساء الكوفة، وقد استمر سعد والياً على الكوفة وقام بدوره على أكمل وجه، وكانت لسعد فتوحات عظيمة بعد استقراره بالكوفة في نواحي بلاد فارس^(٣)، كما كان لسعد مجموعة من الإصلاحات برعاية في ولايته، منها أن مجموعة من المهديين سألوا سعداً أن يحمر لهم بهراً لصالح المزرعين في مناطقهم، فكتب سعد إلى عامله في المنطقة يأمره بحمر البهر لهم فجمع العمال وحمر البهر، وقد كان سعد يطمح أمور صادق انتاعة لـكوفة وبعض عبيد الولاية من قبله بعد التشاور مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد أعجب عقلاء أهل كوفة بسعد بن أبي وقاص وتمدحوه، فعين سأل عمر بن الخطاب أحد مشاهير الكوفة عن سعد أجاب: إنه متواضع في جبايته عربي في ثمرته أسد في تأمره يعد في انضباطه ويتقسم بالسوية، ويعد بالسرية ويعطف عنها عطف البرة وينقل عبيداً حراً نقل البرة^(٤)، كما سأل عمر جرير بن عبد الله عن سعد بن أبي وقاص وولايته فقال جرير: تركته في ولايته أكرم أساس مقدرة وأقلهم فسوة هو لهم كالأم البرة يجمع لهم كما تجمع الذرة أشد الناس عبد الناس وأحب قريش إلى الناس^(٥)، ومع افتتاع حيار أهل الكوفة وعقلائها بسعد وتمدحهم له فقد وقعت

(٣) فتح البلدان من ١٣٩، تاريخ الخلفاء (١٥١/٢)

(٤) الولاية على البلدان (١٢٠/١).

(٥) الولاية على البلدان (١٢٣/١).

بعض الشكاوى ضده من قبل بعض عوام الناس فتم عزله وسيتم بإذن الله بيان ذلك عند حديثنا عن الشكاوى ضد الولاية وبعد عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة أصدر عمر قراراً بتعيين عمار بن ياسر على صلاة الكوفة، ويلاحظ أن عماراً ^(١) كان ضمن القادة الذي كانوا في الكوفة، وكان سعد بن أبي وقاص يستعين بهم أثناء ولايته على الكوفة ولذلك كانت لدى عمار حرة سابقة وشبه كاملة عن الولاية قبل أن يتولى عنها، وتختلف ولاية عمار هذه عن ولاية سعد، إذ إن عمر جعل مع عمار أناساً آخرين يشتركون معه في المسؤولية وتقاسمون المهام، فكان عمار على الصلاة وأن مسعود على بيت المال وعثمان بن حيف على مساحة لأرض، لذلك اختلف الوضع إلى حد ما في تولايه في هذه المرحلة عما كانت عليه أيام سعد، ولا يمكننا تجاهل هذا التوزيع الجديد للمسئولية في الولاية، وقد قام كل منهم بما نيظ به من أمور، فكان عمار يقوم بـ«نصلاء»، وينظم أمور الولاية وشؤونها وشؤون حيوش، فقام بعصر الفتوح، واشترك أهل الكوفة في أيامه في عدد من المعارك ضد الفرس الذين جمعوا الحموى ضد المسلمين، فكان عمار يدبر ولايته بمقتضى تلك الظروف الحربية حسب توجيهات عمر بن الخطاب، وقد استمر عمار يؤدي مهمته في ولاية لكوفة مع ابن مسعود إضافة إلى قيامه بالشئون المالية للولاية يقوم بتعليم الناس القرآن وأمور الدين^(٢)، وكانت ولاية عمار لأهل الكوفة قرابة سنة وتسعة أشهر، وعزله عمر بناء على عدة شكاوى من أهل الكوفة ضده وقد قال عمر لعمار أساءك العزل؟ فقال عمار: ما سرني حين استعملت وقد ساءني حين عزلت، وقيل إنه قال: ما فرحت حين ونيتي ولا حزنيت حين عزلتني^(٣)، كما ذكر أنه استعفى عمر حين أحس بكراهية أهل الكوفة له فأعماه عمر ولم يعزله^(٤) ثم عين عمر حبيب بن مطعم على الكوفة ثم عزله قبل أن يتجه إلى الكوفة، نظراً لأن عمر أمره مكتماً حر النعيين، ولكن الخبر انتشر بين أساس فعصب عمر وعزله ثم تولى ولاية الكوفة المعيرة بن شعبة واستمر يؤدي واجبه ولنا للكوفة إلى أن توفي عمر بن الخطاب^(٥)

(١) الخطبات (١٥٧/٣). (٢) الفتوح ابن أثير (٨٦/٢). (٣) نهاية الأرب (٣٦٨/١٩).

(٤) تاريخ خليفة ص ١٥٥، تاريخ الطبري (٢٢٩/٥).

- المدائن:

كانت لمدائن عاصمة كسرى، قد تم فتحها من قبل سعد بن أبي وقاص، واستقر بها سعد فترة من الوقت ثم انتقل منها إلى الكوفة بعد تمصيرها، وقد كان ضمن جيش سعد سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهو الذي اشترك في العديد من المعارك ضد الفرس، وكان به دور كبير في دعوتهم إلى الإسلام قبل القتال وقد ولاء عمر ابن الخطاب على المدائن فسار في أهلها سيرة حسنة، فقد كان مثلاً حياً لتطيق تعاليم الإسلام، وقد ذكر أنه كان يرفض الولاية لولا أن عمر أجبره على قبولها، فكان يكتب إلى عمر يطلب الإعفاء فيرفض عمر ذلك، وقد اشتهر عن سلمان رضي الله عنه رده، فكان يلبس الصوف، ويركب الحمار بردعته بغير إكاف ويأكل حمر لشعير وكان مسكاً راحلاً^(١) وقد استمر سلمان يعيش في المدائن إلى أن توفي على أرحح لأقوال سنة ٣٢هـ في خلافة عثمان بن عفان، ويبدو أن سلمان لم يكن والي المدائن في أواخر أيام عمر رضي الله عنه إذ إن عمر قد عين حذيفة بن اليمان على المدائن ولم يذكر المؤرخون عزل عمر لسلمان، فلعله استعفى عمر موافقه بعد أن كان يمانع في إعفائه وولى بعده حذيفة بن اليمان، وقد ورد العديد من الأخبار عن ولاية حذيفة على المدائن منها كتاب عمر إلى أهل المدائن بتعيين حذيفة والياً عليهم، وأمر عمر أهل المدائن بالسمع والطاعة لحذيفة، وقد ستمر حذيفة والياً على المدائن بقية أيام عمر وكذلك طيلة خلافة عثمان^(٢).

- أذربيجان:

كان حذيفة بن اليمان أول الولاة على أذربيجان ثم تولى بعد ما نقل إلى المدائن عتبة بن فرقد السلمي وفي أثناء ولايته حدثت بينه وبين عمر العديد من المراسلات، من ذلك أن عتبة بن فرقد حين جاء إلى أذربيجان وجد عددهم نوعاً من الحلوى الطيبة تسمى (الخبيص) فمكر أن يصنع منها لعمر بن الخطاب، وبالفعل وضع منها

(١) مروج الذهب (٢: ٣٠٦) الولاية على البستان (١/ ١٣١)

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦٤).

وعلمها ما يحفظها من الجلود وغيرها وبعث بها إلى عمر بن الخطاب في المدينة، فلما تسلمها داق الحبيص فأعجبه، فقال عمر: أكل المهاجرين أكل منه شبعه؟ قال الرسول: لا إنما هو شيء حصك بك، فأمر عمر بردها على عتبة في أدرىحان، وكتب إليه يا عتبة إنه ليس من كدك ولا كد نيك، فأشبع المسلمين في رحالهم مما شمع في رحمتك، وإياك والتنعم وري أهل الشرك وليوس الحرير دون رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير^(١)، وقد روت الحادثة بروايات مختلفة يؤكد بعضها بعضاً، وقد استمر عتبة وأبياً على أدرىحان بقية خلافة عمر رضي الله عنه وحرراً من خلافة عثمان، وقد وجد العديد في ولاية عمر في مناطق مختلفة في العراق وفارس، منهم من كان مستقلاً بولايته، ومنهم من كانت ولايته مرتبطة بإحدى الولاياتين الكبيرتين في العراق البتين هما محورا الإدارة، والقيادته لبلاد العراق وفارس الكوفة، أو البصرة، ومن هذه البلدان التي اقتصت بولاية، الموصل، حلوان، كسكر^(٢).



(١) الولاية على البلدان (١/ ١٣٣).

(٢) الولاية على البلدان (١/ ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥).

المبحث الثاني

تعيين الولاة في عهد عمر

سار الفاروق رضي الله عنه على النهج السري شريف في اختيار الولاة، فكان لا يولي إلا الأكفء والأمناء والأصلح من غيرهم على نفيهم بالأعمال، ويتحرى في الاختيار والمصلحة عدية جهده ولا يستعمل من يطلب الولاية، وكان يرى أن اختيار الولاة من باب أداء الأمانات، بحيث يحب عليه أن يعين على كل عمل أصبح من بعده، فإن عدل عن الأصح إلى غيره مع عدم وجود ما يبرر ذلك، يكون قد حان الله، ورسوله والمؤمنين^(١)، ومن أقواله في هذا الشأن: وأنا مشرب عن أمانتي وما ألقى فيه، ومطلع على ما يحضرني بفسدي إن شاء الله، لا أكله إلى أحد، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم بلعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم^(٢)، وقال رضي الله عنه من قلد رجلاً على عصاة وهو يحد في تلك بعصاة من هو أرحم له منه، فقد حان الله، وخان رسوله، وحان المؤمن^(٣)، وقد أيضاً من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين^(٤)

أولاً: أهم قواعد عمر في تعيين الولاة وشروطه عليهم:

١- القوة والأمانة:

وقد طلق الفاروق رضي الله عنه هذه القاعدة، ورجح الأقوى من الرجال على الأقوى، فقد عزل عمر شرحبيل بن حسنة وعين بدله معاوية، فقال له شرحبيل: أعن سحصة عرلتي يا أمير المؤمنين؟ قال: لا إنك لكما أحب ولكي أريد رجلاً أقوى من رجل^(٥)، ومن أجمل ما أثر عن عمر في هذا المعنى قوله: اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر، وعجز الثقة^(٦).

(٢) مور احتجاز في الحياة السياسية ص ٢٥٥

(٤) الفتاوى (٢٨ / ١٣٨)

(٦) الفتاوى (٢٨ / ٤٢)

(١) وقائع سورة النظم الإسلامية (١/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٣) الفتاوى (٢٨ / ٤٢)

(٥) ربيع العربي (٥ / ٣٩)

٢- مقام العلم في التولية:

وقد جرى عمر الباروق على سة رسول الله ﷺ في تولية أمراء الحبوش خاصة. قال الطبري إن أمير المؤمنين، كان إذا احتمع إليه جيش من أهل الإيمان، أمر عليهم رجلاً من أهل الفقه والعلم^(١).

٣- البصر بالعمل:

كان عمر من الخطاب يستعمل قوت، ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل^(٢)، والمصين هنا إنما يعني أن أولئك الذين تركهم عمر، كانوا أفضل دناً، وأكثر ورعاً، وأكرم أخلاقاً، ولكن حشرتهم في تصريف الأمور أقل من عبرهم ليس من الضروري أن يحتمع الأمران كلاهما معاً، وهذه القاعدة التي وضعها عمر، ما زالت متبعة حتى اليوم، في أرقى الدول، ذلك بأن المتدين الورع الحق، إذا لم تكن له بصيرة في شئون الحكم، قد يكون عرصة لخديعة أصحاب الأهواء والمصلين، أما للحكّ المحرّب، فإنه يعرف من النظرة السريعة، معاني الألفاظ، وما وراء معاني الألفاظ وهذا السبب نفسه هو الذي دعا عمر بن الخطاب أيضاً لاستبعاد رجل لا يعرف الشر، فلقد سأل عن رجل أراد أن يوليه عملاً فقيل له: يا أمير المؤمنين: إنه لا يعرف الشر. فقال عمر لمحاظه: ربحك ذلك أدنى أن يقع فيه^(٣)، وهذا لا يعني أن يكون العامل غير متصف بالقوة والامانة والعلم والكفاية وغيرها من الصفات التي يستلزمها منطق الإدارة والحكم، وإنما يقع النفاصل بين هذه الصفات، ويكون الترجيحان لما سمّاه عمر بن الخطاب: البصر بالعمل^(٤).

٤- أهل الوبر وأهل المَلَر:

وكان عمر بظرف، حين تعيينه أحد عماله، إلى بعض الخصائص والطاع والمعدات والأعراف، فلقد عُرِف أنه كان يهوى عن استعمال رجل من أهل الوبر على

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/٤٧٩).

(٢) المدينة النبوية صبح الإسلام (٢/٥٩).

(٣) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/٤٨٢).

أهل المدر^(١)، وأهل الوبر هم ساكنو الخيام، وأهل المدر هم ساكنو المدن وهذه نظرة اجتماعية سلوكية في آن معاً، في اختيار الموطعين، فلكل من أهل الوبر والمدر طوائع وخصائص وأخلاق وعادات وأعرف محتفظة، ومن انطبعي أن يكون ابوالي عارفاً بنفسية الرعية، وليس من العدل أن يتولى أمرها رجلٌ جاهلٌ بها، فقد يرى العُرف نُكراً وقد يرى لطيفي غريباً، فيؤدي ذلك إلى عبر ما يتوحشاه المجتمع من أهداف يسعى إلى تحقيقها^(٢).

٥- الرحمة والشفقة على الرعية

كان عمر يثق بتوخي في ولاته الرحمة والشفقة على الرعية، وكم من مرة أمر قدنه في الجهاد ألا يغزوا بالمسلمين ولا ينزلوهم منزل هلكة، وكتب عمر لرجل من بني أسلم كتاباً يستعمه به، فدخل الرجل على عمر وبعض أولاد عمر في حجر أبيهم يُقْبِضُهُمْ. فقال لرجل: تعمل هذا يا أمير المؤمنين؟ هو لله ما قُتِلت ولداً لي قط، فقال عمر: عانت والله دناس أقر رحمة، لا تعمل لي عملاً، ورده عمر فلم يستعمله^(٣). وغزت بعض جيوشه بلاد فارس حتى انتهت إلى نهر ليس عليه جسر فأمر أمير الجيش أحد جنوده أن يرب في يوم شديد البرد ينتظر للجيش محاصرة يعبر منها، فقال لرجل: إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت، فأكرهه لقائد على ذلك، فدخل الرجل الماء وهو يصرخ: يا عمره يا عمراه! ولم يستأنس أن هلك، فبلغ ذلك عمر وهو في سوق المدينة. فقال: يا سيكه يا ليكه، وبعث إلى أمير ذلك الجيش فزعه وقال: سوا أن تكون سنة لأقصدت منك، لا تعمل لي على عمل أسداً^(٤)، وخطب عمر ولاته فقال: اعلموا أنه لا حلم أحب إلى الله تعالى ولا أعم من حلم، مام ورفقه، وأنه ليس أعص إلى الله ولا أعم من جهل، مام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهرائه يُرْزَق العافية ممن هو دونه^(٥).

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/٢٨٣).

(٢) المصدر نفسه (١/٢٨٣).

(٣) محض الصواب (٢/٥١٩).

(٤) صاحب: مير: مؤيد: لابن الجوزي ص ١٥.

(٥) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص ٣٤.

٦- لا يولي أحداً من أقاربه:

كان عمر حريصاً على ألا يولي أحداً من أقاربه رعم كدية بعضهم وسفه إلى الإسلام مثل سعيد بن زيد ابن عمه وعبد الله بن عمر ابنه، وقد سمعه رجل من أصحابه يشكو إعضال أهل الكوفة به في أمر ولانهم. وقول عمر: لوددت نبي وحدث رجلاً قوياً أميناً مسلماً أستعمله عليهم. فقال الرجل: إن والله أدلك عليه، عند الله من عمر، فقال عمر: فانتك الله والله ما أردت الله بهذا^(١)، وكان يقول: من استعمل رجلاً لمودة أو لقرابة لا يشعله إلا ذلك فقد خد الله ورسوله^(٢).

٧- لا يمطي من يطلبها:

كان لا يولي عملاً لرجل يطلبه، وكان يقول في ذلك: من طلب هذا الأمر لم يُمن عليه، وقد سار على هذا النهج اقتداء بسنة الرسول ﷺ.

٨- منع العمال من مزاولة التجارة:

كان عمر يجمع عماله وولاته من الدخول في الصفقات العامة سواء أكانوا بائعين أو مشترين^(٣)، روي أن عاملاً نعر من الخطاب اسمه الحارث بن كعب بن وهب، طهر عليه الثراء. فآله عمر عن مصدر ثرائه فأجاب: خرجت نفقة معي فالتجرت بها. فقال عمر: أما والله ما بعثاكم لسحروا واحد منه ما حصل عليه من ربح^(٤).

٩- إحصاء ثروة العمال عند تعيينهم:

كان عمر يحصي أموال العمال والولاية قبل الولاية ليحاسبهم على ما رادوه بعد الولاية بما لا يدخل في عداد الريادة المعقولة، ومن تعلل منهم بالتجارة لم يقل منه دعواه وكان يقول لهم: إنما بعثناكم ولاية ولم نبعثكم تجاراً^(٥).

١٠- شروط عمر على عماله:

كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا استعمل عاملاً كتب عليه كتاباً، وأشهد عليه

(١) مناقب عمر بن الخطاب لابن الحارثي ص ٨-١، والولاية على البلاد (١/١٢٨). (٢) التناوي (٢٨/١٣٨)

(٥) المصدر نفسه ص ٢١٤

(٣، ٤) الإمارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب ص ٢١٢

رهط من الأنصار: ألا يركب بردونا^(١)، ولا يأكل نقباً^(٢)، ولا يلبس رقيقاً، ولا يغلّق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول: اللهم قد شهد^(٣).

وهذه الشروط تعني الالتزام بحياة ازهد والتواضع للناس، وهي خطوة أولى في إصلاح الأمة بحملها على توسط في المعيشة، واللباس والمراكب، وهذه الحياة التي تقوم على الاعتدال تستقيم أمورها، وهي خطة حكيمة، فون عمر لا يستطيع أن يلزم جميع أفراد الأمة بأمر لا يعتر وحباً في الإسلام، ولكنه يستطيع أن يلزم بذلك «نولاة ونقادة»، وإذا التزموا فإنهم انقدوة الأولى في المجتمع، وهي خطة ناححة في إصلاح المجتمع وحمايته من أسباب الانهيار^(٤).

١١- المشورة في اختيار الولاة:

كان اختيار الولاة يتم بعد مشاورة الخليفة لكبار الصحابة^(٥)، فقد قد منحه لأصحابه يوماً. دلوني على رجل إذا كان في القوم أميراً مكانه ليس بأمير، وإن لم يكن بأمير مكانه أمير^(٦)، فأشاروا إلى الربيع بن زياد^(٧)، وقد استشار عمر بن الخطاب في من يولي على أهل الكوفة فقال لهم: من يعدي من أهل الكوفة ومن نجبهم على أمرهم إن استعملت عليهم عقيماً ستضعوه، وإن استعملت عليهم قوياً فجرّوه^(٨)، ثم قال: أيها الناس ما تقولون في رجل ضعيف غير أنه مسلم تقي وآخر قوي مشدّد أيهما لأصلح للإمارة؟ فتكلم المغيرة بن شعبة فقال يا أمير المؤمنين إن الضعيف المسلم إسلامه لنفسه وضعفه عليك وعلى المسلمين، والقوي المشدّد فشاده على نفسه وقوته لك وللمسلمين فأعمل في ذلك رأيك. فقال عمر: صدقت يا مغيرة، ثم ولاء الكوفة وقال له: انصر أن تكون ممن يأمنه الأبرار ويخافه الفجار، فقال المغيرة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين^(٩).

(١) البردون: الدابة، البرادين من الخيل ما كان من غير نتاج للعرب

(٢) نقباً: أي التديق الذي يتم بوجه وتنتبه: وهو طعام الحرق

(٣) محضر الصواب (١) / ٥١.

(٤) التاريخ الإسلامي (١٩)، ٢ / ٢٦٨.

(٥) (٧٠٦) فرائد الكلام ص ١٦٥.

(٦) عصر الخلافة الراشدة ص ١١٤.

(٧) (١٢٨) / ١.

(٨) أي التهموه بالمعجور.

١٢- اختيار العمال قبل التولية:

كان عمر رضي الله عنه يحترس عماله قبل أن يوليهم، وقد بطول هذا الاختيار كما يوضحه الأحف بن قيس حين قال: قدمت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاحتسب عده حولاً فقال يا أحف قد بلوتك وخبرتك فرأيت أن علايتك حسة وأنا أرحو أن يكون سريرتك مثل علايتك وأنا كما تتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل مافق عليهم، ثم قال له عمر أنتدري لم احتستك؟ وير له أنه أراد اختياره ثم ولاه^(١)، ومن نصائح عمر للأحف: يا أحف، من كثر صحكه قلت هيته، ومن مرع استحف به، ومن أكثر من شيء عُرِف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه^(٢).

١٣- جعل الوالي من القوم:

من الملاحظ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في كثير من الأحيان يولي بعض الناس على قومهم إذا رأى في ذلك مصلحة ورأى الرجل حديراً للولاية، ومن ذلك توليته جابر بن عبد الله البجلي^(٣) على قومه بحيلة^(٤)، حينما وجههم إلى العراق، وكذلك تولية سلمان الفارسي على المدائن، وتولية نافع بن الحارث على مكة، وعثمان بن أبي العاص على الطائف، ولعله كان يرمي من وراء ذلك إلى أهداف معينة يستطيع تحقيقها ذلك الشخص أكثر من غيره^(٥).

١٤- المرسوم الخلفي:

وقد اشتهر عن عمر رضي الله عنه أنه حينما كان ينتهي من اختيار الوالي واستشارة المستشارين يكتب للوالي كتاباً يسمى عهد تعيين أو الاستعمال عند كثير من المؤرخين ويمكننا أن نسميه محمداً (المرسوم الخلفي في تعيين العمال أو الأمير) وقد وردت العديد من نصوص التعيين لعمال عمر^(٦) ولكن المؤرخين يكادون يتفقون على أن عمر

(١) الولاية على البند (١/ ١٤٢) متفق عليه في مجموع من ١١٧.

(٢) صفة الصفة (١/ ٢٨٧).

(٣) الولاية على الشلف (١/ ١٤٢).

(٤) المراتب السياسية للعهد النبوي والحلافة الراشدة من ٧ إلى ٤.

بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا استعمل عاملاً كتب له كتاباً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار واشترط عليه شروطاً في الكتاب^(١) كما قد يكون الشخص المرشح للولاية عائلاً، فيكتب له عمر عهداً يأمره فيه بالتوجه إلى ولايته، ومثال ذلك كتبه إلى لعلاء بن الحضرمي عامله على البحرين يأمره بالتوجه إلى نصرة لولايته بعد عتة بن عروان، كما أنه في حال عزل أمير وتعيين آخر مكانه فإن الوالي الجديد كان يحمل خطاباً يتضمن عزل الأول وتعيينه مكانه، وذلك مثل كتاب عمر لأبي موسى الأشعري حين عزل المغيرة بن شعبه عن ولاية البصرة وعين أبا موسى مكانه^(٢).

١٥- لا يستعين بنصراني على أمور المسلمين:

قدم على عمر فتح من الشام، فكتب لأبي موسى ادع كذاك يقرأه على الناس في المسجد. قال أبو موسى إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: لم؟ أحب هو؟ قال لا وبكم نصراني، فشتهر عمر وقال: لا ندبهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرموهم وقد آهاسهم الله، ولا تأمنوهم وقد حاربهم الله، وقد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب، فإنهم يستحلون الرشوة^(٣)، وعن أسوق^(٤) قال: كنت عنداً نصرانياً لعمر، فقال أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين، لأنه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم ممن ليس منهم فأعطني لما حضرته لودة وقال: اذهب حيث شئت^(٥).

ثانياً- أهم صفات ولاية عمر:

من أهم صفات ولاية عمر: سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والشقة بالله، والقدرة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والرهدة، وحب التصحية، والتواضع وقبول النصيحة، والحلم، ولصبر وعلو الهمة، والحزم والإرادة القوية، ولعدل، والقدرة على حل المشكلات، وغير ذلك من الصفات وأما أهمها فهي

١- الزهد:

فمن ولاية عمر الذين اشتهروا بزهدهم، سعيد بن عامر بن حليم وعصير بن

(١) الولاية على البلدان (١/ ١٤٤)

(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٤٩).

(٣) يدائع السالك (٢/ ٢٧).

(٤) ذكره ابن حجر في الإصابة

(٥) محض انصواب (٣/ ٥١٤)، الصفات (٦/ ١٥٨)

سعد وسلمان الفارسي، وأبو عبيدة بن الجراح، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه وكان نساء بعض الولاة يقدمن الشكاوى إلى عمر نتيجة زهد أزواجهن، فقد اشكت امرأة معد بن حبل رضي الله عنه وذلك: أن عمر بعث معاذًا ساعيًا.. على بعض انقبائل فنقسم فيهم حتى لم يدع شيئًا حتى جاء مجلسه لذي خرج به عن رقبته. فقالت امرأته: أين ما جئت به عما يأتي به العمام من عراصة أهلهم؟ فقال: كان معي صاعط^(١)، فقالت: قد كنت أميًا عند رسول الله ﷺ وعد أبي بكر، أبعثت عمر معك صاعط؟ فقامت بذلك في نساءها واشتكت عمر، فبلغ ذلك عمر فدعى معاذًا، فقال: أن بعثت معك صاعطًا، فقال: لم أحد شيئًا أعترض به إليها إلا ذلك قال فصحت عمر وأعطاه شيئًا وقال أرضها به^(٢).

٢- التواضع:

شتهر الولاة في عهد عمر بتواضعهم الشديد حتى إن القادمين إلى بلادهم لا يميزون بينهم وبين عمدة الناس فهم في ناسهم وبيوتهم ومراكبهم كعمامة الناس لا يميرون أنفسهم بشي، ومن أمثلة ذلك قصة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فقد بعث إليه الروم رجلاً يعارضة. فأقبل حتى أتى أب عبيدة، فلما دنا من سدمين لم يعرف أن عبيدة من أصحابه، ولم يدرك أنهم هو أم لا ولم يرهه مكان أمير. فقال لهم: يا معشر العرب، أين أميركم؟ فقالوا: هه هو ذا. فطر فودا هو أبي عبيدة جلس على الأرض وهو منككب لقوس وفي يده أسهم وهو يلقبها. فقال له الرسول: أنت أمير هؤلاء؟ قال: نعم. قال فما يحسبك على الأرض؟ رأيت لو كنت حاسبًا على وسادة أو كان ذلك وصعك عند الله أو مانعك من الإحسان؟ قال أبو عبيدة: إن الله لا يستحي من الحق، ولا صدقك عما قلت ما أصبحت أملك دينارًا ولا درهمًا وما أملك إلا فرسي وسلاحي وسيفي، لقد احتججت أمسي إلى بقة فم يكن عدي حتى استقرضت من أخي هذا بقة كانت عنده -يعني معاذًا- فأقرصنيها، ولو كان عدي أيضًا بباط أو وسادة ما كنت لأجلس عليه دون إخواني وأصحابي وأجلس

أخي المسلم الذي لا أدري لعله عند الله خير مني على الأرض، ونحن عبد الله نمشي على الأرض، ونحس على الأرض، وماكن على الأرض ونصنع على الأرض ونيس دنك بنقصنا عند الله شيئاً، بل يعظم الله به أحورنا، ويرفع درجاتنا، ونتواضع بذلك لربنا^(١).

٣- الورع:

حرص لعديد من الولاة أن يُعفى من الأعمال لموكة إليهم فقد استعفى عتبة بن عرون عمر من ولاية البصرة فلم يعفه^(٢)، كما أن (لعمان بن مقرن) كان والياً على كسكر فطلب إلى عمر أن يعفيه من الولاية ويسمح له بالجهاد رعة في الشهادة^(٣)، كما رفض بعض الصحابة الولاية حينما طلب منهم عمر أن يعمروا في لولايات، فقد رفض الربير بن لعوام ولاية مصر حينما عرض عليه ذلك قائلاً: يا أبا عبد الله هل لك في ولاية مصر؟ فقال: لا حاجة لي فيها ولكن أخرج محاهداً وللمسلمين معاوناً^(٤)، كما رفض ابن عباس ولاية حمص حينما عرض عليه عمر أن يوليه إيها بعد وفاة أميرها^(٥).

٤- احترام الولاة لمن سبقهم من الولاة:

امتنار الولاة على السلدان باحترام من سبقهم من لولاة وتقديرهم وهذا يلاحظ في معظم الولاة في لعصر الراشدي حيث نجد مثلاً أن خالد بن الوليد حينما قدم إلى الشام أميراً على أبي عبيدة بن الجراح وغيره رفض أن يتقدم على أبي عبيدة في الصلاة، وحينما قام عمر بعزل خالد بن الوليد عن ولاية أجماد نشم وتعيين أبي عبيدة مكانه أخفى أبو عبيدة الخبر عن خالد ولم يخبره به حتى ورد كتاب آخر من عمر، فعلم خالد بالخبر فعاتب أب عبيدة على هدم تبليغه^(٦)، يقول الدكتور هبد عزيز العمري: ولم أجد من خلال البحث أن أحداً من الولاة عمس على إذلال من

(١) (٣، ٢) «ولاية على البلد» (٢، ٥٤).

(٥) «أخرج لأبي يوسف ص ٢٢، ٢٣»

(١) فتوح الشام للأردني ص ١٢٢، ١٢٣.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٢١٤.

(٦) تاريخ العمري (٢/ ١٣٩، ١٤٠).

سقه أو الليل منه، بل إهم في العتب يعملون على مدحهم في أول خطبة يلقيونها ويشون عليهم^(١).

ثالثاً: حقوق الولاية:

مما لا ريب فيه أن للولاية على البدن حقوقاً مختلفة يتصل بعضها بالرعية وبعضها بالخليفة، بالإضافة إلى حقوق أخرى متعلقة ببيت المال، وكل هذه الحقوق الأدبية أو المدنية تهدف بالدرجة الأولى إلى إعانة الولاية على القيام بواجباتهم وخدمة دين الإسلام وهذه أهم حقوقهم:

١- الطاعة في غير معصية:

وواجب الصاعة من الرعية للأمراء والولاية قررتها الشريعة قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (سجدة، آية ٥٩).

وهذه الآية تنص على وجوب طاعة أولي الأمر ومنهم الأمراء المفسدون لأوامر الله سبحانه وتعالى^(٢)، ولاشك أن طاعة الأمراء والخلفاء مقبلة بطاعة الله وأنهم متى عصوا الله فلا طاعة لهم^(٣).

٢- ينكح النصيحة للولاية:

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال له: يا أمير المؤمنين لا أنالي في الله لومة لائم خير لي أم أقبل على نفسي؟ فقال: أما من ولي من أمر المؤمنين شيئاً فلا يحجب في الله لومة لائم، ومن كان حذواً من ذلك فليقبل على نفسه وليتصح لولي أمره^(٤).

٣- إيصال الأخبار للولاية:

يجب على الرعية للوالي إيصال الأخبار الصحيحة إليه والصدق في ذلك، سواء ما يخص أحوال العامة، أو ما يخص أخبار الأعداء أو ما كان متعلقاً بعمال الوالي

(١، ٢) (٣، ٤) المصدر نفسه (٢/ ٥٦).

(١) الولاية على البدن (٢/ ٥٥).

(٤) أخرجه أبي يوسف ص ١٥، الولاية على البدن (٢/ ٥٧).

وموظفيه والعحة في ذلك قدر المستطاع خصوصاً ما كان متعلقاً بالأمور الخربية وأحذر الأعداء وما يتعلق بحيات المدن وغير ذلك من مطلق الاشتراك في المسئولية مع الوالي في مراعاة المصلحة العامة للأمة^(١).

٤- مؤازرة الوالي في موقفه:

إذا كان موقفه للمصلحة العامة وترجم المعاونة بالدرجة الأولى من قبل الخليفة، فقد كان عمر رضي الله عنه حريصاً على هذا المعنى كل الحرص حيث كان يولي عناية خاصة لاحترام الناس لولائهم وتقديرهم لهم ويبدى في ذلك مختلف الأسباب (فكان عمر عسى شدة ما فيه مع عماله إذا أحس باعتداء أو شبه اعتداء وقع على أحدهم يشتد على المعتدين في تلك الحاجة ليبقى للعامل هبة توقره في الصدور ومهانة يلحم بها العامة والخاصة)^(٢).

٥- حق الأمير في الاجتهاد:

من حق الأمير الاجتهاد برأيه في الأمور التي يكون مجال الاجتهاد فيها مفتوحاً خصوصاً في الأمور التي لم يحددها لشرع بدقة وفي الأمور الأخرى التي لم يأت فيها تفويض من الخليفة لتصرف في حدود معينة، فقد جتهد أحد ولادة عمر في الشتم في قسمة الأسهم بين الرحلة والفرسان، فأجار عمر اجتهاده، وقد اشتهر عن ابن مسعود وكان أحد ولادة عمر رضي الله عنه أنه حالف عمر في أكثر من مائة مسألة اجتهادية^(٣).

٦- احترامهم بعد عزلهم:

من حقوق الولاية احترامهم بعد عزلهم، فعندما عزل عمر رضي الله عنه شرحبيل بن حسنة عن ولاية الأردن، بين للناس سب عزله، وقال لشرحبيل عندما سأله أعن محطة عزلتي يا أمير المؤمنين؟ قال: لا إلك لكما أحب ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل^(٤)، وعزل سعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة ولعله رأى أن احترامه يقضي

(٢) يصفه نفسه (١/ ١٥٢).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩).

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٥٧).

(٣) إعلام الموقعين (٢/ ٢١٨).

برعاده عن أناس كانوا يعيشونه في صلته مع أن سعداً رضي الله عنه كان أشبه الناس صلاة رسول الله ﷺ لعلمه التام بصفة صلاة النبي ﷺ، فعرفه عمر احتراماً له عن أن يقع فيه مثل هؤلاء الجهال^(١).

٧- حقوقهم المادية:

أما عن الناحية المادية فقد كان لمولاة حقوق وعلى رأسها مرتباتهم التي يعيشون عليها، ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون قد أحسوا بأهمية الأرزاق بالنسبة للعمال، وأنها حق من حقوقهم إضافة إلى استئنائهم بها عن الناس وبأنكفي عدم التأثير عليهم أو محاولة رشوتهم^(٢)، وقد كان عمر بن الخطاب حريصاً على نزاهة عماله وعصمتهم عن أموال الرعية، واستئنائهم بأموالهم عن أموال الغير، ونعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أحس بهذه القضية الخطيرة، وأحس أنه لكي يضمن نراة عماله فلا بد له أن يغنيهم عن 'خُجاجة إلى أموال الناس'. وقد دار حوار بينه وبين أبي عبيدة مهوره أن أنا عبيدة قال لعمر بن الخطاب: دُست أصحاب رسول الله ﷺ -يعني باستعمالهم- فقال له عمر: يا أبا عبيدة إذا لم أستعن بأهل لدين عني سلامة ديني فمن أستعين؟ قال أبو عبيدة: أما إن فعلت فأعنتهم بالعمالة عن الحياة^(٣)، يعني إذا استعملتهم في شيء فأحزل لهم في العطاء والورق، حتى لا يحتجون إلى الحياة أو إلى الناس وقد كساد عمر بصرف لامراء الجيش والقرى وجميع العمال من لعطاء ما يكفيهم بالمعروف نظير عملهم (على قدر ما يصلحهم من الطعام وما يقومون به من الأمور)^(٤)، وكان عمر يحرص على نراة العمال عما بأيديهم من الأموال العامة فيقول لعماله: قد أنزلتكم من هذا المال ونفسي منزلة وصي النبي من كان عبياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف^(٥)، وقد مرض عمر جميع عماله تقريباً مرتبات محددة وثابتة سواء يومية أو شهرية أو سنوية وقد ورد ذكر بعضها في المصادر التاريخية منها ما كان طعاماً ومنها ما كان نقوداً محددة^(٦)، وقد

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٥٩).

(٢) الولاية على البلدان (١/ ١٤٩).

(٣) الخراج لأبي يوسف ص ١٢٢.

(٤) الولاية على البلدان (١/ ١٤٩).

(٥) تاريخ اللبنة (٢/ ٦٩٤) الولاية على البلدان (١/ ١٤٩).

(٦) الولاية على البلدان (٢/ ٥٩).

(٧) الخراج لأبي يوسف ص ١٢٢.

(٨) تاريخ اللبنة (٢/ ٦٩٤) الولاية على البلدان (١/ ١٤٩).

(٩) الولاية على البلدان (١/ ١٤٩).

(١٠) تاريخ اللبنة (٢/ ٦٩٤) الولاية على البلدان (١/ ١٤٩).

ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ستمثل عند الله بن مسعود على القضاء وبيت المال وعثمان بن حيف على ما سقى الفرات وعمر بن ياسر على الصلاة واحد وورقهم كل يوم شاة، فجعل نصفها وسقطها وأكسارها لعمار بن ياسر، لأنه كان في الصلاة ولجيد، وجعل ربعها لعمد الله بن مسعود وربع الآخر لعثمان بن حيف كما ورد أن عمر بن الخطاب فرص لعمرو بن العاص أثناء ولايته على مصر ما بقي دينار^(١)، وكان عطاء سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو على ثلاثين ألفاً من أساس في المداين خمسة آلاف درهم، وللهذه كن يأكل من عمل يده من الخرص ويتصدق بعطائه^(٢)، وقد وردت روايت أخرى متفاوتة في أوراق عمر بولائه، ولا شك أن هذا الاختلاف في الروايات مرده إلى تطور الأحوال وتغيرها خلال عهد عمر. فلا يعقل أن تبقى الأوراق والمرتبات على ما هي عليه من أول عهده إلى نهايته، نظراً لتغير الظروف والأحوال واختلاف الأسعار وتطور الحاحات نتيجة اتساع الفتوح وزيادة الدخل في بيت المال^(٣)، وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ررق معاوية على عمله بالشام عشرة آلاف دينار في كل سنة، كما ذكر أن عمر كان يعرض لأمراء الجيوش والقرى في العطاء ما بين تسعة آلاف وثمانية آلاف وسبعة آلاف على قدر ما يصلهم من الطعام وما يقومون به من الأمور^(٤).

وقد كره بعض العمال أحد الأوراق نتيجة قيامه بأعمال الإمارة والولاية للمسلمين إلا أن العروق كان يوجههم إلى أحدها، فقد قال عمر رضي الله عنه لأحد ولاته: ألم أحدثك أنك تلي من أعمال المسلمين أعمالاً فإذا أعطيت العملة كرهتها؟ فقال: بلى، فقال عمر: ما تريد إلى ذلك؟ قال: إني أفرساً وأعدداً وأنا بهير، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين فقال عمر: لا تعمل فإني كنت أردت الذي أردت، وكان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول أعطه أفقر إليه مني فقال: إني ﷺ: حله فتموله وتصدق به، فما جاءك من هذا مال من غير مسألة ولا إشراف

(١) الطبقات الكبرى (٤ / ٢٦١)

(٢) سير اعلام النبلاء (١ / ٥١٧)

(٣) الولاية على البلدان (٢ / ٦٣).

(٤) الخراج لأبي يوسف ص ٥، الولاية على البلدان (٢ / ٦٣)

عمر بن الخطاب

فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك^(١)، وعلى كل حال فإن مبدأ إعطاء الأوراق للعمال وإغاثتهم عن الناس كان مبدأ إسلامياً فرضه الرسول ﷺ، وسار عليه الخلفاء الراشدون من بعده، حتى أعنوا العمال عن أموال الناس، وفرغوهم للعمل ولمصلحة الدولة الإسلامية^(٢).

٨- معالجة العمال إذا مرضوا:

مرض معيقيب، وكان حازن عمر على بيت المائ، فكان يطلب له الطب من كل من يسمع عنده طب، حتى قدم عليه رجلان من أهل اليمن، فقال: هل عندكم من صب لهذا الرجل الصالح، فإن هذا الوجع قد أسرع فيه. قالوا: أما شيء يدهه فإننا لا نقدر عليه ولكنا بدو به بدواء يقفه فلا يريد. قال عمر: عافية عظيمة أن يقف فلا يريد قال. من ينبت في أرضك هذا الحنظل قال: نعم. قالوا: فاجمع لنا فيه فأمر عمر فجمع له منه مكتلات عظيمات، فعمدا إلى كل حفلة، فطعها باثني، ثم أصبحا معيقيباً فأخذ كل واحد منهما بإحدى قدميه ثم جعل يدلكا بطون قدميه بالحنظل، حتى إذا امتحقت أحد أخرى. ثم أرسلاه فقال عمر: لا يريد وجمعه هذا أبداً قال الراوي. فوالله ما زال معيقيب بعدها متمسكاً ما يزيد وجمعه حتى مات^(٣).

رابعاً- واجبات الولاية:

إن الولاء بما بواهم الله من مكانة، قد ألقى على كاهلهم أعباء ثقلها، وواجبات جسامها، أثر منها عن عمر بن الخطاب ما يلي:

١- إقامة أمور الدين:

كشّر الدين الإسلامي بين الناس، وإقامة الصلاة، وحفظ الدين وأصوله، وساء المساجد وتيسير أمور الحج، وإقامة الحدود الشرعية:

* نشر الدين الإسلامي:

حيث احتضن ذلك لعصر بفتوحات عظيمة اقتضت من الولاية العمل على نشر

(١) رواية على اللذان (٦٤/٢)، الإمارة الإسلامية محمد كرد من ٤٨

(٢) أخبار عمر ططونات من ٣٤١

(٣) رواية على اللذان (٦٤/٢).

الدين في البلاد المفتوحة مستعينين بمن معهم من الصحابة^(١)، وفي زمن عمر كتب إليه يزيد بن أبي سفيان وكان والياً على الشام. إن أهل الشام قد كثروا وملؤوا المدائن واحتاحوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعني برجل يعلمونهم، فأرسل إليه عمر خمسة من فقهاء الصحابة^(٢). وقد اشتهر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يردد: ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم بيصربوا بأشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم أمر دينكم وسنة نبيكم^(٣)، وكان عمر يقول لولائه إن لا يؤتيكم على أشعار المسلمين ولا عني بأشارهم وإنما نوليكم لتتيموا الصلاة وتعلموهم القرآن^(٤)، وقد أرسل عمر رضي الله عنه مجموعة من المعلمين إلى الأمصار الإسلامية، حيث أسسوا المدارس العلمية المشهورة كما مرّ مع.

* إقامة الصلاة:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب لولائه: إن أهم أمركم عدي الصلاة فمن حفظها وحفظ عليها حفظ دبه ومن صيغها فهو لما سواها أشد إصاعة^(٥)، كما كان عمر يؤكد لولائه أهمية إقامة الصلاة في الدس بقوله. وإنما نوليكم لتتيموا الصلاة ونعموهم العلم والقرآن^(٦)، وكان عمر رضي الله عنه يصر في قرار التعيين أن هلاًناً أمير الصلاة وأحرب كالقرار الذي عير فيه عمر بن ياسر على الصلاة والحرب وعبد الله ابن مسعود على القضاء وبيت المال^(٧)، وقد تحدث الفقهاء الذين كتبوا في السيادة الشرعية عن أهمية الصلاة دلالة للأمير وما يتضمنه ذلك لأمر من معان عقيمة دنيوية وأخروية^(٨).

* حفظ الدين وأصوله:

حرص العروق على حفظ الدين على أصوله الصحيحة التي برئت على رسول

(١) أعلام الموقعين (٢٤٧/٢) (٢) سير أعلام النبلاء (٢٤٧/٢). (٣) الباسة الشرعية ص ١٥ .

(٤) مصبحة الموك للمناوردي ص ٧٢ ، الولاية على البلدان (٦٥/٢)

(٥) الطريقة الحكمية ص ٢٤٠ ، الولاية على البلدان (٦٧/٢)

(٦) مصبحة الموك ص ٧٢ ، (٧) الأحكام السلطانية ص ٣٣ . (٨) الولاية على البلدان (٦٧/٢)

عمر بن الخطاب ٢٩٣

الله، وكان يعمل جاهداً على إحياء سنة الرسول ﷺ ولعشاء على البدع والعمل على احترام دين الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ، فقد أمر بطرد رجل وتعميره نتيجة كثرة إثارته لمواضيع من المنشأ من القرآن^(١) كما مر معاً، وأمر بفتح ما لقيام في رمضان وتعميم ذلك على الأمصار^(٢)، وقد كتب إلى أبي موسى الأشعري: إنه ينبغي أن ماساً من قبلك قد دعوا بدعوى الجاهلية يا آل صبة فإذا أناك كتابي هذا فإنهم عفو في أموالهم وأحسانهم حتى يفرقوا إذا لم يفقهوا^(٣).

* تخطيط وبناء المساجد:

وتذكر بعض الإحصاءات أنه أنشئ في عهد عمر ٤٠ مسجد في بلاد العرب وحدها وقد اشتهر لولاية بشر المسجد وتأسيسها في مختلف مناطق حكمهم مثل عياص بن غنم الذي أنشأ مجموعة من المساجد في النواحي المختلفة من الجريد^(٤).

* تيسير أمور الحج:

كان الولاية في عهد الخلافة الراشدة مسئولين عن تيسير أمور الحج في ولاياتهم وتأمين سلامة الحجاج بها، فقد كان الولاية يعيرون الأمراء على قوافل الحج، ويحددون لهم أوقات السفر حيث لا يغادر الحجاج بلادهم إلا بإذن الوالي. وقد أكد الفقهاء بعد ذلك على أن تيسير الحجاج عمل من مهام الوالي على بلده، يقول الماوردي: أما تيسير الحجاج من عمله فداحلة في أحكام إمارته لأنه من جملة المعونات التي تنسب لها^(٥).

* إقامة الحدود الشرعية:

أقام عمرو بن العاص الحد على أحد أبناء عمر بن الخطاب في مصر ثم حقه عمر نفسه بالحد، وقيل إنه توفي بعد ذلك في أثر هذا الجلد^(٦)، وقد كان الولاية يقومون بالفصاح في القتل دون إذن الخليفة إلى أن كتب إليهم عمر: ألا تقتلوا

(٣) مرسوعة لغة عمر بن الخطاب من ١٣٣.

(١) الولاية على البلدان (١٨/٢).

(٤) فتح البلدان للملاوي من ١٨٢ - الولاية على البلدان (٦٩/٢).

(٥) الأحكام السلطانية من ٣٣.

(٦) ماتب عمر بن الخطاب لابن الجوزي من ٢٤٠، ٢٤٢.

أحدًا إلا بإذني^(١)، فأصبحوا يستأذنون عمر في القتل قبل تنفيذه، وإقامة الحدود من الأمور الدسيسة والديوية التي كان ينظر إليهما الخلفاء وولاتهم نظرة جادة ويهتمون بها كما يهتمون بشعائر الدين المختلفة^(٢).

٢- تأمين الناس في بلادهم:

إن المحافظة على الأمن في الولاية من أعظم الأمور الموكلة إلى الوالي، وفي سبيل تحقيق ذلك فإنه يقوم بالعديد من الأمور أهمها إقامة الحدود على العصاة والفساق، مما يبعد من الحرائم التي تهدد حياة الناس وممتلكاتهم^(٣) وقد كتب عمر ربيعة إلى أبي موسى الأشعري: أحبوا المساك واجعلوهم يدًا يداً ورجلاً رجلاً^(٤)، كما أن إقامة فريضة الجهاد ضد الأعداء كانت لها دور كبير في تأمين البلاد الإسلامية وأمصارها^(٥).

٣- الجهاد في سبيل الله:

إذا استعرضنا أسماء الأمراء منذ بداية خلافة أبي بكر إلى خلافة عمر لوجدنا لهم بعداً طويلاً في الفتوحات، بل إنهم كانوا يتوجهون أمراء إلى بلدان لم تفتح بعد فيعمدون على فتحها ومن ثم تطعيمها كأمراء الشام أبي عبيدة، وعمرو بن العاص، ويريد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة، وأمراء العراق كاشتى بن حارثة وحالد بن أثوليد وعباص بن عزم وغيرهم^(٦)، وقد كان الولاة في عهد الخلفاء الراشدين مع إدارتهم لبلادهم مجاهدين لخواص العدو، ولم يمنعهم ذلك من القيام بأعمالهم الموكلة إليهم، وقد تحدثت المصادر التاريخية عن أهم أعمال الولاة في دعم حركة الجهاد والتي من أهمها:

- إرسال المتطوعين إلى الجهاد.

- الدفاع عن الولاية ضد الأعداء: فقد قال عمر: ونكم علي أن أسد ثعوركم.

تحصين البلاد: فقد أمر المدقوق بسد حصون من نزل الحيرة في مصر من قنائل الغنم، خوفاً عليهم من الإغارات المفاجئة^(٧).

(١) الوثائق السياسية للمعهد النبوي والخلافة الرشيدة ص ٥٢١ . (٣، ٢) الولاية على البلدان (٧٠ / ٢)

(٤) حيون الأخبار (٦٦ / ١).

(٥) الولاية على البلدان (٧٧ / ١).

(٦) الولاية على البلدان (٧٧ / ١).

تنوع أخبار الأعداء: فقد اشتهر عن أبي عبيدة بن جراح متابعته الدقيقة لتجمعات روم في بلاد الشام، فكان يقوم ببعض العمليات الاسحائية الترموية ساء على هذه لأخبار^(١)

- إمداد الأمصار بالخيول: وضع عمر بن الخطاب سياسة عامة في الدولة توفير الخيل اللازمة للجهاد في الأمصار الإسلامية حسب حاجتها فأقطع أناساً من البصرة أراضي كي يعملوا فيها على إنتاج الخيل وتربيتها^(٢)، كما أعطى عمر أناساً من المسلمين في دمشق أرضاً للعبادة بالخيول فررعوها فاترعها منهم وأعزمهم لمخالصهم الهدف من إعطائهم الأراضي وهو المساعدة في إنتاج الخيل، وقد كان لعمر أربعة آلاف فرس في الكوفة وكان قيمه عليها سلاحا بن ربيعة الباهلي في فرس من أهل الكوفة بصنع سواقها ويجريها في كل عام، وبالبصرة نحو منها، وأيضاً في كل مصر من الأمصار لشامية عدد قريب من العدد السابق^(٣) وكانت هذه الخيول مجهزة للدفاع القوي عن الدولة الإسلامية^(٤).

- تعليم العلماء وإعدادهم للجهاد: فقد كان عمر بن الخطاب يكتب إلى أهل الأمصار يأمرهم بتعليم أولادهم الفروسية والسباحة والرمي، وقد أصيب أحد ثقلان أثناء لتعليم في شام ومات، فكتبوا إلى عمر في ذلك فم يشه عن أمره بتعليم الأولاد الرمي^(٥).

- متابعة دواوين الحشد: اهتم الخاروق بن الخطاب اهتماماً حاداً بدواوين الأمصار نظراً لاعتقاده أن أهل الأمصار أحوج الناس لنصط حصوفاً القرية من لأعداء وهي الأمصار التي تحساح إلى الحشود باستمرار^(٦)، وقد كان الولاية على اللذان مسئولين مباشرة عن دواوين الحشد رغم وجود بعض الموظفين الآخرين الذين يتولون مهمتها، ولكن باعتبار أن هؤلاء الولاية هم أمراء الحرب فقد كانت مسئوليتهم عن الدواوين في بللتهم كمسئولية الخليفة باعتبارهم تولوا^(٧).

(١،٢) الولاية على اللذان (٧٤/٢)

(١) فتوح ابن عثم ص ٢١٤

(٥) إوتانق السيرة لعميد القوي والخلافة قرطبة ص ٤٨٦ . (٦) النظم الإسلامية، صهيي الصالح ص ٤٨٨، ٤٩١

(٧) الولاية على اللذان (٧٧/٢)

- تنفيذ المعاهدات: وقد جرت بعض المعاهدات بين أبي عبيدة بن الجراح وبعض مدن الشام، وكذلك الحال بالنسبة لأمراء العراق كسعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري وغيرهم من الولاة، وقد كان الولاة إضافة إلى ذلك يعرضون على حماية حقوق الدعيين والمعاهدات الشخصية والعامة، وينفذون المعاهدات انطلاقاً من الأوامر الشرعية برعاية العهد^(١)، وقد أوصى الفاروق بأهل الدمة فقال: أوصيكم بدمة الله ودمة رسوله خيراً، أن يقاتل من وراءهم، وأن لا يكتفوا فوق طفتهم^(٢).

٤- بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس:

فقد قال عمر: إن سلمي الله لأدعن أراذل العراق وهن لا يحتججن إلى أحد بعدي، وبحس لا نسي موقف عمر عام الرمادة، حين حل الخوج بالناس، فبه وضع جميع إمكانيات الدولة لحل الأزمة وإشباع الطون الجائعة، فقد روى البيهقي في مسه أن عمر أنفق على أهل الرمادة حتى وقع انقطر، فترحلوا، فخرج إليهم عمر راكناً فرساً، فظفر إليهم وهم يترحلون بطعائهم، فدمعت عيانه، فقال رجل من بني محارب بن حصيفة: أشهد أنها انحسرت عيك، ولست بأمن أمة يمدح عمر، فقال له عمر: ويلك، ذلك لو أنفقت من مالي أو من مال الخطاب، إنما أنفقت من مال الله^(٣)، وقد قال **يحيى**: ولكم عليّ ألا أجني شيئاً من حراكم ولا عما آفاه الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليّ أن أريد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله^(٤)، وقد أخذ توزيع الأعطيات في عهد عمر شكلاً دورياً منتظماً، ولم يكن ذلك حاصاً بسكان البلدان، بل إن القنائل في البادية شملتها الأعطيات. فقد كان عمر بن الخطاب يدور في القنائل القريبة من المدينة ويوزع عليهم أعطياتهم بنفسه وكان يكتب إلى بعض ولاته أن أعط الناس أعطياتهم وأرزاقهم فكتب إليه عمر: إنه فينهم الذي آفاه الله عليهم، ليس هو لعمر ولا آل عمر أقسمه بينهم^(٥)، ولم يكتب عمر تأمين الأموال للناس بل إنه عمل

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص ١٣٣

(٢) الولاة على البلدان (٧٧/٢)

(٣) مسه البيهقي (٣٥٧/٦) موسوعة فقه عمر ص ١٣٥ . (٤) موسوعة فقه عمر ص ١٣٧ .

(٥) الولاة على البلدان (٧٧/٢)

على تأمين الطعام، ففي إحدى زياراته للشام قام إليه بلال بن رباح فقال: يا أمير المؤمنين إن أمراء أجدادك بنشام والله ما يأكلون إلا لحوم الطير والخبر القوي وما يعد ذلك عامة المسلمين، فقال لهم عمر بن الخطاب ما يقول بلال؟ فقال له يريد من أبي سفيان. يا أمير المؤمنين إن سعر بلادنا رخيص وأنا نصيب هذا الذي ذكر بلال ها مثل ما كنت قوت عيالنا بالخجار فقد عمر بن الخطاب لا والله لا أرح حتى تصمموا لي أرزاق المسلمين في كل شهر ثم قال انظروا كم يكفي الرجل ما يشتهي^(١) قالوا جريبي مع ما يصنعه من لريت والخل عند رأس كل هلال فصمموا له ذلك ثم قال يا معشر المسلمين هذا لكم سرى أعطياتكم فإن وفى لكم أمراؤكم بهذا الذي مرصت لكم عليهم، وأعطوكموه في كل شهر، فذلك أحب، وإن هم لم يفعلوا فأعلموني حتى أعرلهم وأولي غيرهم^(٢)، وقد كان عمر يحرص على توفير الطعام في المدن ويتابع الأسواق ويمسح الاحتكار، وكذلك كان ولاته يقومون بمهمتهم في مراقبة الأسواق، كما كان يأمر التجار بالمسير في الأسواق والجلب على المسلمين وإغده أسواقهم^(٣)، ولم يكتف الماروق وولاته تأمين الطعام ومراقبة الأسواق فقط، بل إن السكن وتوريعة كان من أهم الموكلة لأمراء البلدان، فتعد إنشاء الأمصار وتحطيطها ورعت الأراضي على الناس لسكنها في الكوفة والبصرة^(٤) والمصطط كما كان الأمراء يشرفون على تقسيم البيوت في المدن المفتوحة، كحمص ودمشق والإسكندرية وغيرها^(٥).

٥- تعيين العمال والموظفين:

كان تعيين العمال والموظفين في الوظائف التابعة للولاية في كثير من الأحيان من مهام الوالي حيث إن الولاية في العال تتكون من بلد رئيس إصافة إلى بلدان وأقاليم أخرى تابعة للولاية، وهي بحاجة إلى تنظيم أمورها، فكان الولاية يعينون من مثلهم عمالاً وموظفين في تلك المناطق، سواء أكانوا في مستوى أمراء، أو عمال حراح، وفي العال فإن هذا التعيين يتم بالاتفاق بين الخليفة والوالي^(٦).

(١) خروج الشام للأردن من ٢٥٧ هـ، الولاية على الشام (٧٨/٢) (٢) تاريخ المدينة (٧٤٩/٢)
(٣) الولاية على البلدان (٧٩/٢).
(٤) شرح البلدان للبلاوي من ١٤٣، ٢٢٤.
(٥) الولاية على البلدان (٧٩/٢)

٦- رعاية أهل الذمة:

كانت رعاية أهل الذمة واحترام عهودهم والقيم بحقوقهم الشرعية، ومطالبتهم بما عليهم للمسلمين من واجبات، وتنشأ أحولتهم، وأخذ حقوقهم مما يظلمهم انطلاقاً من الأوامر الشرعية في هذا الجانب من وحدات الوالي، وقد كان الخلفاء يشترطون على الدمييين في كثير من الأحيان شروطاً معينة قبل مصالحتهم، وبالتالي يوفون لهم بحقوقهم ويطالبون بما عليهم من شروط^(١).

٧- مشاوراة أهل الرأي في ولايته وإكرام وجوه الناس:

شدد عمر على أولاده في استشارة أهل الرأي في بلادهم، وكان الولاية يطقون ذلك ويعقدون مجالس للناس لأخذ آرائهم، وكان يأمر ولايته باستمرار بمشاوراة أهل الرأي^(٢)، وعصب من ولايته إيراد الناس مآزهم، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: بلغني أنك تأذن بناس جمل عفيراً، فإذا جاءك كتابي هذا فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين، فإذا أخذوا محالهم فأذن للعامة، وكتب إليه أيضاً: لم ير للناس وجوه يعرفون حوائج الناس، فأكرموا وجوه الناس، فإنه بحسب المسلم الضعيف أن يتتصف في الحكم والقصة^(٣).

٨- النظر إلى حاجة الولاية العمرانية.

فقد قام سعد بن أبي وقاص بحمر نهر في ولايته بناء على طلب بعض كبار المرس لصالح المارعيين في المنطقة^(٤)، كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري يأمره بحمر نهر لأهل البصرة، وقام أبو موسى بحمر نهر طوله أربعة فراسخ حتى تمكن من جلب المياه لسكان البصرة^(٥)، كما اعتنى ولاية عمر بتوزيع تأسيسهم للأبصار المشهورة الكوفة، وببصرة ولصطمة منحطيط الشوارع وتوزيع

(١) (٢، ١) الولاية على البلدان (٢، ٨٠).

(٣) نسخة المنوك لمارودي من ٢٠٧، موسوعة فق عمر من ١٣٤.

(٤) فتح البلدان لبلاذري من ٢٧٣، الولاية على البلدان (٨٧٢).

(٥) فتح البلدان لبلاذري من ٣٥١، ٣٥٢.

الأراضي وبناء المساجد وتأمين المياه، وغير ذلك من المصالح العامة لهذه المدن، كما اهتم الولاة بتوطين السكان في المناطق غير المرغوب فيها، لقربها من العدو أو غير ذلك من الأسباب فقد قدموا لهم الإعراءات وأقطعوهم لأراضي تشجيعاً لهم على البقاء فيها، وقد فعل ذلك عمر وعثمان في إيطاكية وفي بعض بلاد الخيرة

٩- مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية:

كان الوفد إذا قدموا على عمر يمتحنونهم عن أميرهم فيقولون حبراً، فيقول هل يعود مرضاكم؟ فيقولون نعم، فيقول هل يعود العبد؟ فيقولون نعم، فيقول كيف صيغه بالصغير؟ هل يحل على بابه؟ فإن قالوا لخصلة منها (لا عرله) ^(١) وكان عمر يقوم بعزل العامل إذا بلغه أنه لا يعود المريض ولا يدخل عليه الصغير ^(٢)، كما حرص عمر من الخطأ على أن يظهر عماله بالمظهر المتواضع أمام الناس حتى يشعر الناس بأن ولايتهم منهم ولا يتميرون عنهم، فكان عمر يشترط على عماله مراكباً ومطبخاً مماثلًا للناس، وينهاهم عن اتخاذ الأبواب والحجاب ^(٣).

١٠- عدم التفريق بين العربي وغيره:

يجب على الولاة أن يقوموا بالمساواة بين الناس وأن لا يفرقوا بين العربي وغيره من المسلمين، فقد قدم قوم على عامل لعمر من الخطأ، فأعطى العرب وترك الموالي، فكتب إليه عمر أما بعد فحسب المرء من الشر أن يحقر أحياه المسلم وفي رواية كتب إليه: ألا سويت بينهم ^(٤).

كما أن هناك العديد من الواجبات الأخلاقية الأخرى التي أمر الإسلام بالترامها مثل (نوفاء بالعهد، وإخلاص المرء في عمله، ومراقبة الله سبحانه وتعالى في كل ما يعمل، واستعداده للتعاون مع سائر الجماعة في كل أعمال البر والتقوى، ووجوب النصيحة لئله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإن هـد ولا شك يؤدي إلى إصلاح حال الجماعة ^(٥))، وكان على الوالي، فضلاً عن الالتزام بهذه المعاني، نشرها بين

(١) (٣، ١) م. بلاه على القلاص (٨٢/٢). (٢) فونائق السلب للمهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٥٢٣.

(٣) نظريات السياسة الإسلامية محمد ضياء قريش ص ٣٠٧، ٨، ٣.

٤ **عمر بن الخطاب**

الناس في ولايته وذلك من خلال خطبه وكتبه ومواعظه وتصرفاته، وقد كان الولاة في عصر الراشدين -صفة إجمالية- نموذجاً صالحاً لهذه الأخلاقيات والواجبات، سواء في أشخاصهم وخصوصياتهم أم في سلوكهم انعام مع الرعية^(١).

خامساً- الترجمة في الولايات، وأوقات العمل عند الولاة:

١- الترجمة في الولايات:

إن عممية الترجمة تعتبر من الوظائف المساعدة لولاة البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، وإحاجة ماسة إليهم، في كثير من الأحيان، وقد طلب عمر من ولاته في العراق أن يعثوا إليه في المدينة بدهاقين من درس ليتقدم معهم حول قصاي الخراج، فعثوا إليه بالدهاقين وترجمان معهم^(٢)، وقد ذكر عن أميرة بن شعبة أنه كان يجد شيئاً من اللغة الفارسية وقدم بالترجمة بين عمر والهرمران في المدينة^(٣).

إن معرفة الترجمة أمر معروف في الدولة الإسلامية عموماً في عصر الخلفاء الراشدين وقبل ذلك، وإذا علمنا أن دواوين الخراج كانت بغير اللغة العربية، فإننا ندرك مدى الحاجة إلى وجود مترجمين في الولايات يتولون الترجمة في قضايا الخراج وغيرها خصوصاً أن العمل الرئيسي على الخراج كانوا بالدرجة الأولى من لعجم، كما أن انتشار الموالي والداخلين احدث في الإسلام في البلدان الإسلامية المختلفة جعل الحاجة إلى الترجمة مهيمة جداً في كثير من الأمور المتصلة بالقضاء وغيره، كما أن المفاوضات بين القواد المتحيز وهم في الغالب من لولاة وبيز أهل البلاد المفتوحة يحتاج إلى وجود المترجمين^(٤).

١- أوقات عمل الولاة:

لم يكن هناك تنظيم دقيق لوقت العمل في عهد الفاروق، فقد كان الخبيصة والولاة يعملون في جميع الأوقات، وليس عليهم حجاب حتى إن بعضهم يقوم

(١) لولاية على البلدان (١٥/٢)

(٢) الخراج لأبي يوسف ص ٤٠، ٤١، الولاية على البلدان (٢/ ١٠٥)

(٤) لولاية على البلدان (٢/ ١٤)

عمر بن الخطاب (٤١)

بالتحول ليلاً وقدوتهم في ذلك عمر بن الخطاب الذي اشتهر باشي ليلاً وتفقد المدينة، وقد كان الناس يدخلون على الولاة في مختلف الأوقات ويقضون حاجاتهم دون أن يجد الناس من يجمعهم من يحول على الولاة بحجة أن ذلك الوقت ليس وقت عمل، وقد اشتهر بولاة يحرضهم على تجاوز الاعمال أولاً بأول وعدم تأخيرها، وقد كتب عمر بن الخطاب في هذا المجال إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قائلاً: لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فتدبر عليك الاعمال، فتصعب، وإد للناس نفرة عن سلطانهم أعوذ بالله أن تدركني وإياكم وضغائن محمولة ودينا مؤثرة وأهواء مشعة^(١).



(١) مذهب أمير المؤمنين لاس نخري ص ١٢٩

المبحث الثالث متابعة الولاية ومناسبة عمر لهم

أولاً: متابعة الولاية:

لم يكن عمر يرضى بأن يهتم بحسن اختيار عماله، بل كان يسدل أقصى الجهد لمتابعتهم بعد أن يتولوا أعمالهم ليطمئن على حسن سيرتهم ومخافة أن تنحرف بهم نفوسهم، وكان شعاره لهم: حير لي أن أعزل كل يوم والياً من أن أقي ظمناً ساعة نهار^(١)، وقال: أما عمل لي ظلم أحداً فلعلي مظلمته فلم أغيرها، فإنا ظلمته^(٢). وقال يوماً لمن حوله: أرايتم إذا استعملت عليكم حير من أعلم ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما علي؟ فقالوا: نعم. قال: لا حتى أنظر في عمله، أعجل بما أمرته أم لا^(٣)؟ وقد صدر من عمر حرمة في رقائه الإثارية لعماله وتابعهم بدقة، وكانت طريقة عمر في الإدارة إطلاق الحرية للعامل في الشؤون المحلية وتقيده في المسائل العامة ومرقته في سلوكه وتصرفاته، وكان له جهاز سري، مربوط به مراقبة أحوال الولاية والرعية، وقد بيت لما المصادر التاريخية أن ما يشه اليوم (المخابرات) كان موجوداً عند عمر فقد كان علمه من بأي عنه من عماله علمه ممن بت معه في مهاد واحد، وعلى وساد واحد فلم يكن في قطر من الأقطار ولا ناحية من الواحي عامل أو أمير جيش إلا وعليه عين لا يفارقه، فكانت ألفاظ من بالشرق والمغرب عنده في كل عرس ومصبح، وأنت ترى ذلك في كتبه إلى عماله حتى كان العامل منهم ليتهم أقرب الناس إليه وأحصيهم^(٤)، وكنت وسائل عمر في متابعتهم لعماله متعددة منها.

١ - طلب من الولاية دخول المدينة نهراً:

كان من يطلب من ولاته - القادمين إلى المدينة - أن يدخلوها نهراً، ولا

(١) نظم الإسلامية، ص ٨٩، الإذاعة الإسلامية ٢١٥

(٢) مناقب أمير المؤمنين لابن أبي حنيفة ص ٥١، دار الإسلام ٢١٥

(٣) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص ٢١٥

(٤) فتح في حلال التلوك ص ١٦٨

عمر بن الخطاب

يدخلونها ليلاً، حتى يظهر ما يكون قد جاءوا به من أموال ومغانم فيسهل السؤال والأخبار^(١).

٢- طلب الوفود من الولاة:

كان عمر رضي الله عنه يطلب من الولاة أن يرسلوا وفوداً من أهل البلاد ليسألهم عن بلادهم، وعن الخراج المفروض عليهم ليشأكد بذلك من عدم ظلمهم، ويطلب شهادتهم فكان يخرج إليه مع حواج الكوفة عشرة من أهلها، ومع حراج البصرة مثلهم، فإذا حصروا أمامه شهدوا بأنه مال طيب، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد^(٢)، وكان هذا الإجراء كفيلاً بمنع الولاة من ظلم الناس إذ لو حدث هذا لرفع هؤلاء الوفود إلى أمير المؤمنين وأحسروا به، كما أن عمر في العائد كان يقوم بمناقشة هؤلاء الوفود وسؤالهم عن بلادهم وعن ولاتهم وسؤوكهم معهم^(٣).

٣- رسائل البريد:

كان عمر رضي الله عنه يرسل البريد إلى الولاة في الأمصار فقد كان يأمر عامل البريد عندما يريد العودة إلى المدينة أن يسأله في ناس من الذي يريد إرسال رسالة إلى أمير المؤمنين؟ حتى يحتملها إليه دون تدخل من والي البلد، وكان صاحب البريد نفسه لا يعلم شيئاً من هذه الرسائل، وبالتالي يكون المحال مفتوحاً أمام الناس لرفع أي شكوى أو مظنة إلى عمر نفسه دون أن يعلم والي أو رحاله بذلك، وحينما يصل حامل الرسائل إلى عمر بشر ما معه من صحف ويقرأها عمر ويرى ما فيها^(٤).

٤- المفتش العام (محمد بن مسلمة).

كان محمد بن مسلمة الأنصاري يستعين به الفاروق في متابعة الولاة ومحاسنهم والتأكد من الشكاوى التي تأتي صدهم، فكان موقع محمد بن مسلمة كالمفتش العام في دولة الخلافة، فكان يتحرى حق أداء الولاة لأعمالهم، ومحاسبة المقصرين

(٢) خراج لابي يوسف من ١٢٤ لولاية علي بن زيد (١/ ١٥٧)

(٤) تاريخ طبرستان (٢/ ٧٣١)

(١) في نسخة من ١٧٤

(٣) لولاية علي بن زيد (١/ ١٥٧)

١١ **عمر بن الخطاب**

مهم، فقد أرسله عمر لمراقبة ومحاسبة كبار الولاة^(١)، والتحقيق في الشكايات ومقابلة الناس والسمع مهم ويقل آرائهم عن ولايتهم إلى عمر مباشرة، وكان مع محمد بن مسلمة أعوان.

٥- موسم الحج:

كان موسم الحج فرصة لعمر ليستقي أحوال رعيته وولائه، فجعله موسمًا للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء في شتى الأنحاء؛ فيجتمع فيه أصحاب الشكايات والمطالب، ويعد فيه الرضاء للذين كان عمر يشهم في أرحاء دولته لمراقبة العمال ولولاة ويأتي العمال أنفسهم لتقديم كشف الحساب عن أعمالهم، فكان موسم الحج «جمعية عمومية كبرى ما تكون الجمعيات العمومية في عصر من العصور»^(٢)، وكان عمر يلخص في موسم الحج واجبات عمله أمام الرعية ثم يقول: «من فعل به غير ذلك فليقم» فما قام من أهل الموسم - أمداك - أحد - لا رجل واحد - مما يدل على عدالة هؤلاء الولاة ورضا الرعية عنهم - فقال ذلك الرجل إن عاملك فلانًا صربي مائة سوط؛ فقال عمر العامل فلم يجد عنده جوابًا، فقال للرجل قم فاقصص منه فقدم عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إني فعلت هذا بكثير، ويكون سنة يؤخذ بها بعدك، فقال عمر: أنا لا أقيد - أي اقتص - وقد رأيت رسول الله ﷺ يقيد من نفسه؟ فقال عمرو: دعنا فلنرصه، فقال: دونكم فلنرصوه، فافتدى العامل من الرجل مئتي دينار، كل سوط بدينارين^(٣).

٦- جولة تفشيشية على الأقاليم:

كان تفكير عمر قبل مقتله أن يجول على الولايات شخصيًا لمراقبة العمال وتفقد أحوال الرعية، والاطمئنان على أمور الدولة الثرامية، قال عمر: «لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع ذوي، أما عندهم

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص ١٢٢ إلى ١٢٦.

(٢) حيقرة عمر للمعد ص ٨٢، الدولة الإسلامية د. حمدي شافعي ص ١٣٨.

(٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٢٢).

عمر بن الخطاب

فلا يدعونها إليّ، وأما هم فلا يصبون إليّ، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الخريبة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، ثم والله لعم الحول هـ^(١)، وقد طلق عمر شيئاً من هذا خصوصاً في ولاية الشام حيث سار إليها عدة مرات وتفقّد أحوالها ودخل بيوت ولاتها وأمرائها^(٢)، يعرف أحوالهم عن كثب فقد دخل در أبي عبيدة وشاهد حاله ونقشه ودار بينه وبين امرأة أبي عبيدة حواراً شديداً أنفت فيه النوم على عمر شيخاً ما يعيشون فيه من نقشف، كما رار دار خالد بن الوليد ولم يجد عنده شيئاً يمت النظر سوى أسلحته التي كان مشعلاً بإصلاحها، وقد كان عمر أثناء دخوله على هؤلاء يدخل فحاة يد يصحبه رجل فيطرق الباب على النواصي فيستكنه الرجل ويطلب الإذن بالدخول له ولئن معه دون أن يعلموا أنه عمر وحينما يدخل عمر إلى الدار يقوم بالتمحيص فيها والاطلاع على ما فيها من أثاث^(٣)، وقد سمع عمر يومئذ أن يزيد بن أبي سفيان ينوع في طعامه، فانتظر حتى إذا حان وقت عشاء يريد استأذن عليه عمر، فلما رأى طعامه نهاه عن الإسراف في الطعام^(٤)، ولم يكتف عمر بالترقية عن طريق هذه الزيارات بل عمد إلى طريقة أخرى وهي إرسال كميات من الأموال إلى الولاة وإرسال من يراقبهم حتى يعرف كيف تصرفوا فيها فأرسل إلى أبي عبيدة بحمسة دنانير فعمد إليها أبو عبيدة فقسمها كلها فكانت امرأته تقول: والله لقد كان ضرر دحرج الدنانير عينا أكثر من نفعها ثم: أنا عبيدة عمد إلى حلق ثوب كان بصي فيه فيشقه، ثم جعل يصبر فيه من تلك الدنانير الذهب ويبعث بها إلى مساكين، فقسمها عليهم حتى عيت^(٥)، وعمل عمر الشيء نفسه مع ولاية آخرين في سفرته تلك إلى الشام، ولم يكتف عمر بمراقبته لعمث أثناء سفره، بل كان يستندمهم إلى المدينة ثم يوكل من يراقبهم في أكلهم وشربهم، ولدسهم، ويفعل ذلك بنفسه أيضاً^(٦).

(١) تاريخ الطبري (٥ / ١٨)، الولاية على البلدان (١ / ١٦١).

(٢) تاريخ المدينة (٣ / ٨٣٧).

(٣) تاريخ المدينة (٣ / ٨٣٧).

(٤) الولاية على البلدان (١ / ١٦٢).

(٥) الولاية على البلدان (١ / ١٦٢).

٧- الأرشف أو الملفات الخاصة بأعمال الخلافة:

كان عمر رضي حريصاً كل الحرص على حفظ الأوراق الخاصة بالولايات وبالخلافة عموماً وكان أكثر حرصه على حفظ المعاهدات التي يحررها الولاة مع أهل البلاد المفتوحة معاً لئلا ينسى أحد، فقد ورد أنه كان هناك نبوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان سه وبين أحد من عهده، ويكفي أن يطلق على هذا الثابت (الأرشف) أو الملفات الخاصة بأعمال الخلافة، ولعل الولاة أيضاً كانوا يحتفظون بأوراقهم ومكاتباتهم للعودة إليها عند الحاجة وحتى لا تنسى عليهم الأمور^(١)

ثانياً- شكاوى من الرعية في الولاة:

كان عمر رضي يحقق بنفسه في شكاوى الرعية ضد ولانهم وكان يحرص على استبصار الأمر، والتحقيق والتدقيق واستشارة أصحاب الرأي والشورى الذين كانوا من حوله، ثم كانت تأتي أوامره في تنفيذ الخراء والعقوبة على من يستحق سواء أكان عاملاً أم من الرعية^(٢)، وهذه بعض الشكاوى ضد الولاة وكيف تعامل عمر معها رضي.

١- شكاوى أهل الكوفة في سعد بن أبي وقاص رضي:

اجتمع نمر من أهل الكوفة برعاية الحجاج بن سنان الأسدي فشكوا أميرهم سعد ابن أبي وقاص رضي إلى أمير المؤمنين عمر، وذلك في حان اجتماع المحوس في نهاوند رضي فلم يشعبهم ما داهم المسلمين في ذلك، ولقد كان سعد عادلاً رحيماً بالزعية قوياً حازماً على أهل الداخل والشقاق، عظيماً على أهل الحق والطاعة، ومع ذلك شغب عليه هؤلاء القوم ممن لا يضيفون حكم الحق ويريدون أن يحققوا شيئاً من أهوائهم، وقد وقتلوا لشكواهم وقتاً رأوا أنه أدهى لسماع أمير المؤمنين منهم حيث كان المسلمون مقبدين على معركة مصيرية تستدعي اتفاق كلمة المسلمين وتصاهر جهودهم في مواجعتها، وحيث كانوا يعلمون اهتمام عمر الشديد باحتماع كلمة المسلمين دتماً، وخاصة في مثل تلك الظروف، فراحوا أن يعمروا

(١) الولاة على فترات (١/ ١٦٣).

(٢) الإنداء الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ٢٢٣.

بمعينهم، وقد استجاب أمير المؤمنين لصلهم في التحقيق في أمر شكواهم مع عمه بأنهم أهل هوى وشر، ولم يكتفهم اعتقاده فيهم، بل صرح لهم بذلك، وبين لهم أن عقده، بظلمهم لوليهم وترويرهم الحقائق لا يجمعه من التحقيق في أمرهم، واستدل على سوء مقصدهم شوقيتهم سيء حيث قال لهم: إن الدليل على ما عدكم من الشر بهوصكم في هذا الأمر وقد استعد لكم من استعداد، ويم له لا يعمي ذلك من نصر فيما لديكم وإن زلوا بكم^(١)، فعث عمر محمد بن مسلمة والنس في الاستعداد للأعاجم والأعاجم في الاجتماع، وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذي يمتص آثار من شكى رمان عمر ففده محمد عنى سعد بطوف به في أهل الكوفة. والبعوث تصرب على أهل الأمصار إلى بهاوند، فطوف به عنى مساعد أهل الكوفة، لا يتعرض للمساءلة عنه في لمر، وليست المسألة في السر من شأنهم إذ ذاك^(٢).

وفي هذا باب نهج الصحابة عليهم السلام في التحقيق في قضايا الخلاف التي تجري بين المسئولين ومن تحت ولايتهم، فالتحقيق يتم في العرس، وديث محصور المسئول والدين هو مسئول عنهم وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد إلا قالوا لا نعلم إلا حيراً ولا نشتهي به بدلاً، ولا نقول فيه ولا يعير عليه، إلا من دلاً الحرج بن سنان وأصحابه فإنهم كانوا يسكتون لا يقوون سوءاً، ولا يسوع لهم. ويتعمدون ترك لثناء، حتى انتهوا إلى بني عيس. فقال محمد: أشد بالله رجلاً يعلم حقاً، لا قال، قال أسامة بن قتادة: اللهم إن نشدنا فإنه لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في لرعية، ولا يعزو في لرية، فقال سعد: اللهم إن كان قالها كدناً ورثاً وسمعة فأعم نصره، وأكثر عياله، وعرضه لمصالحات المنى، فعمي واجتمع عنده عشر بنات، وكان يسمع نحر امرأة فيأتيها حتى يحسها، فودا عشر عليه، قال دعوه سعد الرجل لمارك. قال ثم أقل يعني سعد - عنى الدعاء على المنع، فقال لئلهم إن كانوا حرجوا أشراً ونصراً وكدناً فاحهد بلاهم، فحهد بلاؤهم، فقطع الحراج بالسيوف يوم

تاور الحسن بن علي ليعتاله بسياط، وشُدح قبضة بالحجارة، وقتل أريد بالروح. يعني الصرب - شعان السيوف - يعني بأعقابها - هذا وإن في هذا الخبر نموذجاً من معية الله تعالى لأوليائه المتقين حيث استحباب الله تعالى دعوة سعد على من ظلموه فأصيبوا جميعاً بما دعا عليهم، وإن في استجابة الله تعالى دعاء سعد وأمثاله لوئاً من العبدية الإلهية بأوليائه الله المتقين، فكم حاف المظلون من هذا السلاح الخفي الذي لا يملكون بكل وسائلهم المادية مقاومته ولا الحدّ منه، وكون هؤلاء الذين دعا عليهم سعد خُتم لهم بالخاتمة السبئية دليل على تمكن الهوى والشّر من موسهم حتى أدى بهم ذلك إلى انصير السبي، وقد دافع سعد عن نفسه فقال: إني لأول رجل أهرق دمًا من المشركين، ولقد جمع لي رسول الله أبيه، وما جمعهما لأحد قلبي - يعني حينما قال له يوم أحد ارم فذاك أبي وأمي - ولقد رأيتني حمس الإسلام، ونحو أسد ترعم أني لا أحس أن أصلي وأن الصبد يلهي؟^(١) وحرص محمد بن مسلمة به وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه، فأحضره الخبر، فقال: يا سعد ويحك كيف تصلي؟ قال: أطل الأوير وأحذف الآخرين، فقال هكذا النظر بك، ثم قال عمر رضي: لولا الاحتياط لكان سيلهم بيًا، ثم قال: من حليفتك يا سعد على الكوفة؟ فقال: عبد الله بن عبد الله بن عتسان، فأقره واستعده^(٢) وقول عمر رضي: لولا الاحتياط كان سيلهم بينا يعني قد انصح أمرهم، وأنهم ظالمون جاهلون، وظهرت براءة سعد مما نسبوه إليه، ولكن الاحتياط لأمر الأمة يقتضي درء الفتن وإماتتها وهي في مهدها قبل أن تستعمل فتسبب الشقاق والعرقه وربما اقتتال، وإذا كان المشرك المدعى عليه بريئاً مما نسب إليه، فإن ذلك لا يصرف شيئاً، وقد برئت ساحته مما نسب إليه من التهمة، وقد كانوا يمهمون الولاية مغرّف لا معصاً، وتكليفاً يرحون به ثواب الله تعالى، فالولاية على أمر من أمور المسلمين نوع من الأعمال الصالحة لمن اتقى الله تعالى وأراد رضوانه وانداز الآخرة، فإذا تحول هذا العمل إلى مصدر للفتنة وبز الحكمة تقتضي عدم الاستمرار فيه، كما هو الحال في هذه الواقعة، ولكل حادث

عمر بن الخطاب

حديث وهذا هو ما أقدم عليه عمر حينما أعمى سعداً من العمل، وكلف نائبه الذي هو موضع ثقة سعد^(١).

هذا وقد استنقى عمر سعداً ميتاً في لمدينة واقف من ستحلفه سعد على الكوفة بعده، وصار سعد من مستشاري عمر في المدينة^(٢)، ثم جعله من استسنة المرشحين للخلافة حين طعن ثم أوصى الخليفة من بعده بأن يستعمل سعداً (لأنني لم أعرئه عن سوءه، وقد خشيت أن يلحقه من ذلك)^(٣).

٢- شكاوى ضد عمرو بن العاص والي مصر:

كانت مراقبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص صارمة وحزمة وكان الخليفة لفاروق يتدخل في شئون ولاية المختلطة وحتى عندما اتحد عمرو بن العاص متبراً كتب إليه: أما بعد فقد يعني أنك اتخذت مسراً ترفى به على رقاب المسلمين أو ما يكفيتك أن تكون دائماً والمسلمون تحت عفتك فعرفت عيبك إلا ما كسرتة^(٤)، وكان عمرو من العاص يحشى مراقبة عمر من الخصب ويعلم مدى حرصه على إقامة العذب بين الناس، وعلى إقامة الحدود الشرعية، فكان يبدل جهده حتى لا يصل إلى عمر من الأخبار إلا ما يسره ومن ذلك أن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب ورجلاً آخر شرباً شراً دون أن يعلم أنه مسكر فسكر، ثم إلهما جاء إلى عمرو بن العاص يطلبان منه أن يقيم عليهما الحد فحرهما عمرو وطردهما، فقل له عبد الرحمن: إن لم تفعل أجبرت أبي قال عمرو: فعميت أبي إن لم أقم عليهما أخذ عصب عمر وعرلى، ثم ب عمرو جلدهما أمام الناس وحلق رأسيهما داخل بيته، وكان الأصل العقاب بالحلق مع الحد في وقت واحد أمام الناس، فحاء كتاب من عمر يعنه على عدم حلقه أمام الناس، وكان فيه: تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحرق رأسه في بيتك وقد عرفت أن هذا يحالفي، إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين وقد عرفت ألا هوادة لأحد من الناس عندي في حق يحب لله عليه^(٥).

(٢) دور الحجاز في الحياة السياسية من ٢٥٧

(١) التاريخ الإسلامي للحمدي (١١/٢٢٢).

(٣) تاريخ الطبري (٥/٢٢٥). (٤) فتح مصر وأخبارها من ٩٢. (٥) تاريخ المدينة (٣/٨٤١).

إلى أبي موسى: السلام عليك أما بعد فإن فلانًا أخبرني بكذا وكذا، فإن كنت فعلت ذلك في ملا من الناس، فعزمت عيبك لما تعدت له في ملا من الناس، حتى يقتصر منك وإن كنت فعلت ذلك في خلاه من الناس، فاقعد له في خلاه من الناس، حتى يقتصر منك، فقدم الرجل، فقال له، الناس. أعف عنه، فقال: لا والله لا أدعه لأحد من الناس، فمدد يده له أبو موسى ليقتصر منه، رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إني قد عصوب عنه^(١)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كنا مع عمر في مسير فأنصر رجلاً يسرع في سيره، فقال: إن هذا الرجل يريد أن يأتنا ثم ذهب لحاجته، فوجده الرجل فكى وكى عمر رضي الله عنه وقال: ما شأنك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني شربت الخمر، فصرسي أبو موسى وسود وجهي، وطاف بي، وبهى الناس أن يجالسوني، فهدمت أن أخذ سيمي فأصرت به أنا موسى، أو أتيتك فتحولني إلى بلد لا أعرف فيه، أو أخق بأرض الشرك، فكى عمر رضي الله عنه وقال: ما يسرنى أنك لحقت بأرض الشرك وأن لي كذا وكذا، وقال: إن كنت من شرب الخمر، فقد شرب الناس الخمر في جاهلية، ثم كتب إلى أبي موسى إن فلانًا أتاني فذكر كذا وكذا، فإذا أتاك كتابي هذا فأمر الناس أن يجالسوه وأن يحالطوه، وإن تاب فقبل شهادته، وكساه وأمر له بمائتي درهم^(٢)، وجاء في رواية: إن فلانًا بن فلان التميمي أحمرى بكذا وكذا، وأيم الله نثر عدت لأسود وجهك وليطوف بك في الناس، فإن أردت أن تعم أحق ما أقول فعد وأمر الناس فليؤاكلوه ولجالسوه، وإن تاب فقبلوا شهادته وكساه عمر رضي الله عنه حلة وحمله، وأعطاه مائتي درهم^(٣)، وهذه القصة فيها حرص للماروق على ألا يتعدى أحد من عماله العقوبات الشرعية عند معاقبة العاصين^(٤).

٤- شكوى أهل حمص ضد سعيد بن عامر:

قال خالد بن معدان: استعمل علياً عمر بن الخطاب بـحمص سعيد بن عامر

(١) محض الصواب (٤٦٧/٢) إسناده حسن.

(٢) محض الصواب (٥٥٢/٢) إسناده حسن.

(٣) صحيح الترمذي في سيرة وحياة الماروق ص ١٣٤ إسناده حسن.

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٣.

٤١٢) **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه

الحمحي، فلما قدم عمر حمص قل يا أهل حمص، كيف وحدتكم عامنكم؟ فشكوه إليه، وكان يقال لأهل حمص الكوفة الصعري لشكايتهم العمال، قنوا شكوه أربعا، لا يحرج بينا حتى يتعالى النهار، قل أعظم بها وماذا؟ قالوا لا يجب أحدا سبل، قل وعظيمة ومدا؟ قالوا وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلب، قال عظيمة ومدا؟ قالوا يَغُطُّ العِظَةُ بين الأيام (أي يغمى عليه ويعيب عن حسه) فجمع عمر بينهم وبينه وقال: الله لا تعيل رأيي فيه اليوم، وانتج لمحاكمة فصر لهم أمامه: ما تشكوب منه؟ قالوا لا يحرج إلنا حتى يتعالى النهار، قال ما تقول؟ قال: والله إن كنت لأكره ذكره؛ ليس لأهلي خدام، فأعجن عحيني ثم أجس حتى يختمر ثم أحبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم، فقال: ما تشكوب منه؟ قالوا لا يجب أحدا سبل، قل ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعت النهار لهم وجعت الليل لله - عز وجل - قال وما تشكوب منه؟ قالوا إن له يوما في الشهر لا يحرج بينا فيه، قال ما تقول؟ قل ليس لي حدم يعمل ثيابي ولا لي ثياب أسلح، فأجس حتى تجف ثم أدكها ثم أخرج إليهم آخر النهار، قل ما تشكوب منه، قنوا. يَغُطُّ العِظَةُ بين الأيام قل ما تقول؟ قل شهدت مصرع حبيب لانصاري بككة وقد وضعت فريش لحمة ثم حملوه على جذعة فقتلوا أتعب أن محمداً منكك؟ فقال، والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً عليه السلام يشتاك شوكة ثم ندى يا محمد فما ذكرت ذلك بيوم وترك بصرتي في تلك حال وأن مشرت لا تؤمن بالله العظيم، لا طفت أن الله - عز وجل - لا يعفر لي بذلك اللب أبداً فتصيبني تلك العظمة فقتل عمر. خمد له لدي لم يعيل فراستني، فعت إليه بألف دينار وقال: استعن بها على أمرك، ففرقها^(١).

٥- عزل من استهزا بأحد أفراد الرحمة:

قال قيس بن أبي حازم رحمه الله: استعمل عمر رضي الله عنه رجلاً من الانصار مزل بعظيم أهل الخيرة عمرو بن حيان بن ببيعة، فأمال عليه بالطعام ولشرب ما دعى به،

(١) حلية الأولياء (١/٢٤٥)، أخبار عمر ص ١٥٢.

فاحتسب الهزل^(١)، فدعا الرجل فمسح بلحيته، فركب إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين، قد خدمت كسرى وقبصر فما أني إليّ ما أني هي منكك، قال وما ذلك؟ قال برل بي عذمتك فلا فامناً عليه بالطعام والشراب، ما دعا به فاحتسب الهزل فدعسي فمسح بلحيتي، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه فقال هيه! أمان عليك بالطعام والشراب ما دعوت به. ثم مسح بلحيته؟ والله لولا أن تكون سنة ما تركت في لحيتك طاقاً إلا نعتها، ولكن اذهب فوالله لا تلي بي عملاً أبداً^(٢)

ثالثاً: العقوبات التي نزلت بالولادة في عهد عمر رضي الله عنه:

نتيجة لمراقبة الفاروق لولائه لاحظ وجود بعض الأخطاء التي وقع فيها الولاء، فقام بتأديبهم ومعاقبتهم على هذه الأخطاء التي رفعوا فيها وقد اختلفت طرق تأديب لولاء حسب اختلاف الأحداث وحسب ما يراه الخليفة ومن أهم أساليب تأديب لولاء:

١- القود من الأمراء والاقتصاص منهم لو أخطأوا:

وقد كان عمر يقول: ألا وإني لم أرسل عملي لصرخوا أبشاركم ولا يأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم ومستكم، فمن فعل به سوى ذلك فليبرعه إلي فوالدي نفسي بيده إن لا قصته^(٣)، ولم يكتف عمر بالبيانات الرسمية التي تهدد الولاء وتمنعهم من الاعتداء على الدار بل إنه ضحك ذلك عملياً، كما مر معنا فيما اشتكى أبا موسى الأشعري، واشتكى عمرو بن العاص رضي الله عنه^(٤)

٢- عزل الوالي نتيجة وقوعه في الخطأ:

وقد قام الفاروق رضي الله عنه بعزل لولاء نتيجة وقوعهم في أخطاء لا يرتصيها، فقد عزل رضي الله عنه أحد الأمراء نتيجة تدخله فيما لا يعنيه في شؤون أجناده حيث بعثه على جيش، فلما نزل بهم قال عرمت عيكم لما أحرتموني بكل ذنب أدنتموه فجعلوا

(١) أي أكثر من الهزل

(٢) تاريخ المدينة (٣/ ٨١٢) غير صحيح، الفاروق احكام المائد من ١١.

(٣) لولاءة على البلد (٢/ ١٢٧)، الاموال لاني عيه القاسم بن سلام من ٦٣، ٦٤

(٤) لولاءة على البلد (٢/ ١٢٦، ١٢٧)

يعترفون بدسوبيهم فبيع ذلك عمر فقال: ما له لا أم له، يعتمد إلى ستر ستره الله فيهلكه؟ والله لا يعمل لي أدناً^(١)، كما غصب عمر من أحد الولاة حينما بلغه بعض شعره وهو يشتمل فيه بالخمر فعزله^(٢).

٣- إنلاف شيء من مساكن الولاة:

وهو ما يقع فيه لمخافة، فقد كان عمر بن الخطاب يحرض على أن تكون بيوت الولاة بدون أبواب، وبدون حجاب، فلما بلغه عن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه قد وضع باباً لداره بعث إليه محمد بن مسلمة وأمره بإحراق ذلك الباب^(٣)، وكان سبب ذلك الباب قرب الأسواق من داره، وكانت الأصوات مرتفعة بالسوق تؤدي سعداً، فوضع من يحجز عنه أصوات الناس بالسوق، وبلغ ذلك أسمع عمر عن دار سعد وبابه، وأن اسام بن سمون قد قصر سعد، فدعى محمد بن مسلمة وأسنده إلى الكوفة، وقال اعمد إلى القصر حتى تحرقه، ثم ارجع عودك على ذلك، فخرج حتى قدم الكوفة، فاشترى حطباً ثم أتى به القصر، فأحرق الباب^(٤)، وروى ابن شبة: أن عمر استعمل مجاشع بن مسعود على عمل فلسعه أن امرأته تجدد بيوتها فكتب إليه عمر: من عبد الله أمير المؤمنين إلى مجاشع بن مسعود سلام عليك أما بعد فقد بلغني أن الخضراء تحدث بيوتها، فإذا أتاك كتابي هذا فعمرمت عليك ألا تصعه من يدك حتى تهتك ستورها، قال: فأثناء الكتب والقوم عنده جلوس فنظر في الكتب، فعرف القوم أنه قد أنه شيء يكرهه، فأمسك الكتب بيده ثم قال للقوم: نهضوا، فهضوا ولله ما يدرون إلى ما ينهضهم، فانصق بهم حتى أتى باب داره فدخل فلفيته امرأته فعرفت الشر في وجهه فقالت له: مالك؟ فقال: إنك عني قد أرمقتني^(٥)، فذهبت المرأة، وقال للقوم: ادخلوا، فدخل القوم، فقال: فبأحد كل رجل منكم ما يليه من هذا النحو واهتكوا، قال فتهتكوا جميعاً حتى القوها إلى الأرض والكتاب في يده لم

(١) تاريخ المدينة (٣ / ٨١٨).

(٢) السيرة الشريفة لابن تيمية ص ١٠٥.

(٣) شرح البلدان ص ٧٧. نهاية الأرب (٨/١٩).

(٤) الإذلة الإسلامية مجدلاوي ص ٢١٦.

(٥) لومضي: أوجعتني وأغصبتني. لسان العرب (٧/ ١٦٦).

بصحه بعد. وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام دعاه يزيد بن أبي سفيان إلى الطعام فلما دخل عمر البيت وجد فيه بعض المستأثر، فأخذ عمر يقطعها ويقول ويحك، تلس الحيطان ما لو ألبسته قومًا من الناس لسترهم من الحر والبرد^(١).

٣- التأديب بالضرب:

فقد استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث اشتهر عنه حمل الدرة، وضربه بها وقد ضرب بعض لولاء، بسبب حوادث اقترعوها، ففي أثناء زيارة عمر إلى الشام دخل على بعض ولاته فوجد عندهم بعض المتاع الرائد، فقصب عمر وأحد يصريهم بالدرة^(٢)، وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام لقيه الأمراء، فكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان، وأب عبيدة، ثم خالد بن الوليد، عليهم ثياب فاخرة لا تليق بالمجاهدين فتزأ وأحد الخجارة ورماهم بها وقال: ما أسرع ما رجعت عن رأيكم. إياي تستقصون في هذا الزم، وإنما شعثكم مد ستين وبالله ولو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستدلت بكم غيركم؛ فقالوا يا أمير المؤمنين إنها بلاقة وإن علينا السلاح، قال فتعم إذن^(٣).

٤- خفض الرتبة من وال إلى واعي غنم:

وقد استعملها عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أحد ولاته، روى ابن شبة: أن عمر رضي الله عنه استعمل عباس بن عم على الشام فسلمه أنه اتحد حمامًا واتخذ نوازلًا^(١)، فكتب إليه أن يقدم عليه، فقدم، فحججه ثلاثًا، ثم أدن له ودعا بجة صوف، فقال البس هذه، وأعطاه كف الراعي وثلاثمائة شاة وقال انعق بها، فحقق بها فلما حاره هنيهة، قال أقل، فأقل يسمى حتى أتاه، فقال اصنع بكدا وكدا، اذهب مذهب، حتى إذا تعدد ناداه: يا عباس أقل فلم يزل يردد حتى عرفه في جيبه، قال أوردتها علي يوم كذا وكذا، فأوردتها لذلك اليوم، فحرح عمر رضي الله عنه فقال انع عليها،

(١) تاريخ لسيه (٨٣٢/٢)، الولاية على البلدان (١٢٨/٢)

(٢) تاريخ لسيه (٨٣٤/٢)، الولاية على البلدان (١٢٩/٢)

(٣) نوابًا أي جماعة من الناس يحضرون بالزيارة والمسلمة دون غيرهم

فاستقى حتى ملأ الخوض فسقدها ثم قال: انعق بها، فإذا كان يوم كنا فأوردها فلم يزل يعمل به حتى مضى شهران أو ثلاثة، ثم دعاه فقال: هيه اتحدت نوباً وانخذت حماماً أتعود قال: لا قال: رجع إلى عملك^(١)، وقد كانت نتيجة هذه العقوبة لتأديبية أن أصبح عياض بعد ذلك من أفضل عمال عمر رضي الله عنه^(٢).

٥- مقاسمة الولاة أموالهم:

وكان تطبيق هذا اعظم أمراً حثيائياً في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث شعر عمر بمسألة الأموال لدى بعض الولاة فحشي أن يكون لولاة قد اكتسبوا شيئاً من هذه الأموال بسبب ولايتهم^(٣) وقد علق ابن تيمية على فعل عمر هذا فقال: وكذلك محبة الولاة في المعاملة من السبعة، ولحقرة والمصارعة، والمساواة والمراعاة، وبحو ذلك هو من نوع الهدية، ولهذا شطر عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عماله من كان له فضل ودين، لا يتهم بحية وإي شطرهم لما كانوا حصوا به لأجل الولاية من محبة وغيرها، وكان الأمر يقتضي ذلك، لأنه كان إمام عدل، يقسم بأسوية^(٤) وقد قام عمر رضي الله عنه بمشطرة أموال عماله منهم. سعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة وعمر بن العاص رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يكتب أموال عماله إذا ولأهم. ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك، ورمى أحدهم^(٥) وقد قام أيضاً بمشطرة بعض أقارب الولاة لأموالهم، إذا ما رأى مبرراً لذلك، فقد أخذ من أبي بكره نصف ماله، فاعترض أبو بكر قائلاً: إني لم أن لك عملاً^(٦) فقد عمر، ولكن أحبك على بيت الله وعشور لأبلة، فهو يقرضك المال تتجر به^(٧).

٦- التوبخ الشفوي والكتابي:

وقد قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على معاتبة الأمراء على تصرفاتهم أثناء اجتماعهم به، حيث إنه عاتب عمرو بن العاص مرات، كما عاتب عيص بن عمة،

(١) تاريخ المدينة (٣/ ٨١٧، ٨١٨) الولاية على البلدان (٢/ ١٣٠).

(٢، ٣) الولاية على البلدان (٢/ ١٣).

(٤) الفتوح (٢٤١، ٢٤٢) الولاية على البلدان (٢/ ١٣١).

(٥) فتوح البلدان ص ٢٤١، ٢٤٢ الولاية على البلدان (٢/ ١٣١).

(٦) فتوح البلدان ص ٢٤١، ٢٤٢ الولاية على البلدان (٢/ ١٣١).

(٧) فتوح البلدان ص ٢٤١، ٢٤٢ الولاية على البلدان (٢/ ١٣١).

وخالد بن الوليد وأنا موسى الأشعري وغيرهم من الأمراء^(١) وأما المعانة الكتبية في خلافة عمر فهي كثيرة، منها: أنه كتب إلى أحد الولاة: وكان قدم عليه قوم فأعطى العرب وترك الموالي: أما بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أحياء المسلم والسلام^(٢).

ومن هذا كله عهد أن الولاة لم يكونوا عمأى عن المحاسبة والتأديب بصور مختلفة، ولم تشهد البشرية مثيلاً لها في عدلها وحرأتها، مما جعل هذا العصر لراشدي بحق نموذجاً رفيعاً للحضارة الإسلامية بعد عصر الرسالة- على صاحبها أفضل الصلاة والسلام^(٣). هذا وقد كانت حرية النقاش وبحث المشاكل بين الخليفة وولاته مكمولة إلى أقصى ما يمكن تصوره من حرية النقاش، لا يرهب الولي سلطان الخليفة وهذا مثال على ذلك: عندما قدم عمر الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم فلما رأى معاوية عمر برل من على صهوة جواده، ومشى إليه، وقال: السلام على أمير المؤمنين، فمضى عمر، ولم يرد عليه سلامه، ومعاوية يسرع خدف جمل عمر وكان معاوية سميماً، فلهث. فقال عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، أعتت لرجل، فلو كلمته: فالتفت إليه عمر وقال يا معاوية، آئت صاحب الموكب الذي أرى؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال عمر: مع شدة احتجاجك ووقوف ذوي الحاجات بباك؟ قال معاوية. نعم يا أمير المؤمنين. قال: لم ويحك؟ قال معاوية: لأننا بلاد كثر بها جواسيس العدو، فإن لم نتخذ العدة والعدد، استصح بنا، وهجم علينا! وأما الحجاب، فإننا نحاف من الانتفال وحرأة الرعية. وأنا بعد عاملك، إن استوقفتني وقعت، وإن نهيتني انتهيت يا أمير المؤمنين. قال عمر. ما سألتك عن شيء إلا خرجت منه، إن كنت صادقاً فإنه رأى لبيب، وإن كنت كذناً فإنه خدعة أريب، لا أمرك ولا أنهاك، وانصرف عنه^(٤).

ورغم شدة عمر على ولاته ودقته في محاسنتهم وإقدامه على عزل من نجوم حوله شهة أو تنور في حقه شكاية ذات أثر، فإن رابطة قوية من الحب والولاء كانت

(٢) فتح البلاد من ٤٤٣

(٤) الفاروق عمر بن الخطاب للشرقي من ٢٨٧.

(١) الولاة على البلاد (٢/ ١٣١).

(٣) الولاة على البلاد (٢/ ١٣٣).

تربطه بولائه الذين كانوا يشقون ثقة مصقه في إخلاص حليفهم وسلامه مفاصده ومبساته ونجوده وعدله، لقد كان عمر إذ عانت عنه أحرار بعض قاداته في ساحات جهاد يكاد يقتله القلق ويستبد به الخوف والشفقة عليهم، وكان في بعض الحروب الكبرى يخرج بنفسه ينطس الأخبار، ويتحسس الأساء عله يطمش عليهم، وفي حالات أخرى كان يلتقي بهم فمجد أمرات الحب العميق بينهم، فلما سار عمر لفتح بيت المقدس وانتهى إلى الحاية لقيه قنذاه عمرو بن العاص وشرحيل بن حنة فوافقا عمر راكباً، فقتلا ركبته، وضم عمر كل واحد منهما محتضنهما^(١).

رابعاً- قصة عزل خالد بن الوليد ؓ:

وحد أعداء الإسلام في سعة خيالهم وشدة حقدهم محلاً واسعاً تنصيد الرويات التي تظهر صحابة رسول الله في مظهر مشين، وقد لم يجدوا شفاء نفوسهم، حثثوا ما صوره يجوز على عقول الفرائين، لكي يصح أساساً ثبات لما يتناقضه الرواة وتسطره كتب المؤلمين وقد تعرض كل من عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ؓ لفتريات أعداء الإسلام الذين حاولوا تشويه صفحات تاريخهم المحيد ووقفوا كثيراً عند أسباب عزل عمر لخالد بن الوليد ؓ والصقوا التهم الباطلة بالرحيل العظيم وأتوا بروايات لا تقوم على أساس عبد المقتشة، ولا تقوم على البرهان أمام التحقيق العلمي الزيه^(٢) وإليك قصة عزل خالد بن الوليد على حقيقتها بدون لف أو تزوير بلحقائق، فقد مرَّ عزل خالد بن الوليد بمرحلتين، وكان لهذا العزل أسباب موضوعية.

١- العزل الأول:

عزل عمر بن الخطاب ؓ خالد بن الوليد في المرة الأولى عن القيادة العامة وإمارة الأمراء بالشاء، وكانت هذه المرة في السنة الثالثة عشرة من الهجرة غدة تولي عمر الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصديق وسبب هذا العزل اختلاف منهج الصديق عن

(١) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص ١٥١

(٢) أباطيل يجب أن تفي من التاريخ، إيرلسم شعوط ص ١٢٤

الفاروق في التعامل مع الأمراء والولاة، فالصديق كان من سته مع عماله وأمره عمله أن يترك لهم حرية التصرف كاملة في حدود النظم العام للدولة مشروطاً بذلك بتحقيق العدل كاملاً بين الأفراد والجماعات، ثم لا ينالي أن يكون لواء العدل مشوراً بيده أو بيد عماله وولاته، فللوالي حق يستمد من سلطان الخلافة في تدير أمر ولايته دون رجوع في الخريجات إلى أمر الخليفة، وكان أبو بكر لا يرى أن يكسر على الولاة سلطانهم في مال أو غيره ما دام لعدل قائماً في رعيته^(١)، وكان الفاروق قد أشار على الصديق بأن يكتب لخلد بن^(٢) جميعاً: ألا يعطي شاة ولا نعيراً إلا بأمره، فكتب أبو بكر إلى خلد بذلك، فكتب إليه خالد إما أن تدعي وعلمي وإلا فشأنك وعملك، فأشار عليه بعرضه^(٣)، ولكن الصديق أقرّ خلدًا على عمله^(٤)، ولما تولى الفاروق الخلافة، كان يرى أنه يجب على الخليفة أن يحدد لأمرائه وولاته طريقة سيرهم في حكم ولايتهم ويحكم عليهم أن يردوا إليه ما يحدث حتى يكون هو الذي يظفر به ثم يأمرهم بأمره، وعليهم لتعيينه، لأنه يرى أن الخليفة مسئول عن عمله وعن عمل وولاته في لرعية مسئولية لا يرفعها عنه أنه اجتهد في اختيار الوالي. فلما تولى الخلافة خطب الناس، فقال: إن الله ابتلاكم بي، وانتلاني بكم، وأنتلاني بعد صاحبي نوابه لا يحصرني شيء من أمركم عليه أحد دوني، ولا ينغيب عني فألو فيه عن الخبز والأمانة، ولئن أحسن الولاة لأحسن إليهم، ولئن أسأؤر لأتكلل بهم^(٥)، وكان يقول: أرايتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل، كست قصيت ما علي؟ قالوا نعم. قال: لا، حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا؟^(٦)، فعندما تولى الفاروق الخلافة أراد أن يعدل بولاة أبي بكر^(٧) إلى منهجه وسيرته، فرضي بعضهم وأبى آخرون وكان ممن أبى عليه ذلك خالد بن الوليد^(٨)، فعن مالك بن أنس، أن عمر لما ولي الخلافة كتب إلى خالد ألا يعطي شاة ولا نعيراً إلا بأمره، فكتب إليه خالد إما أن تدعي وعلمي، وإلا فشأنك وعملك، فقد

(١) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص ٣٢١ - ٣٣١ .
(٢) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص ٣٣١ .
(٣) التزييع الإسلامي (١١/١٤٦).
(٤) المصدر ص ٣٣٢ .
(٥) البداية والنهاية (٧/١١٥).
(٦) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص ٣٣١ .

عمر: ما صدقت الله إن كنت أضرت على أبي بكر بأمر فلم أنفذه، فعزله^(١)، ثم كان يدعو إلى العمل فيما يرى إلا أن يخيه بفعل ما شاء فيأبى عليه^(٢).

فعمل عمر خالداً من وجهة سياسة الحكم وحق الحاكم في تصريف شؤون الدولة ومسئوليته عنها، وطبعي أن يقع كل يوم مثله في الحياة، ولا يبدو فيه شيء غريب يحتاج إلى بيان أسباب تنجاذبها روايات وآراء، وميول وأهواء وترعات، فعمر بن الخطاب خليفة المسلمين في عصر كان الناس فيه ناساً لا يرالون يستروحون روح النبوة له من الحقوق الأولية أن يختار من الولاة والقادة من ينسجم معه في سياسته ومذهب في الحكم ليعمل في سلطانه ما دامت الأمة عمية بالكفايات الراححة، فليس لعامل ولا قائد أن يتأد في مصه، ولا سيما إذا اختلفت مآهع السياسة بين الحاكم والولاة ما كان هناك من يغني عناءه ويحزي عنه، وقد أثبت الواقع التاريخي أن عمر بن الخطاب كان موفقاً أتم التوفيق وقد مجح في سياسته هذه نجاحاً منقطع النظير، فعزل وولى، فلم يكن من وراء أقل كفاية ممن عرله، ومرد ذلك لروح الترية الإسلامية التي قامت على أن تضمن دائماً للأمة رصيذاً مدحوراً من البطولة والكفاية السياسية العاضلة^(٣) وقد استقبل خالد هذا العزل بدون اعتراض وظل يحث تحت قيادة أبي عبيدة بن جراح حتى فتح الله عليه قنسرين فولاه أبو عبيدة عليها، وكتب إلى أمير المؤمنين يصف له الفتح وبلاء خالد فيه فقال عمر قولته المشهورة: أصر خالد نفسه، رحم الله أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال مني^(٤)، ويعني عمر عقولته هذه أن خالداً فيما أتى به من أفانين الشجاعة وضروب البطولة قد وضع نفسه في موضعها الذي ألقته في المواقع الخطيرة من الإقدام والمخاطرة، وكانما يعني عمر بذلك أن استمساك أبي بكر بحالده وعدم موافقته على عزله برغم الإلحاح عليه إنما كان عن يقين في مقدرة خالد وعبقريته العسكرية التي لا يفتني عناءه فيها إلا أحاد الأعداء من أبطال الأمم^(٥).

هذا وقد عمل خالد تحت إمرة أبي عبيدة نحواً من أربع سنوات فلم يعرف عنه

(١) البداية والنهاية (١١٥/٧).

(٢) خالد بن الوليد، صادق هرجون ص ٣٣٢.

(٣) خالد بن الوليد، صادق هرجون ص ٣٣٢، ٣٣٣. (٤) خالد بن الوليد، صادق هرجون ص ٣٣٩.

أنه احتنف عليه مرة واحدة، ولا يكر فصل أبي عبيدة وسمو أخلاقه في تحقيق وقع الحادث على حائد فقد كان لحفوفته به وعرفاته لقدره، وملازمته صحته والأخذ بمشورته وعظامه لأرائه وتقديمه في أوقائع بني حدثت بعد إمارته الجديدة، أحسن الأثر في صفاء قلبه صفاء جعله يصنع البصولات العسكرية الدرة وعمله في فتح دمشق وقنشرين وفحل شاهد صدق على روحه لسامية النبي فأنزل بها حادث العزل، وكان في حائيه سيف الله خالد بن الوليد^(١)، ويحفظ لنا لتاريخ ما قلناه أبو عبيدة في مواساة خالد عند عزله: . . . وما سلطان الديب أريد، وما للديب أعمل، وإن ما ترى سيصير إلى رول وانقضاء، ونما نحن أحرار وقوام بأمر الله - عز وجل -، وما يصير المرحل أن يبي عليه أحوه في ديه ودساء، بل يعلم الوالي أنه يكاد يكون أدهما إلى الفتنة وأوقعهما في الخطيئة لما تعرض من بهلكة إلا من عصم الله عز وجل . وقيل ما هم^(٢) وعدم طيب أبو عبيدة من خالد أن يتخذ مهمة قتالية تحت إمرته، أجده خالد فثلاً: أنا لها إن شاء الله تعالى وما كنت أنتصر إلا أن تأمرني، فقد أبو عبيدة: استحييتك يا أبا سليمان. فقال خالد: والله لو أمر علي طفل صغير لأطيع له، فكيف أحفك وأنت أقدم مني إيماناً وأسبق إسلاماً، سبقت بإسلامك مع السابقين وأسرع بيمانك مع المسارعين، وسمك رسول الله بالأمين فكيف أحفك وأنت درجتك والآن أشهدك أنني قد جعلت نفسي حسناً في سبيل الله تعالى ولا أخافك أمداً، ولا وليت إمارة بعدها أمداً ولم يكتف خالد بذلك فحسب بل منع قوله بالفعل وقام على الفور بشميد المهمة المطلوبة منه^(٣)، ويظهر بوضوح من قول خالد وتصرفه هذا، أن لوائح الديني والأخلاقي كان مهيمتاً على تصرفات خالد وأبي عبيدة عليهما السلام وقد بقي خالد محافظاً على مبدأ طاعة الخليفة ولوالي بالرغم من أن حالته الشخصية قد تعيرت من حاكم إلى محكوم بسبب عزله عن قيادة الجيوش^(٤).

إن عزل خالد في هذه المرة (الأولى)، لم يكن عن شك من الخليفة ولا عن

(١) خالد بن الوليد، صادق هرجون ص ٣٤٦ .
(٢) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص ٨٤ .
(٣) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص ٨٤ .
(٤) خالد بن الوليد، صادق هرجون ص ٣٢٣ .

ضغائن جاهلية، ولا عن اتهامه بانتهاك حرّمات الشريعة ولا عن طعن في تقوى وعدل حائد، ولكي كان هناك مهجّان لرحلين عظيمين، وشخصيتين قويتين كان يرى كل منهما ضرورة تطبيق مهجّه، فإد كان لابد لأحدهما أن يتحمى فلا بد أن يتحمى أمير الجيوش لأمير المؤمنين؛ من غير عناد ولا حقد وضمينة^(١).

إن من توفيق الله تعالى للفراروق تولية أبي عبيدة بن جوش الشام، فذلك اميدان بعد معركة اليرموك كان يحتاج إلى المسألة واستئلال الاحقاد، وتضميد الحراح وتقريب نفلوب دنو عبيدة بن جوش يسرع إلى المسألة إذا فتحت أبوابها ولا يبطئ عن الحرب إذا وحبّت عليه أسابها، فإن كانت بالمسألة حدودى فذاك وإلا فالاستعداد للقتل على أهبة، وقد كان أباء الأمصار الشامية يتسامعون بحلم أبي عبيدة فيقبلون على التسليم إليه ويؤثرون خطائهم له على غيره، فولاية أبي عبيدة سنة عمرية وكانت ولايته للشام في تلك المرحلة أصلح الولايات لها^(٢).

٢- العزل الثاني:

وهي (فسرين) جاء العزل الثاني خائداً، وذلك في السنة السابعة عشرة^(٣)، فقد بلغ أمير المؤمنين أن حائداً وعياص بن عم أدرا في بلاد الروم وتوغلا في دروبهما ورجعا بعنّهم عظيمة، وأن رجالاً من أهل الآفاق قصدوا حالداً لمعروف، مهم الأشعث بن قيس الكندي فأجازه خالد بعشرة آلاف، وكان عمر لا يحصى عليه شيء في عمله^(٤)، فكتب عمر إلى قائد العام أبي عبيدة يأمره بالتحقيق مع خالد في مصدر المال الذي أحاز منه الأشعث تلك الإجارة العامرة، وعمره عن العمل في الجيش إطلاقاً واستقدمه المدينة، وتمّ استجواب خالد. وقد تم استحواب خالد بحضور أبي عبيدة وترك بريد الخلافة يتولى التحقيق وترك إلى مولى أبي بكر يقوم بالتنفيذ، وانتهى الأمر براءة خالد أن يكون مدّ يده إلى غنائم لمسلمين فأجار منها عشرة آلاف^(٥) ولما علم خالد بعزله ودّع أهل الشام، فكان أقصى ما سمحت به

(٢) عبقريّة خالد للسفاد ص ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦.

(٤) المصدر نفسه (٤٦/٥).

(١) ليضيل يجب أن نحصى من التاريخ ص ١٣٢.

(٣) تاريخ الطبري (٤٦/٥).

(٥) خالد بن الوليد، ص ٣٢٤ عرجوني ص ٣٢٤.

نصه من إظهار أسفه على هذا العزل الذي فرق بين القائد وجنوده أن قال للباس: إن أمير المؤمنين استعملني على الشام حتى إذا كانت شية^(١)، وعسلاً عزلني فقام إليه راحل فقال اصبر أيها الأمير، فيها القصة، فقد حالد أم وابن الخطب حي فلا^(٢)، وهذا لون من الإيمان انقاهر الغلاب، لم يبرقه إلا لمصطفون من أحصاء أصحاب محمد ﷺ. هاية قوة روحية سيطرت على أعصاب خالد هي الموقف خطير؟ وأي إلهام ألقى على لسان خالد ذلك الرد الهادي الحكيم^(٣).

مكن ساس وهدأت نفوسهم بعد أن سمعوا كلمة خالد في توطيد قواعد الخلافة لعمرية، وعرفوا أن قائدهم المعزول ليس من طرز الرجال الذين ينون عروش عظمته على أشلاء الفتن والثورات الهدامة وإنما هو من أولئك الرجال الذين خفقوا لئسء ولتشييد، فإن أزدتهم الحياة على هدم ما بنوا تساموا بأنفسهم أن يدلها العرور لمقتول^(٤).

ورحل خالد إلى المدينة فقدمها حتى لقي أمير المؤمنين، فقال عمر متمثلاً:

صنعت فلم يصنع كصنعك صنع وما يصنع الأقوام فالله يصنع^(٥)

وقال خالد لعمر ﷺ: لقد شكوتك إلى المسلمين، وبالله إنك في أمري غير مجمل يا عمر، فقال عمر: من أين هذا الشراء؟ قل من الأتغال والسهمان، ما راد على الستين ألفاً ذلك، فقوم عمر عروصه فخرجت إليه عشرون ألفاً، فأدخلها بيت المال. ثم قال يا خالد، والله إنك على لكريم، وإنك إلى خيب، ولن تعانني بعد اليوم على شيء^(٦)، وكتب عمر ﷺ إلى لامصار: إني لم أعزل خالدًا عن سحطة ولا خيانة، ولكن الناس فتتوا به، فصحفت أن يوكلو إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وألا يكونوا بعرض فتنة^(٧).

(١) انشبة على البراد. حنطة مسونة إلى بلد بالشام وقيل: الناعمة من الرملة انبيه

(٢) خالد بن الوليد، صادق هرجون ص ٣٤٧، الكامل في التاريخ (١٥٦/٢)

(٣) حديد بن المنيذ، صادق هرجون ص ٣٤٧.

(٤) تاريخ الطبري (٧٠٥) (٤٣/٥).

٣- مجمل أسباب العزل وبعض الفوائد:

ومن خلال سيرة الفاروق يمكن أن نجمل أسباب عزل خالد بن الوليد في الأمور التالية:

- حماية التوحيد: ففي قول عمر بن الخطاب: ولكن لناس فتنوا به، فحقت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، يظهر خشية عمر من فتنة الناس بخالد وظلمهم أن النصر يسير في ركب خالد؛ فيضعف اليقين بأن النصر من عند الله سواء أكان حاداً على رأس الجيوش أم لا، وهذا الوارع يتفق مع حرص عمر على صوغ إدارته للدولة العقائدية الخالصة وبخاصة وهي تحارب أعداءها حرباً ضروريةً متطولة باسم العقيدة وقوتها، وقد يقود الاقتتد بفائد كبير مثل خالد بن خالد نفسه إلى الافتتان بالرعية وأن يرى نفسه يوماً في مركز قوة لا يرتقي إليه أحد، وبخاصة أنه عبثي حرب ومنفق أموال، فيحر ذلك عليه وعلى الدولة أمر حَسْر، وهو إن كان احتمالاً بعيداً في ظل ارتباط الناس بحليفهم عمر وإعجابهم به، وفي ظل انصراط خالد لعسكري وتقواه، فقد يحدث يوماً ما بعد عمر، ومع قائد كخالد، مما يستدعي لتأصيل لها في ذلك العصر ومع أمثال هؤلاء الرجال^(١)، والخوف في هذا الأمر من الفائد الكفاء أعظم من الخوف من قائد صغير لم يَلِ أحسن البلاء ولم تتسائر بذكره الأنبياء^(٢).

وقد أشار شاعر ليس حافظ إبراهيم - رحمه الله - إلى تخوف عمر بمقال في عمرته في الديوان:

وقيل خالعت يا فاروق صاحبنا فيه وقد كان أعطى الفوس بارياً
فقال خفت افتتان المسلمين به وفتنة النفس أعييت من يداويها^(٣)

- اختلاف النظر في صرف المال:

كان عمر يرى أن فترة تأليفه القنوب، وغراء ضعفاء العقيدة بالمال والعصاء، قد

(١) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، حسبي شامى ص ١٤٩

(٢) حروب الإسلام في الشام، بلشيل ص ٥٦٦

(٣) مغربة عمر ص ١٥٨

انتهت، وصار الإسلام في غير حاجة إلى هؤلاء، وأنه يجب أن يوكل الناس إلى
بماهم وضمائرهم، حتى تؤدي تربية الإسلامية رسالتها في تخريج مدح كاملة،
لمدى تغفل الإيمان في القلوب، بينما يرى خالد أن من معه من ذوي الناس
والمجاهدين في ميدانه ما لم تحلص نيتهم لمحص ثوب له، وأن أمثال هؤلاء في
حاجة إلى ما يقوي عريتهم، ويشير حماسهم من هذا لئلا^(١)، كما أن عمر
كان يرى أن صفة المهاجرين أحق الناس من غيرهم، فعندما عذر إلى الناس ما يحبه
من عزل خالد قال: أمرته أن يحبس هذا المال على صفة المهاجرين فأعطاه، إذ
الناس^(٢)، ولا شك أن عمر وحيداً مستنهد فيما دها إليه ولكن عمر أدرك أموراً
لم يدركها خالد (رضي الله عنه)^(٣).

- اختلاف منهج عمر عن منهج خالد في السياسة العامة.

فقد كان عمر يصر على أن يستأذن الولاة منه في كل صغيرة وكبيرة، بينما يرى
خالد أن من حقه أن يُعصى الحرية كاملة من غير الرجوع لأحد في الميدان الخيادي
وتطلق يده في كل التصرفات، يمانه ما نال الشاهد يرى ما لا يراء العذب^(٤)

ولعل من الأسباب أيضاً، إفساح المجال لطلائع جديدة من القيادات حتى تتوفر
في المسلمين نمذج كثيرة من أمثال خالد والنس وعمر بن العاص، ثم ليدرك الناس
أن النصر ليس رهناً برجل واحد^(٥)، مهما كان هذا الرجل.

- موقف المجتمع الإسلامي من قرار العزل:

تلقى المجتمع الإسلامي قرار العزل باستنيسم لحق الخليفة في التولية والعزل، فلم
يخرج أحد عن مقتضى النظام ولطاعة والإقرار للحلابة بحقه في التولية والعزل
وقد روي أن عمر حرج في جوف الليل فلقى علقمة بن علاثة الكلابي، وكان عمر
يشبه حائلاً إلى حد عجيب، فحسبه علقمة خالداً، فقال: يا خالد عزلك هذا

(٢) البداية والنهاية (١١٥/٧)

(٤) الخلافة والخلفاء الراشدون، سام البهلولي ص ١٩٦

(١) أنجيل يجب أن تقرأ من التاريخ ص ١٣٤

(٣) التاريخ الإسلامي (١١/١٤٧)

(٥) لعطاء يجب أن تقرأ من التاريخ ص ١٣٤

الرجل، لقد أبى إلا شحاً حتى لقد حثت إليه وابن عم لي سأله شيئاً، فأما إذ فعل فلن أسأله شيئاً، فقال له عمر يستدرجه ليعلم ما بحفيه - هيه! وما عندك؟ قال: هم قوم لهم عليب حق فتؤذي لهم حقهم، وأحرب على الله، فلما أصبحوا قال عمر لخالد وعنقمة مشاهد لهما - ماذا قال لك عنقمة منذ الليلة؟ قال خالد: والله ما قال شيئاً، قال عمر: وتختلف أيضاً؟ فاستأثر ذلك عنقمة وهو يضئ أنه ما كلم لمارحة إلا خالداً، فطل يمول: مه يا خالد، فأجار عمر عنقمة وقصى حاجته، وقال لأن يكون من وراني على مثل رأيك - يعني حرصه على الطاعة لولي الأمر وإن خالفه - أحب إلي من كذا وكذا^(١) وهذا، وقد جاء اعتراض من أبي عمرو بن حفص بن المعيرة بن عم خالد بن الوليد بالجديدة، فعندما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس وإني أعتذر إليكم من خالد بن الوليد، إني أمرته أن يحبس هذا المال عنى ضعفة المهاجرين، فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف، وذا اللسان، فرعته وأمرت أنا عبيدة بن الجراح. فقال أبو عمرو بن حفص بن المعيرة: والله ما أعذرت يا عمر بن الخطاب، لقد نرعت عاملاً استعمله رسول الله ﷺ، وعمدت سيقاً سله رسول الله ﷺ، ووضعت لواء نصبه رسول الله ﷺ، ولقد قطعت الرحم وحدثت بين العم. فقال عمر بن الخطاب: إنك قريب القرابة، حديث النسب، مغضب في ابن عمك^(٢)، وهكذا اتسع صدر الفاروق لابن عم خالد بن الوليد، وهو يدب عن خالد حتى وصل دفاعه إلى دعوى اتهامه للفاروق بالחסد، ومع ذلك ظل الفاروق حليماً^(٣).

٤ - وفاة خالد بن الوليد وماذا قال عن الفاروق وهو على فراش الموت:

دخل أبو الدرداء على خالد في مرض موته، فقال له خالد: يا أبا الدرداء، لنش مات عمر، لنزين أموراً نكرها. فقال أبو الدرداء: وأنا والله أرى ذلك. فقال خالد: قد وجدت عليه في نفسي في أمور، لما تدرتها في مرضي هذا وحضرتني من الله حاصر عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل، كنت وجدت عليه في نفسي حين

(١) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص ١٥١

(٢) السائي (٨٢٨٣) غير صحيح في سنة تكريه. محضر نقض (٢/٢٩٦) إسناده صحيح

(٣) صحيح الترمذي في سيره وحبته الفاروق ص ٢١٩

بعث من يقاسمني مالي، حتى أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل، ولكنه فعل ذلك بعيري من أهل لسانقة، ومن شهد بدرًا، وكان يعبط علي، وكانت غبطته على غيري نحرًا من غبطته علي، وكنت أدل عليه بقرنته، فرأيت لا يبالي قريبًا ولا لوم لائم في غير الله، فذلك الذي ذهب عبي ما كتب أحد عليه، وكان يكثر علي عبده، وما كان ذلك إلا على النظر، فقد كتب في حرب ومكيدة وكنت شاهداً وكان عبثًا، فكنت أعطي علي ذلك، فحالفه ذلك من أمري^(١)، ولما حضرته الوفاة وأدرك ذلك، بكى وقال ما من عمل أرحى عهدي بعد لا إله إلا الله، من ليلة شديدة الخلد في سرية من المهاجرين، بته وأن متترس والسماء نهل علي، وأما أنظر الصبح حتى أعبر على الكفار، فعبيكم بالجهاد، لقد شهدت كذا وكذا زحفاً، وما هي جسدي موضع شبر إلا وفيه ضريرة بسيف أو رمية سهم، أو طعنة رمح، وهذا أموت على فراشي حتف أمي كما يموت البعير، فلا نامت أعير الجباء لقد طلبت القتل في مطانه فسم بقدر لي إلا أن أموت على فراشي^(٢)، وأوصى حذو أن يقوم عمر على وصيته وقد جاء فيها وقد جعلت وصيتي وتركيتي وإنما عهدي لي عمر بن الخطاب، فبكى عمر رضي الله عنه فقال له طلحة بن عبيد الله: إنك وإياه كما قال الشاعر:

لا ألفينك بعد الموت تنلني وفي حياتي ما رودتني رادي^(٣)

فقد حزن عليه الفاروق حزناً شديداً، وبكته بنات عمه، فقيل لعمر أن يبهمن، فقال: دعهن يكن علي أبي سليمان ما لم يكن نفع أو لقلقة، على مثل أبي سليمان تبكي لبواكي^(٤).

وقال عنه: قد نمت في الإسلام ثلثة لا ترسق، وليته بقي ما بقي في الحمى حجر، كان والله سداً لنحور العدو، ميمون النقية^(٥)، وعندما دخل على الفاروق هشام بن لبحتر في نس من سي مخروم، وكان هشام شاعراً، فقال له عمر

(١) بخالد بن الوليد، صادق مرجون ٣٤٩، الخلافة والخلفاء ص ١٩٨

(٢) سير اعلام النبلاء (١/٣٨٢)، الطريق إلى الدلائل ص ٣٦٧

(٣) الفاروق عمر ص ٢٨٧، (٤) الطريق إلى الدلائل ص ٣٦٦

(٥) بخالد بن الوليد، صادق مرجون ص ٣٤٨

أنشدني ما قلت في حاله، فلما أنشده قال له: قصرت في الشاء على أبي سليمان
رحمه الله، إن كان ليحب أن يذل الشرك وأهله، وإن كان الشامت به لمتعرضاً لمقت
الله ثم تمثل بقول الشاعر:

فقل للذي يعني خلاف الذي مضى

تعباً لاخسرى مثلهما فكان قد

فما هيش من قد عاش بعدي بناهي

ولا موت من قد مات بعدي بمجلدي

ثم قال: رحم الله أبا سليمان ما عبد الله خير له مما كن فيه ولقد مات فقيراً
وعاش حبيباً^(١) ولقد رأيت الدهر ليس بمقاتل^(٢). هذا وقد توفي ودق بحمص سواد
الشام عام ٢١هـ^(٣) رحمه الله رحمة واسعة وأعلى ذكره في المصلحين



(١) تهذيب تاريخ دمشق (٥/١١٦).

(٢) ليس بمقاتل أي ليس ببارك أحداً يحل في هذه الدنيا، فهو من الإغالة في المعنى، صادق هرجوز ص ٣٤٨

(٣) تاريخ الطبري (٥/١٣٠)، الفوائد العسكرية ص ٥٨٩.

الفصل الثاني

علي بن أبي طالب عليه السلام في عهد الخلفاء الراشدين المبحث الأول

علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الصديق

أولاً: مبايعة علي لأبي بكر بالخلافة، رضي الله عنهما:

وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي عن مبايعة الصديق، وكذا تأخر الزبير بن العوام، وحل هذه لأحبار ليست بصحيحة، وقد جاءت روايات صحيحة لسد تعيد بأن علياً والزبير عليهما السلام بايع الصديق في أول الأمر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطباء الأنصار فذكر بيعة النقيصة^(١)، ثم قال: ثم اطلقوا مما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير علياً، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوه فقال أبو بكر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وخنه، أردت أن تشق عصا لمسلمين؟ فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جأؤا به، فقال ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه^(٢).

ومما يدل على أهمية حديث أبي سعيد خدري لصحيح أد الإمام مسلم بن الحجاج صاحب «الجامع الصحيح» - إن الذي هو أصح الكتب الحديثية بعد صحيح البخاري ذهب إلى شيعته الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة - صاحب صحيح ابن خزيمة فسأله عن هذا الحديث، فكتب له من حرمة الحديث، وقرأه عليه، فقال مسلم لشيعته ابن خزيمة هذا الحديث يسوي بدنة. فقال ابن خزيمة هذا الحديث لا يسوي بدنة^(٣) فقط، إنه يساوي بدنة مال^(٤)، وعنى على هذا الحديث

(١) مجمع الروايات (١٨٣/٥) ورجال رجال الصحيح، والبدنية والنهاية (٢٨١/٥)، قال ابن كثير: هما [سناد

صحيح محفوظ

(٢) «مسنود» (٧٩/٢) ورجال الكشي (١٤٣/٨) بإسنادين صحيحين

(٣) البدنة ناله أو بقرة تنحر بمكة ويعظمها وصغارها صبيحت بدنه

(٤) البدنة كيس به ألف أو عشرة آلاف دينار والمعنى أنه كثر ثمن

(١٦٤) ————— أسـمـى المـطـالـب في سـيـرة

ابن كثير - رحمه الله - فقال : هذا إسماعيل صحيح محفوظ . وفيه فائدة جلية ، وهي متابعة علي بن أبي طالب عليه السلام إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة ، وهذا حق ؛ فإن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه ^(١) .

وفي رواية حبيب بن أبي ثابت . حيث قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام في بيته ، فأتاه رجل ، فقال له : قد جلس أبو بكر للبيعة ، فخرج علي إلى المسجد في قميص له ، ما عليه إزار ولا رداء ، وهو متعجل ، كراهة أن يطن عن البيعة ، فابع أبابكر ، ثم جلس ، وبعث إلى رداءه فجذوه به ، فلبسه فوق قميصه ^(٢) . وقد سأل عمرو بن حريث سعيد ابن زيد رضي الله عنه ، فقال له : أشهدت وفاة رسول الله ﷺ ؟ قال نعم ، قال له : متى بويج أبو بكر ؟ قال سعيد : يوم مات رسول الله ﷺ ، كره المسلمون أن يتقوا بعض يوم ، وليسوا في جماعة قال هل خالف أحد أبابكر ؟ قال سعيد : لا ، لم يخالف إلا مرتد ، أو كاذب يرتد ، وقد أنقذ الله الأنصار ، فجمعهم عليه وبايعوه قال هل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته ؟ قال سعيد : لا ، لقد تابع المهاجرون علي بيعته ^(٣) .

وكان مما قال علي رضي الله عنه لأن الكواء وقيس بن عباد حينما قدم البصرة وسألاه عن سيره قال : لو كان عدي من النبي ﷺ عهد في ذلك ما تركت أحاسي تيم بن مرة . وعمر بن الخطاب يقومان علي مسره ، ولقاتلتهم ولو لم أجد إلا بردي هذا ، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً ولم يمت مماتاً ، مكث في مرضه أياماً وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبابكر فيصلي بالناس ، وهو يرى مكاني ، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأسى

(١) البداية والنهاية (٢٣٩/٥)

(٢) الطبري (٢٧/٣) والآخر مسند وفي (البداية) صف من عمر متروك . وهذا تقدير من ساء صدق يستع

مغريبه (٣٥٧) .

(٣) تاريخ الطبري (٢٧/٣) إسماعيل بن عمر مولى . نظر . فتلالة أبي بكر الصديق . لعبد العزيز سليمان ص (٦٦)

وعصب وقال «أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر بصل بالناس» فلما قضى الله بيه ونظر في أمورنا، فاخترنا لدنيا من رصيه سي الله لدينا، وكانت الصلاة أصل الإسلام، وهي أعظم الأمور، وقوام الدين. فابعدنا أبا بكر، وكان لذلك أهلاً، ولم يحتلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم نقطع منه السراة، فأدبت إلى أبي بكر حقه، وعرفت له طاعته، وغررت معه في جنوده، وكنت أحد إذا أعطاني، وأعرو إذا أعزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي^(١).

وكان مما قال في خطبته على منبر الكوفة في ثائه على أبي بكر وعمر فأعطى المسلمون البيعة طائعين، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبدالمطلب أبا بكر^(٢)، وجاءت روايات أشارت إلى مبايعة علي لأبي بكر عليه السلام في أول الأمر وإن لم تصرح بذلك، فعن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف أنه قال أن عبدالرحمن بن عوف كان مع عمر ابن الخطاب عليه السلام ثم قام أبو بكر عليه السلام فخطب الناس، واعتذر إليهم وقال والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راعياً، ولا سألتها الله عز وجل في سر ولا علانية، ولكنني أشعقت من العنة، ومالي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمراً عظيماً، مالي به من طدقة ولاند إلا بتقوى الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم. فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به، قال علي عليه السلام والزبير ما عصا إلا لانا قد أحرباً عن المشاورة، وأنا ترى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ؛ إنه لصاحب الغار. وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه، وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي^(٣) وعن قيس العندي قال شهدت حطة علي عليه السلام يوم نصرة قال. محمد الله وأثنى عليه، وذكر

(١) تاريخ الإسلام، ردعبد خلافة الخليفة من (٣٨٩) إسناده صحيح. وخلافة في بكر الصديق عليه السلام من (٦٥)

(٢) أئمة العدة (١٦٦/٤، ٦٧)، ودخله أبي بكر من (٦٦)

(٣) البداية والنهاية (٣٤١/٦) إسناده جيد، ودخله أبي بكر من (٦٧)

السي رحمه الله وما عالج من الناس . ثم قصه الله عز وجل إليه ، ثم رأى المسلمون أن يستحلفوا أبا بكر رضي الله عنه فبايعوا وعاهدوا وسلموا ، وبايعت وعاهدت وسلمت ، ورضوا ورضيت ، وفعل من الخير وجاهد حتى قضيه الله عز وجل رحمة الله عليه^(١)

إن علياً رضي الله عنه لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ، ولم ينقطع عنه في حمعة من الجماعات ، وكان يشاركه في المشورة ، وفي تدبير أمور المسلمين . ويرى ابن كثير ومجموعة من أهل العلم أن علياً جدد بيعته بعد ستة أشهر من البيعة الأولى . أي . بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها ، وجاءت في هذه البيعة روايات صحيحة^(٢) ولكن لما وقعت البيعة الثابتة اعتقد بعض الرواة أن علياً لم يبايع قبها ، فنفي ذلك ، والمثبت مقدم على النافي^(٣) .

وهناك كتاب اسمه : «الإمام علي ، جدل الحقيقة ، والمسلمين ، الوصية ولشورى» للمحمود محمد العبي ، رعم صاحبه بأنه يبحث وينشد الحقيقة ، ولكن صاحبه لم يتخلص من المذهب الشيعي الرافضي في الطرح ووضع السّم في العسل ، ولذلك وحب التنبيه ، وقد تعرض لبيعة علي رضي الله عنه . ورعم بأن أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة قائمة على الوصية .

ثانياً: علي رضي الله عنه ومساندته لأبي بكر في حروب الردة:

كان علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه عليه السلام نصيح له ، مرجحاً لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شيء آخر ، ومن لدلائل الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة . واجتماع شمل المسلمين ما جاء من موقفه من توجه أبي بكر رضي الله عنه بنفسه إلى ذي القصة ، وعزمه على محاربة المرتدين ، وقيادته للتحركات العسكرية صدهم بنفسه ، وما

(١) عاينه ١ . عبد الله بن أحمد (٢/٥٦٣) رجال الإسناد نقات

(٢) ٣ (٢) عاينه والهيبة (١٩/٥)

(٣) العبي . وعاء من خوص ومحوه ينقل فيه الرغ المحصور إلى الجرين ، وعاء من لدم ومحوه يكرر فيه الدع

كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي^(١)، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما برز أبو بكر إلى دي القصة، واستوى على راحلته، قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: لم يملك ولا تعجما نسمك، وارجع إلى المدينة، هو الله لئن فجعتك لا يكون للإسلام نظام أبداً، فرجع^(٢) فلو كان علي رضي الله عنه أعانه الله من ذلك لم ينشرح صدره لأبي بكر وقد بايعه علي رغم من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية بتهزها علي، فترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيشريع منه ويصفو الجو له، وإذا كان فوق ذلك - حاشاء الله - من كراهته له، وحرصه على التخلص منه، لأعزى به أحداً يعتله، كما يفعل الرجال السياسيون بمافسبهم وأعدائهم^(٣)، وقد كان رأي علي رضي الله عنه مقاتلة المرتدين وقل لأبي بكر لما قل لعلي ما تقول يا أبا الحسن؟ قال أقول إنك إن تركت شيئاً مما كان أحده منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت على خلاف سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال: أما لئن قلت ذلك لأقاتلهم وإن معوي عقالا^(٤)

ثالثاً: تقديم علي رضي الله عنه لأبي بكر:

تواترت لأخبار عن علي رضي الله عنه هي تفصيله وتقديمه لأبي بكر رضي الله عنه، فمن ذلك:

١- عن محمد بن الحنفية قال قلت لأبي أي الدس خبير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر وحشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين^(٥).

٢- عن علي رضي الله عنه قال: ألا أحرركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر ثم قال: ألا أحرركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر؟ عمر^(٦).

(١) أئيب وذهبها (٦ - ٣١٤ - ٣١٥)

(١) مبرر، المدد، ص (٩٧)

(٢) المبرر، المدد، ص (٩٧)

(٣) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للمختبري ص (٤٨)، والرياض الصرية ص (٦٧)

(٤) معاري

(٥) مستأمنة (١/ ٦ - ١١ - ١٢٧)، وصحيح أحمد شاكر معظم طرق هذه الأحاديث

٣- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام: ألا تستحلف علينا؟ قال: ما استحلف رسول الله ﷺ فأستحلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد سيهم على خيرهم^(١).

٤- وقال علي عليه السلام: لا يعضلي أحد على أبي بكر وعمر إلا حلدته حد المفتري^(٢).

٥- قول علي لأبي سفيان رضي الله عنه: إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً، وهك آثار يستأنس بها في إيضاح العلاقة الطيبة بين علي وأبي بكر منها:

(١) عن عتبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليالٍ وعلي يمشي إلى جسده، فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

بأبي شبيبته بالنبي

ليس شبيبته بعلي

قال: وعلي يضحك^(٣).

(ب) وعن علي عليه السلام قال: من فارق الجماعة شراً، فقد برع رقة الإسلام من عنقه^(٤)، فهل كان علي يفعل ذلك؟ كان رضي الله عنه يكره الاختلاف، ويحرص على الجماعة قال القرطبي: من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الاتفاق؛ عرف أن بعضهم كان يعترف بفصل الآخر، وأن قلوبهم كانت منسقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطعن الشري

(١) المستدرک (٧٩/٣) صحيح الإسماء ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) مسائل الصحابة (٨٣/١) في سننه ضعف.

(٣) مسند أحمد (١/١٧٠) إسناده صحيح، وتحقيق: أحمد شاكر.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٢٤/١٥) من مرسل أبي عبد الأزدي، وهو صدوق ورع حال الإساءة ثقافت، ودخلة أبي بكر الصديق ص (٨٠).

قد يقلب أحياناً، لكن الديانة ترد ذلك، والله الموفق^(١) وأما ما قيل من تحلف الربير من العوام عن البيعة لأبي بكر، فإنه لم يرد من طريق صحيح، بل ورد ما ينعي هذا القول، ويشت ما بيعته في أول الأمر، وذلك في أثر أبي سعيد السابق الصحيح وغيره من الآثار^(٢).

(ج) قال ابن تيمية. وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: حير الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة فيل. إنها تلغ ثمانين طريقاً وعنه أنه كان يقول: لا أوتى بأحد يفصلني على أبي بكر وعمر إلا جللته حد المفترى^(٣) وقد أيضاً. ولم يقل أحد قط إنني أحق بهذا أي الخلافة من أبي بكر ولا قاله أحد في أحد بعينه: أن فلاناً أحق بهذا الأمر من أبي بكر. وإنما قال من فيه أثر الجاهلية عروبة أو فارسية أن بيت الرسول ﷺ أحق بالولاية، لأن العرب في جاهليتها كانت تقده أهل الرؤساء. وكذلك العرس يقدمون أهل بيت الملك، فقل عمن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا^(٤).

(د) تسمية أبي بكر بالصديق وشهادة علي له بالسابق والشجاعة.

عن يحيى بن حكيم بن سعد قال: سمعت علياً عليه السلام يحلف: والله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق^(٥) وعن صلة بن رزير العسي قال كان أبو بكر إذا ذكر عد علي قال: السابق تدكرون. والذي نفسي بيده ما استبق إلى حير قط إلا سبقا إليه أبو بكر^(٦)، وعن محمد بن عقيب بن أبي طالب قال. حطينا علي عليه السلام فقال: أيها الناس من أشجع الناس؟ قلنا أنت يا أمير المؤمنين قال

(١) «فتح الباري» (١٩٥/٧)

(٢) «خلافة أبي بكر الصديق»، لعبد العزيز سليمان ص (٨١).

(٣) «مهاج» (١١٢/٣)

(٤) «مهاج» نسخة (٢٦٩/٣)، و«مرويات أبي محمد» ص (٩-٣)

(٥) «المعجم الكبير» لمؤيد بن أبي طالب (٥٥/١) رجاله ثقات

(٦) الطبراني في الأوسط (٢٠٧/٧) ٢٠٨، إسناده ضعیف

ذاك أبو بكر الصديق، إنه لما كان في يوم سر وضع لرسول الله العرش^(١) فقبا من يقيم عنده لا يذفر إليه أحد من المشركين؟ فما قام عليه إلا أبو بكر وأنه كان شاهراً السيف على رأسه كلما دنا إليه أحد هوى عليه أبو بكر بسيف، ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش عند الكعبة فجعلوا يتعنونه ويترثونه^(٢)، ويقولوا أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، هو الله ما دنا إليه إلا أبو بكر، ولأبي بكر يومئذ صغيرتان^(٣)، فأقبل يحا^(٤) هذا، ويدفع هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟! وقطعت إحدى صغيرتي أبي بكر، فقال هي لأصحابه. ناشدكم الله أي الرجلين خير، مؤمن آل فرعون أو أبو بكر؟ فأمسك القوم، فقال عني والله ليوم من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذلك رجل كتم إيمانه فأتى الله عيه، وهذا أبو بكر بدل نفسه ودمه لله^(٥).

رابعاً: اقتداء علي بالصديق في الصلوات وقبول الهدايا منه :

إن عبداً مرسلاً كان راصياً بخلافة الصديق ومشاركاً له في معاملاته وقضياه، قابلاً منه الهدايا، رافعاً إليه الشكاوى، مصلياً خلفه، محباً له، مغضباً من بعضه^(٦)، وشهد بذلك أكبر خصوم الخلفاء الراشدين، وأصحاب نبي ﷺ ومن تبعهم بهديهم، وسلكت بمسلكهم، ونهج بمنهجهم^(٧)، فهذا لعقوبي الشيعي الغالي في تاريخه، يذكر أيام خلافة الصديق يقول: وأراد أبو بكر أن يغزو الروم فشدور جماعة من أصحاب رسول الله، فقدموا وأخروا فاستشار علي من أبي طالب فأشار عليه أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت، فقال: بشرت بحبر، فقدم أبو بكر في الناس خطيباً، وأمرهم أن يتحيزوا إلى ثروم، وفي رواية سأل الصديق عبداً كيف ومن أين تشتر؟ قل من النبي ﷺ، حيث سمعته يشتر

(١) العرش ما يستظل به، وجمعه عروش وعرش (٢) يترثونه يترثوا تحريك الشيء

(٣) صغيرتان حقيقتان (٤) يحا الرجاء المكر

(٥) عيسى بن مريم، صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

(٦) المنفعة وأهل البيت، إيمان أبي ظهير ص (٦٩) - (٧) الشبهة وأهل البيت، ص (٦٩)

بتلك البشارة، فقال أبو بكر سررتني عما أسمعني من رسول الله يا أبا الحسن
مركك الله^(١)، ويقول اليعقوبي أيضاً. وكان ممن يؤخذ عنه الفقه في أيام أبي بكر
علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب ومعد بن حنبل وأبي بن كعب وزيد بن
ثابت وعبدالله بن مسعود^(٢)، تقدم علياً على جميع أصحابه، وهذا دليل
واضح على تعاملهم مع بعضهم، وتقديمهم علياً في المشورة^(٣) والقضاء، فعندما
كتب حذاف بن الوليد إلى أبي بكر بقوله له إنه وحده رجلاً في بعض نواحي
العرب يكره كما تكبح المرأة، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ﷺ
مهمهم علي، فقال عبي: إن هذا دس لم يعمل به إلا أمة واحدة^(٤)، فعزل الله
بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله أن
يحرق بالنار، فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار^(٥).

وكان علي عليه السلام يمثل أوامر الصديق، فعندما جاء وفد من الكفار إلى
المدينة، ورأوا بالمسلمين ضعفاً وقلة؛ لدهائهم، إلى الجهات المختلفة للجهاد
واستئصال شأفة المرتدين والسفاهة الطغاة، وأحسن مهمهم الصديق حظراً على
عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة، وحمل الحرس على
أنقابها يبيتون بالخيوش، وأمر علياً والربيع وطلحة وعبدالله بن مسعود أن يرأسوا
هؤلاء الحراس، ويقوا كذلك حتى أمروا منهم^(٦)، ولتتعامل الموجود بينهم
وللتعاطف وتوادد والوثام الكامل، كان علي وهو سيد أهل البيت ووالد سبطي
الرسول ﷺ يتفعل لهدايا والتحف دأب الإخوة المتساوين في ما بينهم
والتحابين؛ كما قبل الصهفاء البخارية التي سببت في معركة عين النمر، وولدت
له عمر ورقبة^(٧) وأيضاً منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع

(١) تاريخ اليعقوبي (١٣٢/٢)، نقل عن: «الشجرة وأهل البيت» ص (٧٠).

(٢) تاريخ اليعقوبي (١٣٨/٢) نقل عن «الشجرة وأهل البيت» ص (٧٠).

(٣) «الشجرة وأهل البيت» ص (٧٠).

(٤) المفدي والشرح الكبير (٢٢٠/١٢)، والمختصر من كتاب الموافقة ص (٥١).

(٥) تاريخ الطبري (٦١/١)، و«الشجرة وأهل البيت» ص (٧١).

(٦) الطقات (٢٠/٣)، و«شجرة وأهل البيت» (٣٣١/٧ - ٣٣٢).

من أسر في حرب اليمامة. وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد بن الحنفية، وكانت خولة من سبي أهل الردة، وبها يعرف اسمها ونسب إبيها محمد بن الحنفية^(١)، يقول الإمام الخويسي عن بيعة الصحابة لأبي بكر وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكر رحمته وكان علي رحمته سامعاً لأمره، وبائع أبا بكر على ملاء من الشهداء، ونهض إلى غزو بني حنيفة^(٢).

ووردت روايات عديدة في قوله هو وأولاده الهدايا المالية والخمسين وأموال النبي من الصديق رحمته أجمعين، وكان علي هو القاسم والمتولي في عهده على الخمسين والعشرين وكانت هذه الأموال بيد علي، ثم كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن^(٣)، وكان علي رحمته يؤدي الصلوات الخمسة في المسجد خلف الصديق، راضياً بإمامته، ومطهرًا للناس اتفاقية ووثامه معه^(٤)، وكان علي رحمته يروي عن أبي بكر بعض أحاديث رسول الله ﷺ، فمن أسماء بن الحكم المزري قال: سمعت عبداً رحمته يقول: كنت إذ سمعت من رسول الله عندما يقفني الله به، وكان إذا حدثني عنه عبري استحلصته، فإذا حلف صدقته، وحدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد مسلم بذنب ذنباً ثم يتوضأ، فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له»^(٥).

ولما قبض رسول الله ﷺ اختلف أصحابه فقالوا: «دفنوه في البقيع»^(٦)، وقال آخرون: «دفنوه في موضع الخنازير» وقال آخرون: «دفنوه في مقابل أصحابه»، فقال أبو بكر: «أخروا فإنه لا يسعي رفع بصوت عند النبي حياً ولا ميتاً»، فقال علي رحمته أبو بكر مؤتمس على ما جاء به، قال أبو بكر: عهد إلي

(١) الطبقات (٢٠/٣) المصدر نفسه

(٢) الإرشاد الخويسي ص (٤٢٨) نقلًا عن أصول مذهب الشيعة، والإمامية لانتا عشرية للفقاري (٨٥/١)

(٣) النجاة وأهل البيت ص ٧٢

(٤) مستند أحمد رقم (٤٧)

(٥) البقيع مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة

رسول الله ﷺ «أنه ليس من نبي يموت إلا دفن حيث يقض»^(١)، وشهد علي عليه السلام للصدِّيق عن عظيم أجره في المصاحف، فعن عبد خير قال سمعت علياً يقول أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر الصدِّيق، هو أول من جمع بين اللوحين^(٢).

خامساً: الصدِّيق والسيدة فاطمة وميراث النبي ﷺ:

قالت عائشة رضي الله عنها إن فاطمة والعباس رضي الله عنهما أتيا أبا بكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلدن أرضيهما من فذك وسهميهما من حير، فقال لهما أبو بكر إني سمعت رسول الله يقول: «لا نُورَث، ما تركنا صدقة»، إنما يأكل آل محمد من هذا المال^(٣) وفي رواية قال أبو بكر رضي الله عنه . لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أريخ^(٤)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن أزواج النبي ﷺ، حين توفي رسول الله، أردن أن يبعثن عثمان من عفاق رضي الله عنه إلى أبي بكر، ليسأله ميراثهن من النبي ﷺ، فقالت عائشة رضي الله عنها لهن: ليس قد قال رسول الله ﷺ . «لا نورث، ما تركنا صدقة»^(٥)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ . «لا يقسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عايلي فهو صدقة»^(٦).

وهذا ما فعله أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها امتثالاً لقوله ﷺ، لذلك قال الصدِّيق لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به^(٧) وقال: والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصمعه فيه إلا صمته^(٨).

(١) «مسند أحمد» (٨/١) إسناده ضعيف، قاله أحمد ذكره، وقال ابن حجر في «الفتح» (١/١٣١). إسناده صحيح لكنه مؤلف.

(٢) «المختصر من كتاب المرافقة» ص (٤٤).

(٣) «البخاري» رقم (٦٧٢٦).

(٤) «البخاري» رقم (٦٧٣٠)، ومسلم رقم (١٧٥٨).

(٥) «البخاري» رقم (٦٧٢٦).

(٦) «مسلم» رقم (١٧٥٩).

(٧) «البخاري» رقم (٦٧٢٩).

(٨) «البخاري» رقم (٦٧٢٦).

وقد تركت فاطمة عليها السلام منارته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قولها الحق وإدعائها لقوله عليه السلام، قال ابن قتيبة^(١): وأما ماردة فاطمة أبا بكر عليه السلام في ميراث أبي عليه السلام، فليس بمكر، لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله عليه السلام. وضحت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم، فلما أحمرها بقوله كفت^(٢)، وقد غالى الراصة في قصة ميراث أبي عليه السلام علواً مفرطاً مجسباً الحق والصواب، معرضين متجاهلين ما ورد من نصوص صحيحة في أنه عليه السلام لا يرث، وحملوا ذلك من أصول الخلاف بين الصحابة وآل البيت عليهم السلام أجمعين وامتدداً لأمر الخلافة، هاتهما الصحابة عليهم السلام يوقاع الطم والجور على آل البيت، ولا سيما أبو بكر الصديق وعمر الفاروق عليهم السلام اللذين غصب الخلافة من آل البيت كما في زعمهم وأصافوا إلى ذلك غصب أموال آل البيت، وغصب ما فرض لله لهم من حقوق مالية، ويعتبر الراصة قضية مدت، ومع فاطمة من إرثها من أهم القضايا، التي تواطأ عليها الصحابة بعد غصب الصديق عليه السلام للخلافة منهم على حد تعبيرهم؛ وذلك حتى لا يميل الناس إلى آل البيت بسب هذا الما فيجتمعوا عليه ويخلعوه من الخلافة^(٣).

واستيع لكتب الراصة في هذه المسألة يحد أنها تنصب على بكار حديث رسول الله عليه السلام : «نحن - معاشر الأنبياء - لا نورث، ما تركنا صدقة»^(٤)، واستقطب الأدلة لمحاولة إبطاله فمن ذلك :

١ - زعمهم أن هذا الحديث وضعه أبو بكر الصديق عليه السلام، وفي ذلك يقول الحلي: إن فاطمة لم تقبل بحديث اخترعه أبو بكر من قوله: ما تركنا صدقة، وقال أيضاً: والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها^(٥)، وقال المحلبي بعد أن نص على أن أبا بكر وعمر أخذوا فدكاً. ولأجل ذلك وضعوا تلك الرواية الخبيثة

(١) اشتراب الذهب (١٦٩/٢).

(٢) تأويل مختلف الحديث ص (١/١٩).

(٣) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص (٤٣٥). (٤) مسلم (١٧٥٨).

(٥) منهاج الكرامة ص (١٩٣/٤)، نقلاً عن: العقيدة في أهل البيت.

المترة بحسب معاشر الأتباء لا نورث، ما تركناه صدقة^(١)، ويقول الحميني في ذلك: نقول بأن الحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله لا صحة له، وأنه قيل من أجل استتصال ذرية النبي صلى الله عليه وآله^(٢).

ويجاب على ذلك: بأن هذا القول كذب مخصص وافضأ واضح؛ إذ هذه الرواية لم ينعرد بها أبو بكر رضي الله عنه؛ بل إن قوله صلى الله عليه وآله «لا نورث، ما تركناه فهو صدقة» رواه عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة، والربيع، وسعد وعبد الرحمن بن عوف، والعباس بن عبد المطلب، وأزواج النبي صلى الله عليه وآله، وأبو هريرة، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه أجمعين^(٣)، وفي ذلك بقول ابن تيمية والرواية عن هؤلاء ثبتة في الصحاح، والمسايد مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث، فيقول القائل: إن أنا نكرت انفراد الرواية؛ يدل على شرط جهله أو تعمده الكذب^(٤)، وقال ابن كثير - بعد ذكره لمن روى الحديث وأن هذا الزعم من الرافضة باطل - ولو نعرد مروايته الصديق رضي الله عنه لوحب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانتقاد له في ذلك^(٥).

وقد قال الدكتور سليمان بن رجاء السحيمي صاحب الكتاب القيم «تعقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتعريط» ويؤيد هذا ما جاء من كتب الرافضة عن الإمام جعفر الصادق الإمام الخامس المعصوم عندهم فيما رواه الكليني والصفار، والمفيد أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة، والعلماء أمناء، والأتقاء حصون، والأوصياء سادة، وفصل العائد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر»^(٦) وفي رواية «إن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما أورثوا

(١) «حق القين» ص ١٩١ خلا عن «المفيد في أهل البيت» ص (١١٣)

(٢) «كشف الأسرار للحميني» ص (١٣ - ١٣٣)، خلا عن: «المفيد في أهل البيت»

(٣) «منهاج السنة» (١/ ١٩٩)

(٤) «المفيد في أهل البيت» ص (١٤٤)

(٥) «الكافي للكليني» (١/ ٣٢ - ٣٤)

(٦) «البلدية والهدية» (٥/ ٢٥٠)

أحاديث من أحاديثهم^(١) وما أرت منك يا رسول الله؟ قال: «ما أورت النبون».

٢ - رعنهم أن هذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ (النساء: ١١)، وقالوا: ولم يحمل الله ذلك حاماً بالامة دونه ﷺ^(٢).

والحقيقة أن الخطاب شامل للمقصودين بالخطاب، وليس فيه ما يوجب كون النبي ﷺ من المحاصرين به^(٣)؛ فهو ﷺ لا يقاس بأحد من أشرك، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ولأن الله حرم عليه صدقة الفرض والتصدق، وحسن بأشياء لم يحسن بها أحد غيره ﷺ، وما خصه الله به، هو وإخوانه من الأنبياء - عليهم السلام - كونهم لا يورثون، وذلك صيانة من الله لهم؛ لئلا يكون ذلك شهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدين وحلوهوا لورثتهم، أما بقية البشر فلا برة لهم يقدح فيها بمثل ذلك، كما صار الله تعالى سباً ﷺ عن أشعر صيانة لنبوته عن الشبهة وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة^(٤).

وقد ابن كثير في رده على استدلال الرافضة بالآية: إن رسول الله ﷺ قد حص من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون - وليس الأمر كذلك - لكان ما رواه الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر مبيحاً لتخصيصه بهذا الحكم دون من سواه^(٥)؛ وبهذا يتبين بطلان استدلالهم بمخافة الحديث.

٣ - رعنهم أن منع الإرث والاستدلال بهذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿يُورِثُ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ (النمل: ١٦). ومخالف لما حكاه الله عن نبيه زكريا ﷺ:

(١) «الكافي» (٣٢/١ - ٣٤)، و«مستدرر الدرر» (١٠ - ١١) و«الاختصاص» (٤٤٤) من (٤) والنظر: «معجم البقر» للكاشاني (٧٤٧، ٧٤٨) نقلاً عن «معقبة لأهل البيت» من (٤٤٤)

(٢) «منهاج الكرامة» المطروح مع «منهاج السنة» ١٩٤/٤

(٣) «منهاج السنة» ١٩٤/٤ - ١٩٥، و«المعقبة في أهل البيت» من (٤٤٥)

(٤) «منهاج السنة» ١٩٤/٤ - ١٩٥، و«المعقبة في أهل البيت» من (٤٤٥)

(٥) «البيان والنهاية» ٢٥٤/٥، و«المعقبة في أهل البيت» من (٤٤٦)

﴿وإني خفتُ المَوالِي من ورائي وكُنتُ أَمْرًا عَاقِرًا فَهَبْ لِي من لَدُنْكَ وَلِيًّا (١)﴾
 يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِن آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا (سورة هـ، ١٠)

حيث قالوا: إن الميراث يقتضي الأموال وما في معناه، وليس لأحد أن يقول
 أن المراد بالآية العلم دون المال^(١)

ويجيب على ذلك بما يلي: إن الإرث اسم حس يدخل تحته أنواع،
 يستعمل في إرث العلم، والسوة، والمنك، وغير ذلك من أنواع الاستفال قال
 تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (سورة هود، ٣٢) وقال تعالى
 ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١)﴾ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴿ (البقرة، ١١٠)
 وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الشأن، وإذا كان كذلك فقوله تعالى
 ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقوله ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِن آلِ يَعْقُوبَ﴾ إنما يدل على
 حصر الإرث، ولا يدل على إرث المال؛ وذلك لأن داود عليه السلام كان له أولاد
 كثيرون غير سليمان، فلا يختص سليمان بماله؛ فدل على أن المراد بهذا الإرث
 إرث العلم والسوة وبحر ذلك، لا إرث المال، والآية سيقت في بيان مدح
 سليمان وما حصه الله به من العمة، وحصر الإرث في المال لا مدح فيه؛ إذ إن
 إرث المال من الأمور العادية المشتركة بين الناس، وكذلك قوله تعالى ﴿يَرِثُنِي
 وَيَرِثُ مِن آلِ يَعْقُوبَ﴾ ليس المراد به إرث المال؛ لأنه لا يرث آل يعقوب شيئاً من
 أموالهم، وإنما يرث ذلك منهم أولادهم ومنازل ورثتهم لو ورثوا^(٢)

كما أن قوله ﴿وإني خفتُ المَوالِي من ورائي﴾ لا يدل على أن الإرث إرث
 مال؛ لأن ذكرها لم يحف أن يأخذوا ماله من بعده إذا مات؛ فإن هذا ليس
 مخوف، وذكرها عليه السلام لم يعرف له مال، بل كان مجاراً يأكل من كسب يده
 كما في صحيح مسلم^(٣)، ولم يكن ليذخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولداً

(١) أمواج التكرامة، ص (٩ - ١٠) فلا يخفى أن المقصود من أهل البيت وغيرها من الكتب كـ«الطرائف» لاس شاروس
 ص (٣٤٧)

(٢) مسلم، رقم (٢٣٧٩)

(٣) أمواج التفة (٤/ ٢٧٢ - ٢٧٤)

يرث عنه ماله، فدل على أن المراد بالورثة في هاتين الآيتين ورثة النبوة، والقيام مقدمه^(١).

يقول القرطبي في تفسيره للآية وعليه فلم يسل من يرث ماله، لأن الأنبياء لا نورث، وهذا هو الصحيح من لقولين في تأويل الآية، وأنه عليه الصلاة والسلام أراد ورثة العلم والنبوة، لا ورثة المال لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال «إن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة»^(٢)، وهذا الحديث يدخل في التفسير المسد لقوله تعالى «وورث سليمان داود»، وعبرة من قول زكريا «فهب لي من لدنك ولياً» (٣) يرثي ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيعاً، وتخصيص للعموم في ذلك، وأن سليمان سم يرث من داود مالا خلفه داود بعده، وإلى ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب، وهكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن ما عدا الروافض^(٣).

ومما يجدر الإشارة إليه أن الرافضة حالفوا ما استدلوا به على وجوب الميراث وذلك أنهم حصروا ميراثه ﷺ في فاطمة رضي الله عنها فزعموا أنه لم يرث النبي ﷺ، إلا هي، فأخرجوا أرواحه وعصته مخالفين عموم الآيات التي استدلوا بها، فقد روى الصدوق بسنده عن أبي جعفر السائر قوله لا ورثة ما ورث رسول الله ﷺ العباس ولا علي، ولا ورثته إلا فاطمة عليها السلام، وما كان أحد علي عليه السلام السلاح وغيره إلا أنه قصي عنه ديه^(٤) وروى الكشي والصدوق والطوسي بأسانيدهم إلى السائر أيضاً قوله وورث عبي عليه السلام من رسول الله ﷺ علمه، وورثت فاطمة عليها السلام تركته^(٥)، بل وأخرجوا حتى فاطمة من ذلك، حيث زعموا أن النساء لا يرثن العقار، فقد يوب الكشي

(١) «سراج السنة» (٢٢٥/٤)، «البدية والنهاية» (٢٥٣/٥)، «المعتمد في أهل البيت» ص (٤٤٨).

(٢) «مسلم» رقم (١٧٥٨).

(٣) «تفسير القرطبي» (٣٥/١١ - ٤٥).

(٤) «من لا يحضره الفقيه» (١٩/٤ - ١٩٩١)، «المعتمد في أهل البيت» ص (٤٥١).

(٥) «الكافي» للكشي (٢٥٩/٢)، «المعتمد في أهل البيت» ص (٤٥).

هي كذب الكاهن بها بعنوان أن النساء لا يرثن من عقار شيئاً وساق تحته روايات منها عن أبي جعفر الصادق أنه قال: «النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئاً»^(١)

روى الصدوق بسنده إلى مير قال: سألته - يقصد الصادق - عن النساء ما لهن في الميراث؟ فقال: أما الأرض والعقارات فلا ميراث لهن فيه^(٢)، وبهذا يتبين عدم استحقاق طعمة ميراث شيئاً من الميراث، بدون الاستدلال بحديث «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»^(٣). فما دامت المرأة لا ترث العقار والأرض، فكيف كان لطعمة أن تسأل بذلك - على حسب قولهم - وهي عقار لا ريب فيه؟^(٤)، وهذا دليل كذبهم وتناقضهم فضلاً عن جهلهم^(٥).

وأما ما زعموه من كون الصديق عليه السلام سأل فاطمة أن تحصر شهوداً، فأحصرت علياً وأم أيمن فلم يقبل شهادتهما فهو من الكذب لبيان الواضح، قال حماد بن إسحاق: فأما ما يحكيه قوم أن فاطمة عليها السلام طست فذت، وذكرت أن رسول الله ﷺ أقطعها يدها، وشهد لها علي عليه السلام فسم يقبل أبو بكر شهادته، لأنه زوجها، فهذا أمر لا أصل له ولا تثبت به رواية أنها ادعت ذلك، وإنما هو أمر مقتعل لا ثبت فيه^(٦).

٤ إن السنة والإجماع قد دلا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث: قال بن تيمية: «كون النبي ﷺ لا يورث ثبت بأربعة المقطوع بها، وبإجماع الصحابة، وكل منهما دليل قطعي، فلا يعارض ذلك بما يظن أنه عموم، وإن كان عمومًا فهو محصور، لأن ذلك لو كان دليلاً لما كان إلا ظناً فلا يعارض القطعي؛ إذ الظني لا يعارض القطعي، وذلك أن هذا الخبر رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره بل كنههم نقاه

(١) الكافي، مكتبي (١٣٧/٧): والمعلقة في أهل البيت من (٤٥١)

(٢) نسخة وأهل البيت من (٨٩)

(٣) مسلم (١٧٦٨).

(٤) الشيعة وأهل البيت من (٩٨)

(٥) منهاج السنة (٤/٢٣٦ - ٢٣٨)

(٥) المعلقة في أهل البيت من (٤٥٢)

بالمقول والتصديق، ولهذا لم يصّر أحد من أزواجه على طلب الميراث، ولا أصرّ العمّ على طلب الميراث، بل من طلب من ذلك شيئاً فاحير بقول النبي ﷺ رجع عن صلبه، واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى علي، فلم يعبر من ذلك شيئاً، ولا قسم له تركه^(١) قال ابن تيمية قد تولى الخلافة (علي) بعد ذي الوريث عثمان، وصار فذك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئاً لأحد من أولاد فاطمة ولا من زوجات النبي ﷺ ولا ولد العباس فلو كان ظلماً، وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجبوشة، أفتراه يقاتل معاوية مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلاً من المال، وأمره أهون بكثير؟^(٢) وإجماع الخلفاء الراشدين على ذلك احتج الخليفة العباسي أبو العباس السفاح على بعض ماطريه في هذه المسألة على ما نقل ابن الجوري في تلبس إبليس قال وقد روي عن السفاح أنه حطب يوماً فقام رجل من آل علي يريته فقال يا أمير المؤمنين أعي علي من ظلمني قال ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي يريته والذي ظلمني أبو بكر يريته حين أخذ فذك من فاطمة، قال ودام علي ظلمكم؟ قال نعم، قال ومن قام بعده؟ قال صمر يريته، قال ودام علي ظلمكم؟ قال نعم، قال ومن قام بعده؟ قال عثمان يريته، قال: ودام علي ظلمكم؟ قال نعم، قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا يظن مكاناً يهرب منه^(٣).

وتصويب أبي بكر يريته في اجتهاده صرح بعض أولاد علي من فاطمة يريته على ما روى البيهقي بسنده عن فضيل بن مرروق قال قال ريد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أما لو كنت مكان أبي بكر لحكمت بما حكم به أبو بكر في ذلك^(٤)، كما نقل أبو العباس القرطبي اتفاق أهل البيت، بدأ بعلي يريته ومن جاء بعده من أولاده، ثم أولاد العباس الذين كانت بأيديهم صدقة رسول الله ﷺ، أنهم ما كانوا يرون تملكها، وإنما كانوا ينفقونها في سبيل الله

(٣) تلبس إبليس ص ١٣٥

(٢) منهاج السنة (١/٢٤٧).

(١) منهاج السنة (٤/٢٢٠).

(٤) تاريخ الخلفاء لابن تيمية (١/٢٠٠)، والبدلية والتهذيب (٥/٢٥٣).

قال - رحمه الله - إن عتيلاً ولي الخلافة ولم يعبرها عما عمل فيها في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان، ولم يتعرض لتملكها، ولا لقسمة شيء منها، بل كان يصرفها في الوجوه التي كان من قبله يصرفها فيها، ثم كانت بيد الحسن بن علي، ثم بيد الحسين بن علي، ثم بيد علي بن الحسين، ثم بيد الحسين بن الحسن، ثم بيد ريد بن الحسين، ثم بيد عبد الله بن الحسين، ثم تولاهما بنو العباس على ما ذكره أبو بكر السرقاني في صحيحه، وهؤلاء كبراء أهل البيت عليه السلام وهم معتمدون عند الشيعة وأئمتهم، لم يرو عن واحد منهم أنه تمككها ولا ورثها ولا ورثت عنه، فلو كان من يقوله لشيعة حقاً لأحدها علي أو أحد من أهل بيته لما ظفروا بها، ولم فلا^(١).

وقال ابن تيمية. قد تولى الخلافة بعد ذي النورين عثمان، وصار ذلك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئاً لأحد من أولاد فاطمة، ولا من زوجات النبي صلى الله عليه وآله، ولا ولد العباس، فلو كان طمناً، وقدر على إزالته بكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه أمتره يقتل معاوية مع ما جري في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلاً من المال، وأمره أهون بكثير^(٢) .

وقال ابن كثير. وقد تكلمت الرافضة في هذا المقام بجهل، وتكلفوا ما لا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله، وأدحوا أنفسهم فيما لا يعيهم^(٣) . فلو تفهموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصدیق فصله. وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة محدولة، وفرقة مردولة، يتمسكون بالتمشاه، ويتركون الأمور النادرة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين ممن بعدهم من العلماء المعترين في سائر الأعصار والأمصار رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين^(٤).

٥ - تسامح السيدة فاطمة عليها السلام مع أبي بكر عليه السلام

وقد ثبت عن فاطمة عليها السلام أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهي

(٢) المساجد (٢/٣١٧)

(٤) المصدر نفسه (٥/٢٥١)

(١) المهمل، لمرطبي (٣/٥٦٤)

(٣) البداية والنهاية (٥/٢٥٣)

راصيه عنه، عني ما روى البيهقي بسنده عن الشعبي أنه قال لما مرضت فاطمة أمها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها، فدخل علي يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك؟، فقلت: أحب أن أذن له؟ قال نعم، فأذنت له، فدخل عليها يترصاها، فقال: والله ما تركت أسرار والدار، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترصاها حتى رضيت^(١)، قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي، ولطاهر أن عمر لشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي^(٢).

وبهذا تندحض مطعن الرافضة عني أبي بكر التي يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلو كان غضبت على أبي بكر في بداية الأمر فقد رضيت عنه بعد ذلك، وماتت وهي رضية عنه، ولا يسع أحد صادق في محبته لها، إلا أن يرصى عمر رضيت عنه^(٣)، ولا يعارض هذا ما ثبت في حديث عائشة: «بما يأكل آل محمد ع^{عليه السلام} من هذا المال، ونبي والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ع^{عليه السلام} عن حالها التي كانت عليها، في عهد رسول الله ع^{عليه السلام}، ولأعمل فيها بما عمل به رسول الله ع^{عليه السلام}، فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فحمرته فلم تكلمه حتى توفيت^(٤)، فإن هذا بحسب علم عائشة ع^{عليها السلام} راوية الحديث، وفي حديث لشعبي ريذة علم، وثبت زيادة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه، فعائشة ع^{عليها السلام} بقت والشعبي أثبت، ومعلوم لدى العلماء أن قول المنسب مقدم على قول أسافي؛ لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم أسافي، خصوصاً في مثل هذه المسألة؛ فإن عبادة أبي بكر لفاطمة ع^{عليها السلام} ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس، ويطلع عليها الجميع، وبما هي من الأمور العادية التي تحفى على من سم شهدها، والتي لا يعيا بسفلها لعدم الحاجة لذكرها. عني أن الذي ذكره العلماء أن فاطمة ع^{عليها السلام} لم تعتمد هجر أبي بكر ع^{عليه السلام} أصلاً، ومثلها ينزه عن ذلك لهي النبي ﷺ عن الهجر فوق

(١) المسند الكبير^٢ للبيهقي (١/٣٠١).

(٢) البداية والنهاية (٥/٢٥٣).

(٣) الانتصار للمصعب وآل^٢ ص (٤٣٤).(٤) البخاري^٢ رقم (٤٧٤).

ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك^(١)، قال القرطبي صاحب «المفهم» في سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم ثم إنها -أي فاطمة- لم تلتق بأبي بكر لشغلها بمصيبتها برسول الله ﷺ وللملازمة بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»^(٢) وهي أعم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله ﷺ، كيف لا يكون كذلك وهي بصعة من رسول الله ﷺ وميدة نساء أهل الجنة؟^(٣).

وقد النووي: وأما ما ذكر من هجران فاطمة أنا بكر ﷺ فمعناه انقباضها عن لقائه، وليس هذا من الهجران المحرم، الذي هو ترك السلام والإعراس عند اللقاء، وقوله في هذا الحديث (فهم تكلمه) يعني في هذا الأمر، أو لانقباضها فلم تطيب منه حاجة ولا اضطرت إلى لقائه فتكلمه، ولم يقتل قط لأنهاما التقى فلم تسلم عليه ولا كلمته^(٤)، لقد نشعلت فاطمة ﷺ عن كل شيء بحربها لفقداء أكرم الخلق، وهي مصيبة تردي بكل امصائب، كما أنها انشغلت بمرصها لدى ألرمها الفراش عن أية مشاركة في أي شأن من الشؤون فصلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغور لكل لحظة من لحظاته - شؤون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب حقوقها بأبيها؛ فقد أحرها رسول الله ﷺ بأنها أول من يبعث به من أمه^(٥)، ومن كان في مثل عدمها لا يحظر سبانه أمور لدين، وما أحسن قول المنهوب الذي نقله يعقوب ولم يرو أحد أنهم التقى وامتنع عن التسليم، وإلى لارمت بينها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران^(٦).

ومما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبي بكر أسماء بنت عميس، هي التي كانت تفرص فاطمة بنت النبي

(١) الانصار بنصيب وآلته من (٤٣٤)

(٢) «البحري» رقم (٧٧ ٦)

(٣) «المفهم» (٧٣/١٢).

(٤) «شرح صحيح مسلم» (٧٣/١٢)

(٥) «مسلم» رقم (٢٤٥٠).

(٦) «البايعين يجب أن تحصى من التاريخ» ص (٨ ١).

عليه السلام في مرض موته، وكانت معها حتى الالامس الأخيرة، وشارك في غسلها وترحيلها إلى مثواها، وكان علي بن أبي طالب يمرضها بمعه ونعنه على ذلك أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وقد وصنها بوصايا في كفنها ودفنها وتشيع جنازتها. فعملت أسماء بها^(١)، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء: يا بني قد استنحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصعها، فقالت أسماء: يا بني رسول الله ﷺ، ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بحمراند رطبة فحبتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، به تعرف المرأة من الرجال^(٢).

وعن ابن عبد البر فاطمة بنت محمد أول من غطي بعشها في الإسلام، ثم رتب بنت حمش، وكان أصدق دائم الاتصال بعلي من ناحية، يسأله عن أحوال بنت النبي ﷺ خلاف ما يرعمه القوم، فمرصت -أي فاطمة بنت محمد- وكان علي يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ ومن ناحية أخرى من رويته أسماء حيث كانت هي المشرفة والمرضة الحقيقية لها، ولما قصت فاطمة من يومها فارتجت المدينة بالنكاه من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قصص فيه رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر يعريان علياً ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسفنا بالصلاة على أمة رسول الله ﷺ^(٣)، وقد توبت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة، عن ذلك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين، قال: سألت فاطمة بين المغرب والعشاء، فحصرها أبو بكر وعمر وعثمان والربيع وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فلما وضعت ليصلي عندها، قال علي: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر: منته. وأنت يا أبا الحسن؟ قال: نعم، هو الله لا يصلي عليها غيرك، فصلى عليها أبو بكر رضي الله عنه ودفنت ليلاً، وحاء في رواية صلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكرر عليها

(١) الشفة وأهل البيت من (٧٧).

(٢) الشفة وأهل البيت من (٧٧)، كتاب سليم بن قيس من (٢٥٥).

أربعاً^(١)، وفي رواية مسلم: صلى عليها علي بن أبي طالب وهي الرواية
الراجعة^(٢).

ولقد أحاد وأعاد محمد إقبال في قصيدته لعصماء (ودعة الزهراء) فقال

نسبُ المسيح بنى لريم سيرة
بقيت على طول المدى ذكرها
والمجد يشرف من ثلاث مطالع
في مهد فاطمة فما أعلاها
هي بنت من هي زوج من هي أم من
من ذا يداني في الفخار أباه
هي ومضة من نور عين المصطفى
هادي الشفوب إذا تروم هداها
من ألقظ الفطر التمام بروحه
وكأنه بعد البلى أحياها
وأعاد تاريخ الحياة جديدة
مثل العرائس في جديد خلاها
هي أسوة للأمهات وقُدوة
ينرسم القسمر الميمر خطاها
جعلت من الصبر الجميل غذاءها
ورأت رضى الرّوج الكريم رضاها

(١) المختصر من كتاب الرواضة ص (٦٨) في سنة محمد

(٢) نسخة رقم (١٧٥٩)

إلى أن قال:

لَوْلَا وَقُوفِي عِنْدَ شَرِّعِ الْمُصْطَفَى
وَحُدُودِ شَرْعِنِي وَنَحْنُ فِدَاها
لَمَصِيتُ لِلنُّظْرَانِ حَوْلَ صَرِيحِها
وَعَمَرْتُ بِالْقُبُلَاتِ طَيْبَ ثَرَاها^(١)

**سادس: مصاهرات بين الصديق وأهل البيت وتسمية أهل البيت بعض
أبنائهم باسم أبي بكر:**

كانت صلة ميلاد أبي بكر الصديق حليفة رسول الله ﷺ بأعضاء أهل
بيت، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، كانت هذه المودة والثقة متبادلة، وكانت
من المثانة بحيث لا يتصور معها التنازع والاختلاف مهما سح المتأمررون الأساطير
والأباطيل، فالصديقة عائشة بنت الصديق بنت أبي بكر رضي الله عنه كانت زوجة النبي
ﷺ، ومن أحب الناس إليه، مهما احترق الحساد وبقم المحالفون، فربها حقيقة
ثابتة، وهي طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما ححدها المبطلون وأنكرها المكرون،
ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر من أبي طالب شقيق علي، فمات
عنها وتزوجها لصديق وولدت له ولداً سماه محمداً الذي ولاء علي مصر، ولما
مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له ولداً سماه يحيى^(٢). وحفيدة
لصديق كانت متروجة من محمد الباقر الإمام الخامس عند الروافض وحفيد
علي رضي الله عنه - وقد نقل الأستاذ إحسان إلهي ظهير من كتب الروافض ما يثبت
التلاحم والمصاهرة بين بيت النبوة وبيت الصديق، فقد أثبت بأن قاسم بن محمد بن
أبي بكر حميد أبي بكر، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حميد علي كانا
أبي حالة، فأم قاسم بن محمد وعلي بن الحسين هما ستي يردحرد من شهر يار بن

(١) الخوارج للسيرة الشريفة ص (٦٢ ، ٦٣)

(٢) حفاة علي بن بكر طالباء والفرتب وتهلب كتاب الودة والهداة للسلمي ص (٢٢)

كسرى اللتين كانتا من مسايا القرم في عهد عمر بن الخطاب، وتوسع إحسان إلهي ظهير في إثبات المصاهرات وعلاقات لمودة والتراحم والاحترام المتبادل بين أهل البيت والصديق^(١)، وكان من حب أهل البيت للصديق والتوادم ما بينهم أنهم سموا أبنائهم بأسماء أبي بكر بن علي بن أبي طالب حيث سمي أحد أبنائه بأبي بكر، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام وتقدير علي للصديق بن علي، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة. بل وبعد وفاته كما هو معروف بداهة، وهل يوجد في الشيعة اليوم المترعمين حب علي وأولاده رجل يسمى بهذا الاسم، وهل هم موانئون له أم مخاضون؟ وعلي حتى لم يسم بهذا الاسم به إلا متميماً بالصديق وإظهاراً له المحبة والوفاء، وحتى بعد وفاته وإلا فلا يوجد في سي هاشم رجل قبل علي سمي اسمه بهذا الاسم، ثم لم يقتصر علي بهذا التيميم والتبرك وإظهار المحبة والصدقة للصديق. بل بعده بنوه أيضاً مشوا مشيه وبهجواً منهجه، فالخس والحسين، سيما كل واحد منهما أحد أولادهما بأبي بكر، فقد ذكر ذلك اليعقوبي والمسعودي وهما من مؤرخي الروافض^(٢).

واستمر أهل البيت يسمون من أسماء أولادهم بأبي بكر. فقد سمي ابن أخ علي بن أبي طالب بن علي - وهو عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب فإنه سمي - أحد أبنائه باسم أبي بكر، وهذا من إحدى علائم الحب والنود بين القوم. خلاف ما يرضيه الروافض اليوم من العداوة والعصاة والفتال الشديد والجذل الدائم بينهم^(٣) وقد كان جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين الذي يلقب بالصادق عند الشيعة الروافض يقول: ولدي أبو بكر مرتين^(٤)، فأمة أم مروة بنت ثقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، والفاطم بن محمد بن أبي بكر، كان أحد فقهاء المدينة السبعة تربى في حجر أم المؤمنين عائشة، وأما أمها فهي أسماء بنت

(١) «الشيعة وأهل البيت» ص (٧٨ إلى ٨٣)

(٢) «تاريخ يعقوبي» (٢/ ٢٢٨)، و«الشيعة والأشرف» ص (٨٢)

(٣) «شيعة وأهل البيت» ص (٨٣) و«الفرق» ص (٨٣) من تراث أهل البيت والاصحاح. «أسد علاء الدين الشيرازي» ص (٢٨ - ١٤)

(٤) «تاريخ يعقوبي» ص (٢٨ - ١٤) و«الفرق» ص (٨٣) و«الشيعة والأشرف» ص (٨٢)

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٥٤)

عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق وكان جعفر يغصب من الرافضة ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لحده أبي بكر، فكيف يرضى من يدعي محبة جعفر وآل البيت أن يلعن جد جعفر؟.

وعن عروة بن عبدالله قال سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف؟ فقال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه، قال: قنت وتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة، ثم قال: نعم لصديق، نعم الصديق، نعم الصديق، من لم يقل له الصديق، فلا صدق لله له قولاً في الدنيا والآخرة^(١).

سابعاً: علي رضي الله عنه في وفاة الصديق:

كان علي رضي الله عنه من ضمن من استشارهم الصديق فيمن يتولى الخلافة بعده، وكان رأي علي أن يتولى خلافة بعد الصديق الفاروق^(٢)، ولما حان الرحيل وبرز الموت بأبي بكر، كان آخر ما تكلم به الصديق في هذه الليلة قول الله تعالى ﴿تَوَفَّيْ مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١). وارتجت المدينة لوفاة أبي بكر الصديق، ولم تر أسية من وفاة لرسول ﷺ يوماً، أكثر باكياً وباكية من ذلك المساء الحزين، وأقبل علي بن أبي طالب مسرعاً، باكياً، مسترجعاً، ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلف رسول الله ﷺ وأئيمه ومستراحه وثقتة وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم يقيناً، وأشدهم له يقيناً، وأحوفهم له، وأعظمهم عاء في دين الله عز وجل، وأحوصهم على رسول الله ﷺ، وأحدثهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم متقب، وأنضهم سوبق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسية، وأشبههم برسول الله هدياً وسمّاً، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عددهم، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء.

(١) أصفه الصغيرة (٢/ ١٠٩ - ١١)، ومختصر الآث عشره (ص ٣٤).

(٢) «الكامل» لأبي الأثير (٢/ ٧٩)، والمختصر من كتاب المواقفة للمحضري (ص ٧٠) إلى (١).

صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سمعك الله في تنزيهه صديقاً، فقال: «والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون» (الزمر ٣٣)، واسيته حين يحلوا، وقمت معه على المكاره حين تغدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحة، ثاني اثنين صاحبه في العار، ولحزب عيه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وحيثته في دين الله، وأمنه أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقامت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ، ودعوتهم، وكنت كما قال رسول الله ﷺ: «صديقاً في بدئت، قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله تعالى، جديلاً في أعين الناس، كبيراً في أنفسهم، لم يكن لأحدهم عليك مغمز، ولا لقاتل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هراة، الضعيف عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عر وجل وأتقاهم، شاك الحق وصدق والرفق، قولت حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم. ورأيك علم وعزم، عندك بك الدين، وقوي بك الإيمان، وظهر أمر الله، فسقت - والله - صبغاً بعيداً، وأتعبت من بعدك إنعباً شديداً، وفرت بأخير فوزاً مبيناً، فإن لله وإسا إليه راجعون. رضيينا عن الله عر وجل قصاءه، وسلمنا له أمره، والله من يصاب المسلمون بعد رسول الله بمشك أبداً، كنت للدين عراً، وحرراً، وكهفناً فألحقك الله عر وجل نبيك محمد ﷺ، ولا حرماً أحرث، ولا أصلاً بعدت، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم نكو حتى علت أصواتهم وغاسوا صدقت»، وجاء في رواية: أن علياً قال عندما دخل على أبي بكر بعدما سجد: «ما أحد لله بصحيفته أحب إلي من هذا المسجى» (١)



(١) (النهضة) لأبي الجوري (٤٧٧/١ - ٤٧٩) نقلاً عن: «مصابيح السيرة» (١/ ٨)

(٢) «تاريخ الذهبي»، عهد الخلفاء الراشدين ص (١٢٠)

المبحث الثاني

علي رضي الله عنه في عهد الفاروق

كان علي بن أبي طالب عضواً بارزاً في مجلس شورى الدولة العنصرية، بل كان هو استشار الأول. فقد كان عمر بن الخطاب يعرف لعلي فصله. وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسناً، فقد ثبت قوله فيه أقضانا علي^(١). وقد ابن الحوزي: كان أبو بكر وعمر يشاورانه، وكان عمر يقول: أعوذ بالله من معصلة يبس لها أبو الحسن^(٢)، وقال مسروق: كان الناس يأخذون عن ستة: عمر وعبي وعبد الله وأبي موسى وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وقال: شامت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر عمر وعلي وعبد الله وأبي الدرداء وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ثم شامت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين منهم: إلى علي، وعبد الله^(٣). وقال أيضاً: انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدنية، وعالم بالشام، وعالم بالعراق، فعالم بالمدنية علي بن أبي طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود، وعالم بالشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق، علم بالمدنية ولم يسألهم^(٤)، فكان علي من هؤلاء المقربين، يشد من أزر أخيه. ولا يخل عليه برأيه، ويجهتد معه في إيجاد حلول للقضايا التي لم يرد فيها نص، وفي تنظيم أمور لدولة الفتية. والشواهد على ذلك كثيرة، نذكر منها:

أولاً: ففي الأمور القضائية:

١ - امرأة تعترئها نوبات من الجنون:

عن أبي طيوس الحنفي. أن عمر بن الخطاب أتته امرأة قد رنت، فأمر

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص (١١٠٢)، ومعرفة والتدريج (٤٨١/١)

(٢) فضائل الصحابة رقم (١١٠٠) إسناده ضعيف

(٣) أهل الحديث ومعرفة الرجال، - علي بن أبي طالب ص (٤٢، ٤٣) فضلاً عن «إحالة علي بن أبي طالب» -

عبد الحميد علي ص (٧٠)، والبحار رقم (٤٤٨١)

(٤) المعرفة، التاريخ للمعصومي (٤٤٤/١)

برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقبهم علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ما هذه؟ قالوا: رنت فأمر عمر بـرجمها، وبتزعيها علي من أيديهم وردّهم، فرجعوا إلى عمر، فقال ما ردّكم؟ قالوا: ردّنا علي. قال: ما فعل هذا علي إلا شيء قد علمه، فأرسل إلى علي، فجاء وهو شبه المنصب. فقال: مالك ردّدت هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المُنْتَلَى حتى يعقل؟» قال: بلى. قال علي: فإن هذه مبتلاة بي فلان، فلمعله أتاها وهو بها. فقال عمر: لا أدري. قال: وأنا لا أدري، فلم يـرجمها^(١)، فقد كان عمر لا يعلم بأنها مجنونة.

٢ - مضاعفة الحد لمن شرب الخمر:

أحد عمر برأي علي بن أبي طالب عليه السلام في مضاعفة الحد لمن شرب الخمر؛ وذلك لانتشار شرب الخمر، وخاصة في البلاد المفتوحة، وهي حديثة العهد بالإسلام. فأشار علي على عمر بن الخطاب عليه السلام بأن يعجل فيها ثمانين، كأخف الحدود، وعلل ذلك بقوله: نراه إذا سكر هذي وإذا هذي افتري، وعلى المعتزلي ثمانون^(٢)، وقد ثبت عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: ما كنت أقيم حداً على أحد، فيموت، وأجد في نفسي، إلا صاحب الخمر؛ فإنه لو مات وديته؛ وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسه^(٣)، وأول البيهقي قوله: (لم يسه) زيادة على الأربعين، أو لم يسه بالسياط. وقد سه بالنعل وأطراف الثياب مقدار أربعين، والله أعلم^(٤)، وقد استسقط الفقهاء من أفعال الخلفاء الراشدين مقدار الحد في الخمر، على قول مالك والثوري وأبي حنيفة ومن تبعهم ثمانون؛ لإجماع الصحابة، ومن قال إن الحد أربعون. أبو بكر، والشافعي، وقول لأحمد. ونحمل الرّيادة على ذلك من عمر بن الخطاب عليه السلام، على أنها تعزيز يجوز فعلها إذا رآه الإمام، وهذا هو القول الصحيح للشافعي^(٥).

(١) محمد أحمد الموسوعة الحديثة رقم (١٣٢٨) صحيح لعمر

(٢) P. ٢٠، النعل: ثلاثي (٤٦/٨ - ٤٧) ودار الآسامي إسلامه ص ٥٠ وحقن قد لاثر عبد الحميد علي في

رسائله خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام ص ٣

(٣) فتح الباري (٦٦/١٦) - (٤) إسن الكبرى (٣١٦/٨) - (٥) مني (٧/٨) (٣)

وهذا الرأي مال إليه ابن تيمية أيضاً وقال: "فأما مع قلعة لشاربين وقرب أمر الشارب، فتكفي الأربعون^(١)."

٣- لا سلطان لك على ما في بطنها:

أتى عمر بن الخطاب بامرأة حامل، فسألها عمر فاعترفت بالمحور، فأمر بها عمر بن الخطاب بترجم، فبقىها علي فقال: ما نال هذه؟ فقالوا: أمر بها أمير المؤمنين أن يترجم، فردها علي فقال: أأمرت بها أن ترجم؟ قال: نعم، اعترفت عدي بالمحور. قال: هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها؟ قال علي: فلعلك انتهرتها^(٢)، أو أحفنتها؟ قال: قد كان ذلك، قال: أو ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا حد على معترف بعد بلاء، أنه من قيدت أو حبست أو تهددت فلا إقرار لها"، فخلى عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر^(٣)، وقد علق ابن تيمية على هذه القصة فقال: إن هذه القصة إن كانت صحيحة، فلا تخلو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل، فأجبره علي بحملها، ولا ريب أن الأصل عدم العلم، والإمام إذا لم يعلم أن المستحقة للقتل أو الرجم حامل، فعرفه بعض الناس بحالها، كان هذا من جملة إخباره بأحوال الناس. - إلى أن قال عن عمر: يعطي الحقوق، ويقيم الحدود، ويحكم بين الناس كلهم، وفي زمنه انتشر الإسلام وظهر ظهوراً لم يكن قبله مثله، وهو دائماً بمصي ويقتي ولولا كثرة علمه لم يطق ذلك، فإذا خفيت عليه قصة من مائة ألف قصة ثم عرفها أو كان سببها فذكرها فأبى عيب في ذلك؟!^(٤). وكان رده هنا في سياق رده على الروافض.

٤ - ردوا الجهالات إلى السنة:

أتى عمر امرأة أنكحت في عدتها، ففرق بينهما، وحل صداقها في بيت

(١) الفريدي (٢٨/٢٣٦/٢٣٧)، ومهاج السنة (١/٨٣)، وإخلاصه عني بن أبي طالب، لمد الحسد من (٧٣)

(٢) قنهرتها وجرنها

(٣) ابن سعيد بن منصور (٢/٦٩)، وفي (٨٣-٨٢)، والمختصر من كتاب الموافقة من (١٣١).

(٤) مهاج السنة (١/٤٢)

مالك. وقال لا أجير مهرًا أردت كاحه، وقال لا تجتمعان أبدًا، فبلغ ذلك عليًا فقال وإن كانوا جهلوا السنة له المهر بما استحل من فرجها، ويفرق بينهما، فإذا انقضت عدتها فهو حاطب من الخطباء، فعطب عمر الناس فقال. ردوا الجهالات إلى السنة، ورجع عمر إلى قول علي^(١).

٥- هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي :

قال جعفر بن محمد: أتى عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهود، فلما لم يساعد، حذلت عليه، فأخذت بيضة، وألقت صغارها، وصبت البياض على ثوبه وبين فخذيهما، ثم جاءت إلى عمر صارحة، فقالت هذا الرجل غلبني على نفسي وفصحني في أهلي، وهذا أثر فعالة، فسأل عمر النساء، فسنن أنه إن سدها وثوبها أثر المني، فهم يعقوبة الشاب، محمل يستغيث ويقول يا أمير المؤمنين تثبت بي أمري، فوالله ما أثرت فاحشة، وما هممت بها، فقد راودتني عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟ فطر علي إلى ما على الثوب، ثم دعا مائة حار شديد الغليان، فصب على الثوب، فجمد ذلك البياض ثم أحذه واشتمه، وذاقه، فعرف طعم لبص. وزجر المرأة فاعترفت^(٢)، ونستخلص من هذه الواقعة بعض الدروس

(أ) أن وسائل الإثبات كانت مرة في انقضاء لإسلامي تشمل الإقرار والشهادة واليمين والنكول. وتوسع لتشمل الامارات ولقرامة.

(ب) اهتمام عمر بمشورة كبار الصحابة في البول وعلى الخصوص عبي بن جراح الذي كانت منزلته عنده متميزة^(٣).

ثانيا: علي رضي الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية:

١- في الأمور المالية :

(أ) نفقات الخليفة :

لما ولي عمر بن الخطاب عليه السلام أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زمناً، لا يأكل

(١) المعنى والشرح الكبير (١١/٦٦-٦٧) (٢) الطرق للحكمة لابن القيم (٤٨) رواية ضعيفة

(٣) الاجتهاد في الفقه الإسلامي، لعبد السلام السليماني ص (١٤٥)

من بيت المال شيئاً حتى دخلت عليه في ذلك حصاصة. ولم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته؛ لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فاستشارهم في ذلك فقال: قد شعلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. وقال عمر لعلي: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بين عمر حقه من بيت المال فقال: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف^(١).

(ب) رأي علي في أرض السواد بالعراق:

لما فتحت أرض السواد بالعراق عنوة، أشار عدد من الصحابة ﷺ على عمر بتقسيمها بين الفاتحين. ولكن لسعة الأرض وجودتها، ونظرة عمر البعيدة لمن سيأتي بعد ذلك، لم يضمن عمر لتقسيمها، واستشار علي في ذلك، فكان رأيه موافقاً لرأي الخليفة عمر ألا تقسم، فأخذ برأيه وقال: لولا آخر المسلمين، ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبي ﷺ خيبر^(٢).

(ج) لا جرم لتقسيمه:

أثني عمر بمال قسمه بين المسلمين، وفضلت منه فصلة، فاستشار فيها الصحابة، فقالوا له: لو تركته لثابتة إن كانت، وفي القوم علي ساكت، فأراد عمر أن يسمع رأي علي في ذلك، فذكره علي بحديث مال البحرين حين جاء إلى نبي ﷺ، وأنه قسمه كله فقال عمر لعلي: لا جرم لتقسيمه، فقسمه علي^(٣)، ويبدو أن هذا كان قبل تقسيم الدواوين^(٤).

٢ - علي رضي الله عنه والأمور الإدارية:

عندما احتج عمر ﷺ أن يصح تاريخاً رسمياً ثابت لتسظيم أمور الدولة

(١) "إخلاصة القرائن" سنة صحيح د. يحيى ص (٢٧)

(٢) "الأموال"، للناظم بن سلام ص (٥٧)، "إخلاصة القرائن" ص (٧٥)، لعبد الحميد علي ص (٧٥)

(٣) "سنة حسنة" (٩١/١)، سنة صحيح د. لطف الله

(٤) "إخلاصة القرائن" ص (٧٥)، لعبد الحميد علي ص (٧٥)

وضبطها، جمع لناس، وسألهم من أي يوم نكتب التاريخ؟ فقال علي عليه السلام من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك، فعلمه عمر^(١)، وقد كان عمر عليه السلام يراه من أمصل من يقود الدس، فقد ورد عنه أنه كان يسألي رجلاً من الأنصار فقال من تحدثون أنه يستخلف من بعدي؟ فعد الأنصاري المهاجرين ولم يذكر علياً، فقال عمر: فأين أنتم من علي؟ فوالله لو استخلفتموه، لأقامكم على الحق وإن كرهتموه^(٢)، وقال لاسه عبد الله ابن عمر عليه السلام بعد أن طعن إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق^(٣).

٣- استخلف عمر علياً على المدينة مراراً:

(أ) استخلفه حين خرج عمر إلى ماء صراء فحضر فيه، وكان الروم قد حشدوا للمسلمين، فجمع عمر الناس فاستشارهم فكلهم أشار عليه بالمسير^(٤).

(ب) استخلفه عند نزول عمر بالحامية وذلك حين نزل عمرو بن العاص بأحاديث، فكتب إليه أوطيبون الروم: والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد اجنادين، فارجم لا تُعمر، وإنما صاحب الفتح رحل اسمه على ثلاثة أحرف، فعلم عمرو أنه عمر، فكتب يعلمه أن الفتح مدحرج له، فنادى له الناس: واستخلف علي بن أبي طالب^(٥).

(ج) استخلف علي حين حج عمر بأرواح النبي ﷺ، وهي أحر حجة حجها بالناس، كانت سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وكان مع أمهات المؤمنين أولياؤهن من لا يحتجبن منه، وحلف علي المدينة علي بن أبي طالب^(٦).

(١) التاريخ الكبير للذهبي (٩/١)

(٢) خلافة علي بن أبي طالب، لعبد الحميد علي (٧٦) قبل - من الرواية مرسله

(٣) بقية الباحث من دوايد مستند الحارث تحقيق: حسن أحمد (٧٤١/٣) صحيح الإسناد: وخلافة علي

ابن أبي طالب (٧٦)

(٤، ٥) المنتظم (٢/٤٢٣)

(٦) التلخيص (٤/٣٢٧)، ومنتج (٨٧/٤)

ثالثاً: استشارة عمر لعلي رضي الله عنه في أمور الجهاد وشؤون الدولة:

كان علي رضي الله عنه المستشار الأول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يستشير في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت لدائن، وعندما أُرِدَ عمر التوجه إلى مهاوند وقتل الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي موضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور^(١)، وكان علي رضي الله عنه طيبة حية عمر مستشاراً باصلاً لعمر محباً له خائفاً عليه، وكان عمر يحب علياً وكانت بينهم مودة ومحبة وثقة متبادلة. ومع ذلك يأسى أعداء الإسلام إلا أن يزوروا الشريخ، ويقصصوا بعض الروايات التي تناسب أمرحتهم ومشاربهم، ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يترخص بالآخر، لدوائره، لينقص عيه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكوايس^(٢)، إن من أمر ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر تلك الخصوصية في العلاقة وذلك التعاون المتميز الصافي بين عمر وعلي رضي الله عنه، فقد كان علي هو المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح علي رضي الله عنه على عمر رأياً إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة، وكان علي رضي الله عنه يمنحه الصبح في كل شؤون وأحواله^(٣).

فمثلاً عندما تجمع الفرس مهاوند في جمع عظيم لحرب المسلمين، جمع عمر رضي الله عنه ناس واستشارهم في السير إليهم بنفسه، فأشار عليه عمة ناس بذلك، فقام إليه علي رضي الله عنه فقال: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم؟ سارت الروم إلى درابهم، وإنك إن شخصت أهل اليمن من يمنهم. سارت الحبشة إلى درابهم. وإنك إن أشخصت من هذه الأرض انتقصت عيتك العرب من أطرفها وأقطرها حتى يكون ما ندع وراءك أهم إليك مما بين يديك من نعورات ولعيات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل

(١) علي بن أبي طالب مستشار أمير المؤمنين الراشدين، ص (٩٩)

(٢) المصدر نفسه ص (١٣٨)

(٣) حقه السيرة النبوية، دبروطي ص (٥٢٩)

لهبصرة، فليفرقوا ثلاث فرق. فرقة في حرمهم ودراريهم، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا يتفصوا، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة. مدداً لهم من الأعاجم إن يظروا إليك غداً قالوا هذا أمير العرب وأصلها. فكان ذلك أشد بكتلهم عليك، وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لسييرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره. وأما عددهم فإنا لم نكن نفاتس فيما مضى بكثرة ولكن بالنصر فقل عمر: هذا هو الرأي كنت أحب أن أتابع عليه^(١).

كانت نصيحة علي نصيحة المحب لعمر، الغيور عليه والصين، ألا يذهب، وإن يدير رحي الحرب بمن دونه من العرب وهو في مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسوف يشأ وراءه من لشغرات ما هو أخطر من العدو الذي سيواجه، أرأيت لو أن رسول الله ﷺ أعس أن الخلافة من بعده لعلي، أفكان لعلي أن يرجع عن أمر رسول الله ﷺ هذا. وأن يؤيد المستليين لحقه بل لواجبه في الخلافة بمثل هذا التعاون المحلص للنساء بل أفكان لصحابة رضي الله عنهم أن يضيعوا أمر رسول الله ﷺ؟ بل أفكان من المتصور أن يجمعوا وفي مقدمتهم علي عليه السلام على ذلك؟ توسعت أن أعلم إحد بكل بداهة، أن المسلمين إلى هذا العهد - نهاية عهد عمر - بل إلى نهاية عهد علي كانوا جماعة واحدة، ولم يكن في ذهن أي من المسلمين أي إشكال بشأن الخلافة أو شأن من هو أحق بها^(٢).

إن كثرة مشاورة عمر لعلي عليه السلام، وغيره من الصحابة، لا يعني هذا أنه دونهم في الفقه والعلم، فقد يست لأحد في الصحبة التي تدل على علو علمه، واكتمال دينه وكن إيمانه ووجهه لنشوري، وتعويده للحكام فيما بعد عن المشاورة، وعدم الاستدلال بالأمر والرأي. والأول ما عيياً رضي الله عنه كان كثيراً ما يرجع عن رأيه إلى رأي عمر^(٣)، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها في معرض حديثها عن عمر

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٨)، وجمع مؤلف الصحابة (٩١/ ٢).

(٢) هذه السيرة للبطوني ص (٢٩٥).

(٣) خلافة علي بن أبي طالب، لعبد الحميد ص (٧٧).

قولها وقد كن علي بن أبي طالب يتابع عمر بن الخطاب، فيما يذهب إليه ويراه، مع كثرة استشارته عليه، حتى قال علي بن أبي طالب: يشاورني عمر في كذا، فرأيت كذا، ورأى هو كذا، فلم أر إلا متابعة عمر^(١).

رابعاً: علي بن أبي طالب وأولاده وعلاقتهم بعمر بن أبي طالب:

كن عمر بن أبي طالب شديد الإكرام لأن رسول الله ﷺ ويشارهم على أسائه وأسرته، نذكر من ذلك بعض المواقف:

١ - أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر: جاء فيما رواه الحسين بن علي بن أبي طالب: أن عمر قال لي ذات يوم: أي بني لو جعلت ثأبياً وتعشداً؟ فجئت يوماً وهو حال بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلفيتي بعد، فقال يا بني لم أركأ أيننا؟ قلت: حثت وأنت حال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر - إنما أتيت في رؤوس ما ترى: الله، ثم أئتم، ووضع يده على رأسه^(٢).

٢ - والله ما هنا لي ما كسوتكم: روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الناقري عن أبيه علي بن الحسين، قال: قدم على عمر حبل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الخلل، وهو بين القفر والمنز جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة بن علي يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الخلل شيء، وعمر قاطب بين عبيه. ثم قال: والله ما هنا لي ما كسوتكم. قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعبتك فأحسنت، قال: من أحل لعلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كسرت عهداً وصغر عهداً، ثم كتب إلى والي اليمن أن يبعث بحلتين لحسن وحسين، وعجل، فبعث إليهما بحلتين فكساهما^(٣).

(١) الإمامة والرد على الرافضة، للأصبهاني ص (٢٩٥)

(٢) المرتضى ص (١١٨)، وحسن العمل ص (٧٧) - (١) - والإصابة ص (١٣٣/١)

(٣) المرتضى ص (١١٨) - والإصابة ص (١١٨/١) - (١)

٣ - تقديم بني هاشم في العطاء: عن أبي جعفر أنه لما أراد أن يمرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناساً من أصحاب النبي ﷺ، فقال عبد الرحمن بن عوف عليه السلام: اندأ بنفسك، فقال: لا، والله بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بني هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والى بين حمص قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب، فكتب من شهد بدرًا من بني هاشم، ثم شهد بدرًا من بني أمية ابن عبد شمس، ثم لأقرب فالأقرب، فمرض لأعطيات لهم وفرض للحسن والحسين لكانهما من رسول الله (١)

٤ - كساني هذا الثوب أخي وخليلي: خرج علي وعليه برد عديني فقال كساني هذا الثوب أخي وخليلي وصفني وصديقي أمير المؤمنين عمر (٢)، وفي رواية عن أبي السفر قال: رأيته على علي بن أبي طالب عليه السلام برد كان يكثر لسه قال: فقيل يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد! فقال: نعم، إن هذا كسانيه خليلي وصفني عمر بن الخطاب عليه السلام نصح الله فصحه، ثم بكى (٣).

٥ - إقطاع يني: أقطع عمر بن الخطاب عيالاً يبيع، ثم اشترى علي إلى قطعة عمر أشياء، فحفر فيها عيالاً، فبينما هم يعملون فيها، إذ تفجر عليهم مثل علق الجزور من الماء، فأتى علي وبشر، فتصدق بها على الفقراء والمساكين، وفي سبيل الله ليوم تبيض وجوه وتسود وجوه؛ ليصرف الله تعالى بها وجهه عن النار، ويصرف النار عن وجهه، وكتب في صدقته: هذا ما أمر به علي بن أبي طالب وقضى بي ماله، إني تصدقت ببيع، ووادي القرى، ولأذنية، وروعة في سبيل الله ووجهه، أبشغي مرصاة الله، ينفق منها في كل مئة في سبيل الله ووجهه، وفي حرب وسم والحرد ودوي الرحمة تقريب واسعيد لا يبيع ولا يوهب ولا يورث شيئاً أنا أو ميت، أبشغي بذلك وجه الله والدار الآخرة ولا

(١) الخراج لأبي يوسف ص (٢٤، ٢٥) والمرقعة ص (١٨)

(٢) المختصر من كتب الواقعة ص (١٤)

(٣) المصنف لأبي أبي شعبة (٢٩/١٢) رقم (١٠٤٧) نقلاً عن «الشريعة للأخري (٢٣٢٧/٥) وإسناده حسن

أبتغي، لا لله عز وجل، فإنه يقبلها وهو يرثها وهو خير الوارثين، وذلك الذي قصيت فيها بيني وبين الله عز وجل^(١).

٦ - لتقولن يا أبا الحسن:

اجتمع عدد عمر جماعه من قريش فيهم علي فتذكروا الشرف، وعلي ساكت فقال عمر مالت يا أبا الحسن ساكتاً؟ فكان علي كره الكلام، فقال عمر: لتقولن يا أبا الحسن، فقال علي:

لِي كُلُّ مَعْتَرِكٍ تُزِيلُ سُؤْفَانَا

فِيهَا الْجَمَاجِمُ عَنْ لِرَاخِ الْهَامِ^(٢)

اللَّهُ أَكْرَمُ مَا بَنَصْرُ بَيْتِهِ

وَبِنَا أَعَزُّ شَرَانِعِ الْإِسْلَامِ

وَيُزَوِّرُنَا جَهَنَّمُ فِي أُمَمَاتِنَا

بِفَرَائِضِ الْإِسْلَامِ وَالْأَحْكَامِ^(٣)

٧ - حوار بين أمير المؤمنين عمر وعلي حول الرؤيا:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أعجب من رؤيا الرجل أنه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على بال، فتكون رؤياه كأخذ بيد، ويرى أرحم الشيء، فلا تكون رؤياه شيئاً، فقال علي بن أبي طالب: أملاً أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين^(٤)، إن الله يقول: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَهْلِ مُسَمًّى إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعر ٤٢)

(١) النجاشي، (١/ ١٨)، ومختص عبد الرزاق، (١٠٠/ ١-٣٧٥)، وفتحه الإمام علي، عليه السلام، لفتح علي ص (٦٢٦).

(٢) راجع الهام: فرائح الراس على النسيب.

(٣) المختصر من كتاب الموافقة، ص (١٣٨).

(٤) المناوي، (٥/ ٢٧، ٢٧١).

خامساً: زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب:

روح علي بن أبي طالب عليه السلام انتبه من فاطمة بنت لبيد عليه السلام من العروق حينما سأله رواجها منه عليه السلام عما يطلب، وثقة فيه وإقراراً لمصه ومواقفه، واعترافاً بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهاراً بأن بينهم من العلاقات الوثيقة الطيبة ونصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المحيلة، ويرغم أنوفهم^(١)، فقد كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكتفها لغيرهم، لقرانهم من رسول الله ﷺ، ولما أوصى به رسول الله ﷺ من إكرام أهل البيت، ورعاية حقوقهم، فمن هذا الساعث خطب عمر أم كلثوم ابنة علي وفاطمة رضوان الله عليهم، ويودد إليه في ذلك قتلاً فوالله ما على الأرض رجل يرصد من حصى صحبتها ما أرصد، فقال علي قد فعلت، فأقبل عمر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلاً: وفئوني... ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي ﷺ: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سبي ونسبي»، فأحس أن يكون بني وبين رسول الله ﷺ سبباً^(٢)، ولقد أقر بهذا ازواج كافة أهل التاريخ والأنساب، وجميع محدثي الشيعة، وفقائهم، ومكابرهم، ومجادليهم، وأئمتهم المعصومين حسب رعمهم، ولقد أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير روايت مخصوص ذلك في كتابه «الشريعة والسنة»^(٣)، ولقد ذكر هذا الرواج علماء أهل السنة في التاريخ وأجمعت مصادرهم عليه، ومن العلماء الذين ذكروا هذا الرواج الطبري^(٤)، وابن كثير^(٥)، والذهبي^(٦)، وابن الخوري^(٧)، والسيد كركري^(٨)، وقد ذكر هذا^(٩) الرواج كتب التراجم؛ كاس

(١) طائفة وأهل البيت من (١٠٥)

(٢) إسناده حسن، أخرجه الحاكم في المستدرک (١٤٢/٣) صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي متعباً منقطع، وأورده الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٧٣/٩)، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإختصار، ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة، وهذا من صفة

(٣) «الشريعة وأهل البيت» (١٠٥) (٤) تاريخ الطبري، (٢٨/٥)

(٥) «تأريخ النبوة» (٢٦/٥) (٦) «تاريخ الإسلام» عهد الخلفاء الراشدين من (١٦٦)

(٧) «الأنظمة» (١٣٦/٤) (٨) «تاريخ الخميس» نقلاً عن: «زواج عمر من أم كلثوم» لأبي محمد من (١٩)

(٩) «الإصابة» لابن حجر من (١٧٦) كتاب التكني وكتاب النبوة

حجر^(١) ، وابن سعد^(٢) ، وحمد الغانة^(٣) ، وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإسماعيلي في كتابه "رواح عمر ابن الخطاب من أم كلثوم بنت عمي بن أبي طالب رضي الله عنه" حقيقة وليس افتراء بتسع مراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الرواح ، ورد على لشبهات التي آصفت بهذا الرواح الميمون ، وقد ذكرت شيئاً من سيرتها ومواقفها في حياتها في عهد الساروق في كتابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، شخصيته وعصره) .

هذا وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر بنت أبي سميث رقية وولد سمته ريذاً ، وقد روي أن زيد بن عمر حضر مشاحرة في قوم من بني عدي اس كعب ليلاً ، فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته صربة شحت رأسه ومات من فورده ، وحررت أمه لقتله ووقعت معشياً عليها ، من الحزن فماتت من ساعتها ، ودفنت أم كلثوم وابنها زيد ابن عمر في وقت واحد ، وصلى عليهم عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، قدمه الحسن ابن علي بن أبي طالب وصلى خلفه^(٤) .

سادساً: يا بنت رسول الله، ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك:

عن أسلم العدوي قال لما بويغ لابي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم كن علي والريبر ابن العوام يدحلان على فاضمة فيشورانها ، فلغ عمر ، فدخل على فاطمة فذكر . يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك ، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك ، وكلمها ، فدخل علي والريبر علي فاطمة فقالت : انصرفا راشدين ، فما رجعا إليها حتى بايعا^(٥) ، وهذا هو الثالث الصحيح والذي مع صحة سننه ينسجم مع روح ذلك الجبل وتركبة الله له . وقد راد الروافض في هذه الرواية واحتلقوا إفكاً وبهتاناً وزوراً ، وقالوا بأن عمر قال إذا اجتمع عندك هؤلاء الففر فساخرق عليهم هذا البيت : لأنهم أرادوا شق عصي المسلمين

(١) الإصابة^١ لابن حجر من (٢٧٦) كتاب الفكي وكتاب النساء . (٢) حمد الغانة^٢ (١٢٥/٧)

(٣) حمد الغانة^٣ (١٢٥/٧) ونساء أهل البيت^٤ تصوره عبدالحكيم من (١٨٥ - ١٨٦)

(٤) سيرة ابن أبي شيبة^٥ (١٤/٥٦٧) وإسناده صحيح .

سأحرهم عن البيعة، ثم خرج عنها. فبم يثبت أن عادوا إليها، فقالت لهم تعلمون أن عمر حامي وحلف بالله لئن أستم عدتم إلى هذا البيت ليحرقه عليكم. وإيم الله إنه ليصدقن فيما حلف عليه، فأنصرفوا عني فلا ترجعوا إلي، ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا^(١). وهذه القصة لم تثبت عن عمر رضي الله عنه. ودعوى أن عمر رضي الله عنه هم بإحراق بيت فاطمة، من أكاذيب الرافضة. أعداء صحابة رسول الله ﷺ، وقد أوردوا مع أكاذيب أخرى الطبري الطبرسي في كتابه «دلائل الإمامة»^(٢)، عن جابر الخعفي، وهو رافضي كذاب باتفاق أئمة الحديث كما في «الميران»^(٣) للذهبي و«تهذيب التهذيب»^(٤)، وزعم بعض الرافض أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسنًا وهو في بطنها، وهذه من الأكاذيب الرافضية التي لا أساس لها من الصحة. وما علموا أنهم يطعمون في علي رضي الله عنه وذلك بتهامه بالجن والسكوت عن عمر، وهو من أشجع أصحاب النبي ﷺ^(٥)، بل إن بعض كتب الرافض أنكر صحة هذا الهديان والرواية^(٦). عما بأن محسن ولد في حياة النبي كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة.

سابعاً: الخلاف بين العباس وعلي وحكم عمر رضي الله عنه بينهما :

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار^(٧)، إذا رسول عمر ابن الخطاب يأتيني، فقال: أحب أمير المؤمنين، فتطلعت معه حتى أدخل على عمر، فإذا هو جالس على رمال^(٨) سرير ليس بينه وبينه فراش. منكئ على وماده من آدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مال إنه قدم عينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برصح، فاقصه فاقصه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيري. قال: اقصه أيها المرء، فيسما أنا جالس عنده أتاه

(١) «عقائد الثلاثة والسبعين فرقة» لأبي محمد الهادي (١/ ١٤٠)

(٢) «دلائل الإمامة» ص (٢٦) نقلاً عن «عقائد الثلاثة والسبعين» (١/ ١٤٠)

(٣) «تهذيب التهذيب» (٢/ ٤٧)

(٤) «دلائل الإمامة» (١/ ٢٧٩)

(٥) «مختصر النسخة الانشا عشرية» ص (٢٥٢)

(٦) «حقيقة من التاريخ» ص (٢٢٤)

(٨) المراد أنه كان السرير قد سيج وجهه بالسج

(٧) متع النهار: ارتفع قبل الزوال.

حاجبه يرفأ، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص، يستأذنونا؟ قال: نعم، فأذن لهم فدخلوا وسلموا وحلوا ثم جلس يرفأ يسيراً، ثم قال: هل لك لي علي، وعباس؟ قال: نعم، فأذن لهما، فدخلوا فجلسا، فقال عباس: يا أمير المؤمنين، قص بي بين هذين وهما يحتصمان فيما أماء الله على رسول الله ﷺ من مال بني النضير، فقال الرهط: عثمان وأصحابه: يا أمير المؤمنين قص بينهما وأرج أحدهما من الآخر. قال عمر: تيدكم^(١)، أنشدكم الله الذي يردنه تقوم السماء ولأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي، وعباس، فقال: أنشدكما الله أن تعلمن أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ دلا. قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا لأمر، إن الله قد خص رسول الله ﷺ في هذا الشيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، ثم قرأ: «وَمَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُم مَّا أُوحِشْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (عن ٦). فكانت هذه خلاصة لرسول الله ﷺ ووالله ما احتارها دونكم. ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموه، وشيأ فيكم، حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ يفتق على أهله نفقة يستهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مخفول مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكم الله، هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم. ثم قال لعلي وعباس: أنشدكما الله هل تعلمان ذلك؟ قال عمر: ثم توفي الله نبيه ﷺ، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، والله يعصم إيه فيها لصديق بار راشد تابع للحق، ثم توفي الله أنا بكر، فكانت أنا ولي أبي بكر ففضضتها ستين من إمري. أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم أبي فيها لصديق بار راشد تابع للحق، ثم جتسماني تكلماني، وكلمتكما واحدة، وأمركم واحد، جتسي يا عباس، تساني نصيبك

(١) التيد: الرفق، يقال: تيدك هذا، أي أئد.

من ابن أخيك، وجاءني هنا -ريد علياً- يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما، قلت: إن شئتما دفعتهما إليكما. على أن عليكما عهد الله وميثاقه لئعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، وما عمل أبوبكر، وما عملت فيها مد ولينها، فقلتما: ادفعها إلينا، فذلك دفعتهما إليكما، فأشدكم الله هل دفعتهما إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على عليٍّ وعباس فقال: أنشدكم الله هل دفعتهما إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فلتمسك مني قضاء غير ذلك، هو الله الذي يادبه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعاهما إلي، فإني أكفكماهما هما^(١).

ثامناً: ترشيح عمر علياً للخلافة مع أهل الشورى وما قاله علي في عمر بعد استشهاده:

١ - ترشيح علي مع أهل الشورى: لما طعن عمر رضي الله عنه وظن أنه سيفارق الحياة، وأخذ المسلمون يدخلون عليه، ويقولون له: أوصل يا أمير المؤمنين، استحلف، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ فسمى علياً، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعداً، وعبد الرحمن^(٢)، ثم دعا خاصتهم وهم عبد الرحمن، وعثمان، وعلي فوعظهم^(٣)، إن عمر رضي الله عنه إمام وعليه أن يستحلف الأصالح للمسلمين، فاجتهد في ذلك ورأى أن الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ أحق من غيرهم، وهو كما رأى؟ فبزه لم يكن أحد غيرهم أحق منهم، وجعل التعيين إليهم؟ حقوقاً من أن يعين واحداً منهم، ويكون غيره أصالح لهم، فإنه ظهر له رجحان لستة دون رجحان التعيين، وقال: الأمر في التعيين إلى الستة يعينون واحداً منهم، وهذا اجتهد إمام عادل باصح لا هوى له جئت وهو محمود واقبي

(١) البحاري رقم (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٤٧)، واللعظ للبحاري

(٢) البحاري رقم (٣٧٠٠)

(٣) البداية والنهاية (١٤٢/٧)

(٢٠٦) ————— أسـمـى المـطـالـب في سـيرة

لتطبيق قول الله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (شورى ٣٨)، وقال ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران ١٥٩)، فكان ما فعله من الشورى مصلحة^(١).

إن الفاروق رضي الله عنه رأى الأمر في السنة متقارباً إليهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض، فلهذا المصون مرة أخرى ليست للآخر، ورأى أنه إذا عين واحداً فقد يحصل بولايته نوع من الحلل فيكون مسوياً إليه، فترك التعيين خوفاً من الله تعالى، وعلم أنه ليس واحداً أحق بهذا الأمر منهم؛ فجمع بين المصلحتين بين تعيينهم - إذ لا أحد أحق منهم - وترك تعيين واحد منهم؛ لما تحوفه من التقصير، والله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان، فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة^(٢)، ولا يقال إنه جعله الأمر شورى بين السنة قد حالف به من تقدمه، كما هو زعم الشيعة الرافضة؛ لأن الخلاف بوعان. خلاف تصاد وخلاف نوع، وما فعله عمر رضي الله عنه من النوع الثاني^(٣)، وقد أقره على اجتهاده كل الصحابة، ولم يسمع أحداً عارضه، وقد سخط ما أنكره عمر رضي الله عنه من طريقة جديدة في اختيار الخليفة من بعده في كتابي «فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره»، فمن أراد التوسع فليرجع إليه مشكوراً.

٢ - ما قاله علي في عمر بعد استشهاده: قال ابن عباس كما في صحيح البخاري وضع عمر على سريرته فتكفنه الناس يدعون ويصلون، قل أن يرفع - وأنا فيهم - فلم يرعني إلا رجل أحد مكبي، فبادر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فترحم علي عمر وقال: ما خلعت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك وحسب أني كثيراً ما أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ذهب أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»^(٤).

(١) منهاج السنة (١٦٢/٣ - ١٦٤)، والملحق ص (٣٦٢ - ٣٦٤)

(٢) منهاج السنة (١٦٢/٣ - ١٦٤)، والملحق ص (٣٦٢ - ٣٦٤)

(٣) حفيد لعل السنة (١٦٢/٣ - ١٦٤) (٤) البخاري، رقم (٣٦٨٥)

٣ - قول علي في عمره: إن عمر كان رشيد الأمر، وحرصه على عدم مخالفته بعد وفاته عن عبيد خير قال كنت قريباً من علي حيث جاء أهل البحرين، قال، قلت فإن كان ردّاً على عمر شيئاً فليوم، قال فسمو واصطفوا بين يديه، قال ثم أدرح بعضهم يده في كمه فأخرج كتاباً، فوضعه في يد علي، قالوا يا أمير المؤمنين، خطك بيمينك وإملاء رسول الله ﷺ عليك، قال فرأيت عبياً وقد حرت الدموع على خده قال ثم رفع رأسه إليهم فقال يا أهل البحرين، إن هذا لأحر كتاب كتبه بين يدي رسول الله ﷺ، قالوا فأعطنا ما فيه، قال: سأخبركم عن ذلك: إن الذي أخذه عمر لم يأخذه لنفسه، إنما أخذه جماعة من المسلمين، وكان الذي أخذه منكم خيراً مما أعطاكم، والله لا أرد شيئاً مما صعه عمر، إن عمر كان رشيد الأمر^(١)، وهذه الحادثة أصل الفقهاء عليها قولهم لا يرد لقاضي اجتهاد قضاء من قبله عند علي^(٢)، وروي عنه أنه قد أقضوا كما كتبت تقضون حتى تكونوا جماعة؛ فإني أخشى الاختلاف^(٣)، وهو قول جمهور الفقهاء^(٤)، وقد قال علي: ما كنت لأحل عقدة شدد عمر^(٥).

٤ - إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك: ما فرغ علي من وقعة الجمل - ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت لرحوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة، فدخنها يوم الاثنين، لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيس له بول بالقصر الأبيض، فقال لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فنزل في الرحبة وصلى في الجامع الأعظم ركعتين^(٦).

(١) مجمع البدان (٢٦٩/٥)، والمختصر من كتاب الموفقة من (٣٩)، ولفقه الإمام علي (٨١٣/٢) نقل عن

السيرة للبيهقي، وإسناده مرسل، والأجري (١٧٧٧/٤) وإسناده مرسل

(٢) لفته الإمام علي (٨١٣/٢).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٣٢٩/١٠) نقل عن لفته لإمام علي (٨١٣/٢)

(٤) لفته الإمام علي (٨١٣/٢)

(٥) المختصر من كتاب المرافقة بين أهل البيت والصحابة من (١٤) بإسناده منقطع، وابن أبي شيبة في المصنف

(٢٣/١٢) رقم (٥٤) (١٦)

(٦) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان من (٣٨٣)

هـ - حب أهل البيت لعمر عليه السلام: إن من دلالة محبة أهل البيت للماروق عليه السلام تسمية أسانئهم باسمه؛ حباً وإعجاباً بشخصيته^(١)، وتقديراً لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقراراً بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطه بأهل بيت النبوة والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمي ابنه باسمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، سمي ابنه من أم حبيب بنت ربيعة الكرية عمر^(٢)، وقد جاء في كتاب صاحب العصول، تحت ذكر أولاد علي بن أبي طالب وعمر من التعلية. وهي نصحاء ست ربيعة من السبي الذي أعار عليهم خنثى بن الوليد بن النضر. وعمر عمر هذا حتى بلغ خمساً وثمانين سنة؛ فحاز نصف ميراث علي عليه السلام، وذلك أن جميع إخوانه وأشقائه وهم عبد الله، وجعفر، وعثمان قتلوا جميعهم قله مع الحسين عليه السلام - يعني أنه لم يقتل معهم - بالطف، فورثهم^(٣)، هذا وتبعه حسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب عليه السلام فسمى أحد أسائه عمر أيضاً^(٤)، وكذلك الحسين بن علي سمي عمر، ومن بعد الحسين اسه علي الملقب بربيع العائدين سمي أحد أسائه باسم عمر^(٥)، وكذلك موسى بن جعفر الملقب بالكاظم سمي أحد أسائه باسم عمر^(٦). هؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدي النبي عليه السلام ومعالم منهج أهل السنة والجماعة سيرتهم العطرة، يطهرون لعمر الماروق ما يكونه في صدورهم من حبه وولائهم له بعد وفاته بمدة. وقد جرى هذا الاسم وكذلك أبو بكر وعثمان - في ذرية أهل البيت عن ساروا على مذهب الحق - وهو منهج أهل السنة والجماعة - إلى يومنا هذا، ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت بالكتاب والسنة. فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن وعائشة وأم سلمة، وبنو تدعو الشيعة اليوم. إلى الاقتداء بعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت، فيسمون بعض أسانئهم وبنائهم بأسماء الخلفاء الراشدين. وأمهات المؤمنين^(٧)، نرجو ذلك

(١) تاريخ الخلفاء، (٢/ ٢١٣)، والشيعة وأهل البيت، ص (١٣٣).

(٢) الفصول المهمة، ص (١٤٢)، والشيعة وأهل البيت، ص (١٣٣).

(٣) الشيعة وأهل البيت، ص (١٣٣). (٤) المصدر نفسه، ص (١٤٤). (٥) المصدر نفسه، ص (١٣٥).

(٦) المصدر نفسه، ص (١٣٣). (٧) المصدر نفسه، ص (٢٤).

٦ - عمر بن الخطاب جعله الله سبباً في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب:

أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحسين بن علي رضي الله عنهما من غنائم الفرس ابنة يزيد حرد ملك الفرس، فولدت له زين العابدين علي بن الحسين الذي لم يبق من أسماء الحسين غيره، وكل ذرية حسين ناسبوا منه وينسبون إليه^(١)، وليحذر الذين يسبون عمر بن الخطاب ممن ينسبون إلى الحسين، فلولاه بعد الله لما كان لهم وجود^(٢)، كما أن عمر رضي الله عنه أعطى أخته لمحمد بن أبي بكر فكان عديلاً للحسين، وأحببت له القاسم بن محمد بن أبي بكر، فكان القاسم ابن محمد بن أبي بكر، وعلي بن الحسين زين العابدين ابني خالة^(٣).

٧ - قول عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب في عمر^(٤):

عن حفص بن قيس، قال: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخمين، فقال: امسح، فقد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قل: فقلت إنما سألتك أنت تمسح؟ قل: ذاك أعجز لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي، فعمر كان خيراً مني ومن ملء الأرض، فقلت: يا أبا محمد، فإن ناساً يزعمون أن هد منكم تقية، قل: فقال لي: ونحن بين القر والمسر للهم إن هذا قولني في السر والعلانية، فلا تسمعن عليّ قول أحد بعدي، ثم قال: من هذا الذي يزعم أن علماً رضي الله عنه كان مقهوراً، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله أمره بأمر ولم ينفذ^(٥)، وكفى ببردراء علي رضي الله عنه ومنقصته أن يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمره بأمر ولم ينفذه^(٦).



(١) معبد الخطاب في نسب أبي طالب، للمعل الثاني عود (عقب حسين) نقلاً عن: «دهبوا فائتم الرافضة»

ص (٢٣٢)

(٢) «مير أعلام النبلاء» (٦/٢٥٤)

(٣) «دهبوا فائتم الرافضة» ص (٢٣٢).

(٤) هو عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو محمد الهاشمي، كان فاضلاً، وكان وشرفاً وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز توفي سنة ١٤٥ «الاعلام» للزركلي (٤/٢٠٧) «والتاريخ بعداده»

(٥) (٩/٤٣١)

(٦) «الشي من سب الأئمة» وفيه من الإثم والعقاب، لمحمد عبد الواحد المقدسي ص (٥٧)

المبحث الثالث

علي رضي الله عنه في عهد عثمان بن عفان

أولاً: بيعة علي لعثمان رضي الله عنه:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر من خطابات رضي الله عنه حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وقين^(١) إهم اجتمعوا في بيت فطمة بنت قيس الفهرية، أخت الضحاك بن قيس؛ ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين - بعد وفاة عمر - وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء رضيها الخاصة والكافة من المسلمين^(٢)، وقد أشرف على تنفيذ عملية الشورى واختيار الخليفة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وحقق رضي الله عنه أول مظهر من مظاهر لشورى المنظمة في اختيار من يتحمل أعباء الخلافة، وبسوس أمور المسلمين، فهو قد اصططح من الأداة ولصبر والحزم وحسن التدريب ما كفر له النجاح في أداء مهمته العظمى^(٣)، وقد ركب الشورى بمهارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير^(٤)، قال الذهبي، ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزل نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فهو في ذلك أتم بهوص على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محدياً فيها لأحد لنفسه، أو لولأها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص^(٥).

وقد تم الاتفاق على بيعة عثمان بعد صلاة صبح يوم البيعة اليوم الأخير من شهر ذي الحجة ١٣هـ/ ٦ نوفمبر ٦٤٤م، وكان صهيب الرومي لإمام؛ إذ أقل عبد الرحمن ابن عوف، وقد عثم بالعمامة لتي عممه بها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأمراء الأحاد، منهم معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد

(١) عثمان بن عفان، للمصنف هرجون، ص(٦٢، ٦٣).

(٢) المصدر نفسه ص(٧، ٧١).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/٨٦).

(٣) مجلة بحوث الإسلام المدة (١٠) ص(٢٥٥).

أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر وصاحبه إلى المدينة^(١)، وحاء في رواية الحارثي فمما صلى للناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأحناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر - فمما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال أما بعد يا علي إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أراهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل علي نفسك سبيلاً فقال^(٢) أبايعك على سنة الله ورسوله والخلفين من بعده، فابيعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون^(٣)، وحاء في رواية صاحب «التمهيد والبيان» أن علي بن أبي طالب أول من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف^(٤).

ثانياً: أباطيل رافضة دست في قضية الشورى:

هناك أباطيل رافضة دست في التاريخ الإسلامي منها في قصة الشورى وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين والمحدثين، ولم يحصوا الروايات ويحققوا في سندها ومحتها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرافضة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودمروا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتباً خاصة، فقد ألف أبو محنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه^(٥)، ونقل ابن سعد سبع روايات من طريق الواقدي في خبر الشورى، وبيعة عثمان، وتاريخ توليه للخلافة^(٦)، ورواية من طريق عبيد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر وحصره للشورى في الستة، ووصيته لكل من علي وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب في هذا الأمر^(٧)، وقد نقل البلاذري خبر الشورى وبيعة عثمان عن أبي محنف^(٨)، وعن هشام الكلبي

(٢) قوله: فقال: أي عبد الرحمن صاحب عثمان

(١) شهد الدار من (٣٧)

(٤) «التمهيد والبيان» من (٢٦)

(٣) «الحارثي»، كتاب الأحكام، رقم (٧٢-٧٣).

(٦) الطبقات الكبرى (٦٣/٣)، (٦٧/٣)

(٥) «الدوية إلى تصانيف الشيعة» (٢٤٦/١٤)

(٨) «أنساب الأشراف» (١٨/٥)، (١٩)

(٧) المصدر السابق

مها مانقله عن أبي مخنف ومنها ما تفرد به^(١)، وعن الواقدي^(٢)، وعن عبيد الله ابن موسى^(٣)، واعتمد الطبري في هذه القصص على عدة روايات منها رواية أبي محنف^(٤)، ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري^(٥)، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشورى) للواقدي^(٦)، وقد تضمنت الروايات الشيعية الرافضية عدة أمور مدسوسة ليس لها دليل من الصحة، وهي:

١ - اتهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين:

اتهمت الروايات الشيعية الرافضية الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وعدم رضا علي بأن يقوم عبد الرحمن باختيار الخليفة، فقد ورد عند أبي محنف وهشام الكلبي عن أبيه وأحمد الجوهري أن عمر جعل ترخيص الكفتين إذا تساوتا بعد الرحمن بن عوف، وأن علياً أحسن بأن الخلافة قد ذهبت منه؛ لأن عبد الرحمن سيقدم عثمان للمصاهرة التي بينهما^(٧)، وقد نفى ابن تيمية أي ارتباط في السب القريب بين عثمان وعبد الرحمن فقال: فإن عبد الرحمن ليس أحبا لعثمان ولا ابن عمه ولا من قبلته أصلاً، بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية، ومنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ملاً منهم إلى بني أمية، فلو سي زهرة أحوال السي عليه السلام، ومنهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الذي قال له السي عليه السلام: «هذا خالي، فليزني امرؤ خاله»^(٨)، فلو السي عليه السلام لم يؤاح بين مهاجري ومهاجري ولا بين أنصاري وأنصاري، وإنما آحى بين المهاجرين والأنصار؟ فأخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري^(٩)، وحديثه مشهور ثابت في الصحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك^(١٠)، وقد بنت الروايات الشيعية الرافضية محاباة عبد الرحمن لعثمان للمصاهرة التي كانت

(١) مساب الأشراف (١٨/٥ - ١٩) (٢) المصدر (٦/٥)

(٣) أثر الشيخ على الروايات التاريخية من (٣١١)

(٤) شرح نهج البلاغة (٤٩/٩ - ٥٠ - ٥٨)

(٥) أثر الشيخ على الروايات التاريخية من (٣٢٢).

(٦) المعاري: كتاب مناقب الأنصار رقم (٣٧٨٠).

(٧) منهاج السنة النبوية (٢٧١/٦ - ٢٧٢)

(٨) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٢٢) رقم (٢٠١٨).

(٩) (١٠) منهاج السنة النبوية (٢٧١/٦ - ٢٧٢)

بيهما، متدسية أن قوة النسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة لعلاقة بين المؤمنين في الجليس لأول وأنها لا تنوء على نسب ولا مصاهرة، وأما كيفية المصاهرة التي كانت بين عبد الرحمن وعثمان فهي أن عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد^(١).

٢ - **حزب أموي وحزب هاشمي:** أشارت رواية أبي محنف إلى وقوع مشادة بين بني هاشم وبني أمية أثناء المديعة وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة^(٢). وقد اساق بعض المؤرخين حلف الروايات الشيعة لرصية الحاجة في نفوسهم مع بطلاتها سداً ومساً من جهة، وثبوت روايات صحيحة تدفع ما ذهبوا إليه من جهة أخرى، وبنوا تحقيقاتهم الخاطئة على تلك الروايات فصوروا تشاور أصحاب الرسول ﷺ في تحديد الخليفة الحديد بصورة الخلاف العشائري، وأن الناس قد بقسموا إلى حريين حرب أموي وحرب هاشمي، وهو تصور موهوم. واستنتاج مردود لا دليل عليه؛ إذ ليس بابقاً من ذلك الحق الذي كان يعيشه أصحاب رموس الله ﷺ، حيث كان يقف المهاجري مع الأنصاري ضد أبيه وأخيه وس عمه وبني عشيرته، وليس بابقاً من تصور هؤلاء الصاحب وهم يضحون بكل شيء من حطام الدنيا في سبيل أن يسم لهم دينهم. ولا من المعرفة لصحيحة هؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التي رويت عن هؤلاء تثبت أن هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن يطلقوا من هذه الراوية الضيقة في معالجة أمورهم، فليست القصة تمثيل عائلي أو عشائري، فهم أهل شوري لمكانتهم في الإسلام^(٣).

٣ - أكاذيب نسبت زوراً وبهتاناً لعلي رضي الله عنه:

قال ابن كثير وما يذكره كثير من المؤرخين كائن جرير وغيره عن رجل لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن جدعتني وإبك إنما وليته، لأنه صهرك

(١) الطبقات الكبرى (١٢٧/٣)

(٢) مرويات أبي محنف في تاريخ الطبري ص (١٧٧، ١٧٨)

(٣) الملل والنحل الراشدين، أمين القضاة ص (٧٨، ٧٩)

وليشاورك كل يوم في شأنه وأنه تلكأ حتى قال عبدالرحمن ﴿إِنَّ الدِّينَ يُبَايَعُكَ
إِنَّمَا يُبَايَعُونَ اللَّهَ بِدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا
عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُهُ أَثَرًا عَظِيمًا﴾ (التج. ١٠). إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة
لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائلها وناقليها والله أعلم. والمطنون من
الصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة واغساء القصاص الذين لا تميز
عندهم بين صحيح الأخبار، وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها^(١)

ثالثاً: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما:

الذي عليه أهل السنة - إن من قدم عبداً على أبي بكر وعمر فهو صان
متدع، ومن قدم علياً على عثمان فإنه مخطئ ولا يصلح له، ولا يبدعونه^(٢).
وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة على من قدم علياً على عثمان بأنه قال.
من قدم علياً على عثمان فقد زعم أن أصحاب رسول الله ﷺ حابوا الأمانة؛
حيث احتاروا عثمان على علي بن أبي طالب^(٣)، وقد قال ابن تيمية: استقر أمر أهل السنة
على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من
الأصول التي يصلح المخالف فيها عند جمهور أهل السنة. لكن المسألة التي يصلح
المخالف فيها هي مسألة الخلافة. وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله
ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة هؤلاء الأئمة
فهو أصل من حمار أهله^(٤)، وذكر أقوال أهل العلم في مسألة تفصيل علي على
عثمان فقال فيها روايات. إحداهما لا يسوع ذلك. فمن فصل علياً على
عثمان خرج من السنة إلى البدعة؛ لمخالفته لإجماع الصحابة. ولهذا قيل من قدم
علياً على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، يروى ذلك عن غير واحد،
مهم أيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني، والثانية لا يسدع من قدم
علياً؛ لتقارب حال عثمان وعلي^(٥).

(١) «البدع والنهاية» (١/٥٧)

(٢) «مجموع الفتاوى» (١/٣) ١ - ١٠٢.

(٣) «حجة من التاريخ» لعثمان الخميس ص (٦٦)

(٤) «مجموع الفتاوى» (١/٣) ١ - ٢٠١.

(٥) «مجموع الفتاوى» (٤/٢٦٧)

رابعاً: علي عليه السلام يقيم الحدود ويستشار في شؤون دولة عثمان عليه السلام:

١ - إقامة علي عليه السلام للحدود في عهد عثمان عليه السلام: عن حصين بن المنذر - قال شهدت عثمان بن عفان ، وقد أتني بالوليد فشهد عليه رحلان أحدهما حمرا أن شرب الخمر ، وشهد آخر أنه لم يتقياً ، فقال عثمان : إنه لم يتقياً حتى شربها . فقال : يا علي قم فأجلده . فقال علي قم يا حسن فأجلده ، فقال : الخس وإن حارها من نولي قارها^(١) ، فكانه وجد عليه ، فقال يا عبد الله من جعفر قم فأجلده ، فأجلده وعلي يعد . حتى بلغ أربعين ، فقال أمسك ، ثم قال جلد النبي ﷺ أربعين ، وأبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين - وكل سنة ، وهذا أحب إلي^(٢) . ويؤخذ من هذا الحديث بأن علياً عليه السلام كان قريباً من عثمان ، ومعيناً له على طاعة الله . وكان علي عليه السلام يقول - في معرض دفاعه عن عثمان رداً على من يعيب على عثمان بالمعمل المبوب للوليد - إنكم ما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقول رداءه^(٣) ، ما دنت عثمان في رجل قد صر به بفعله وعزله عن عمله ، وما دنت عثمان فيما صنع عن أمرا^(٤)

٢ - استشارة عثمان لعلي وكبار الصحابة في فتح إفريقية:

جاء في «رياض القوس» أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان جاء من واليه على مصر عبد الله بن سعد أن المسلمين يغيرون على أطراف إفريقية؛ فيصيبون من عدوهم ، وأنهم قريبون من حوز المسلمين ، فأعرب عثمان بن عفان عليه السلام - على إثر ذلك - للمصور ابن محرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو إفريقية جاء في هذا الصدد ما نصه «فما رأيك يا ابن محرمة» قلت اغزهم قال : أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأستشيرهم ، فما أجمعوا عليه فعلته ، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته انت علياً ، وطلحة ولزير

(١) أي - ول يشهدنا ولوساها من نولي هبتها ولشها

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٥ كتاب الحدود (٢١٦/١١)

(٣) الرداء : هو القمون ، ثوب من الخشب الطيري (٢٧٨/٥)

(٤) تحقيق مرفأف الصحابة في الفتنة (٤٧١/١)

والعاس، وذكر رجالاً، فجلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور «صعيد بن زيد» فقال له عثمان: لم كرهت - يا أبا الأعور - من بعثة الجيوش إلى إفرقية؟ فقال له سمعت «عمر» يقول لا أغزبها أحداً من المسلمين ما حملت عيناتي الماء. فلا أرى لك خلاف عمر، فقال له عثمان: والله ما نخافهم ونهم نراصون أن يقرؤا في مواضعهم، فلا يفرون، فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره، ثم حط الناس، وندبهم إلى الغزو إلى إفرقية، فخرج بعض الصحابة منهم عبدالله بن الزبير، وأبو ذر الغفري^(١).

٣ - رأي علي في جمع عثمان الناس على قراءة واحدة؛

جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وشاورهم في الأمر وفيهم أعيان الصحابة وفي طبيعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صموة الأمة وقادتها الهاديين المهديين، ودارسهم أمرها ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، وظهر للناس في أرجاء لأرض ما انعقد عليه جماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عرف من أحد تكبر، وليس شأن القرآن بذي يحفى على آحاد الأمة فصلاً عن علمائها وأئمتها البارزين^(٢)، إن عثمان رضي الله عنه لم يبتدع في جمعه المصحف، بل سبقه إلى ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما أنه لم يصح ذلك من قبل نفسه إنما فعله عن مشورة لـ رضي الله عنه، وأعجبهم هذا الفعل وقالوا: نعم ما رأيت، وقالوا أيضاً: قد أحسن - أي في فعله في المصحف^(٣) - وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبي ﷺ حين مشق^(٤) عثمان المصاحف، فرأهم قد أعجبوا بهذا الفعل منه^(٥)، وكان علي رضي الله عنه يهوى من يعيب على عثمان رضي الله عنه بذلك ويقول يأيها

(١) انظر في النعوس ٨/٩٠، و«طهارة القتال» لهيكل (١/٥٥٦)

(٢) عثمان بن عفان، لصاحبه عرجون ص (١٧٥)

(٣) «لغة عثمان» (١/٧٨)

(٤) مشق في الكتابة، مثلاً حروها وجودها انظر الوجيز مادة «مشق»

(٥) «التاريخ الصغير» لبخاري (١/٩٤)، وإسناده حسن لغيره

الناس لا تغفلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً - أو قولوا خيراً - هو الله ما فعل لذي فعل - أي في المصاحف إلا عن ملا ما جميعاً - أي الصحابة والله لو وليت لمعلت مثل الذي فعل^(١)، وجاء في رواية أخرى عن علي عليه السلام قوله لما احتلف الناس في انقراء وبلغ ذلك عثمان جمعاً أصحاب رسول الله ﷺ واستشارنا في جمع السور على قراءة، فأجمع رأياً مع رأيه على ذلك وقال بعد ذلك: لو وليت الذي ولي، لصنعت مثل الذي صنع^(٢).

خامساً: موقف علي عليه السلام في فتنة مقتل عثمان عليه السلام:

كثرت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت في فتنة مقتل عثمان عليه السلام، كالرحاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر بن الخطاب، وحروب كبار الصحابة من المدينة، والعصبة الجاهلية، وتآمر الخاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المحدث ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيبة للناس، وأثر السنية في أحداث الفتنة، وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب في كتابي "تيسير الكريم المأثور في سيرة عثمان ابن عفان شخصيته وعصره".

لقد استخدم أعداء الإسلام في فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيبة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإداعة كثيراً، والتحريض، والمطردة والمحادثة لتحليمة أمام الناس، والطمع على الولاء، واستخدام تزوير الكتب واختلافها على لسان الصحابة عليه السلام، عاتشة وعلي وطلحة والزبير، وإشاعة أن علي بن أبي طالب عليه السلام لاحق بالخلافة، وأنه الوصي بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبير المسوق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما حازوا إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحداث حتى وصل إلى القتل^(٣)، وإلى

(١) مجمع البحار (١٨/٩)، وإسناده صحيح.

(٢) حسن أبي داود، كتاب المصاحف ص (٢٩ - ٣٠)، وإسناده صحيح وإعلامه علي بن أبي طالب، فملي.

عبدالحسين ص (٨).

(٣) بحار الأنوار في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص (١٠١).

حوار هذه الوسائل. استخدموا مجموعة من الشعارات؛ منها التكبير، ومنها أن جهادهم هذا ضد المظالم، ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرائمهم وطالبوا بل سارعوا إلى قتل الخليفة، وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتصيق الحاق على الخليفة. والتشوق إلى قتله بأي وسيلة^(١).

كان التنظيم السني بقيادة عبدالله بن سبا اليهودي حلف تلك الأحداث والتي بعدها وميأني الحديث عنه بإذن الله. وعن عثمان الذي هز مقتله العالم الإسلامي، وأثر في كثير من الأحداث إلى يومنا هذا.

١ - موقف علي رضي الله عنه في بداية الفتنة:

استمر علي رضي الله عنه في طريقته المعهودة مع الخلفاء. وهي السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عر بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقاً بقوله: لو سيرني عثمان رضي الله عنه إلى صرار لسمعت وأطعت^(٢)، وعندما برز المتمردون في دي المروة قبل مقتل عثمان رضي الله عنه مما يقارب شهراً ونصفاً، أرسل إليهم عثمان علياً رضي الله عنه ورجلاً آخر لم تسمه الروايات، والتقى بهم علي رضي الله عنه فعدل لهم تعطون كتاب الله، وتعنبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك^(٣). وفي رواية أنهم شأوه وشادهم مرتين أو ثلاثاً، ثم قالوا: إن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا^(٤)، فاصطلحوا على خمس: على أن المني يقلب، والمحروم يعطى، ويوفر المني، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة. وكشوا ذلك في كتاب، أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة^(٥).

(١) دراسات في عهد القوة والخلافة الراشدة ص (٢١٤).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢٢٥/١٥) مثله صحيح.

(٣) تاريخ دمشق ترجمة عثمان ص (٣٢٨)، و تاريخ خليفة ص (١٦٩).

(٤) دفنة مقتل عثمان (١/١٦٩)، (٥) المصدر نفسه (١/١٦٩).

وهكذا صمد عثماني برت مع كل وفد علي حقه، ثم اصرفت الوفود إلى ديارها^(١)، وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعاً راضين، تبين لشعلي الغنة أن حطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدينية لم تتحقق. لذا خططوا تحطيطاً آخر بذكي لغنة ويحييها، يقتضي تدمير ما حوى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان برت وبرر ذلك فيما يأتي في أثناء طريق عودة أهل مصر، راوا راكباً على جمل يتعرض لهم. ويهراقهم - فكانه يقول - حدوبي - فقبضوا عليه، وقبضوا له - مالك؟ قال. أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله، ولما فتحوا الكتاب، فاد فيه أمر بصلحهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها^(٢)، ونفى عثمان برت أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم إنهما اثنا أ تقيما رجلين من المسلمين، أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت، ولا أملت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه^(٣) - وهو الصادق البار - لعاية في نفوسهم

وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون السعاة المحرفون أنه من عثمان وعليه حاتم ويحمه علامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارحين، هو كتاب مرور مكذوب على لسان عثمان، وذلك لغنة أمور منها^(٤). كيف علم العراقيون بالامر وقد انجهموا إلى بلادهم، ومصلتهم عن المصريين - الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم - مسافة شاسعة؟ فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعاً في آن واحد، كأنما كانوا على ميعاد، لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوروا الكتاب، واستأجروا راكباً ليحمله، ويمثل الدور في لؤي أمام المصريين. قد استأجروا راكباً آخر انطلق إلى العراقيين ليحرقهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتاباً بعث به عثمان لقتل المحرفين المصريين، وهذا ما احتج به علي بن أبي طالب

(١) «فتنة مقتل عثمان» (١/٣٢٩).

(٢) «فتنة مقتل عثمان» (١/٣٢٩)، و «البدية والنهاية» (٧/١٩١).

(٣) «تفسير الكريم للثان في سيرة عثمان بن عفان» (١٠٠/٤١٠).

ﷺ فقد قال كيف علمتم يا أهل الكوفة وبيا أهل البصرة بما بقي أهل مصر، وقد سرتهم من رجل ثم طويتم بحونا؟^(١) بل إن علياً يجرم هذا والله أمر أمر بالمدينة^(٢).

إن هذا الكتاب المشؤوم ليس أول كتاب يزوره هؤلاء المجرمون، بل زوروا كتباً على لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان علي وطلحة والزبير، فهذه عائشة رضي الله عنها تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتصي وتقول لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بضاء حتى جلست محطسي هذا^(٣)، ويعقب الأعمش فيقول: فكأنوا يرون أنه كتب على لسبها^(٤)، ويتهم الواقدون علياً بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فيكر ذلك عليهم ويقسم والله ما كتبت إليكم كتاباً^(٥)، كما يسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم فدين محمد قد سد وترك، والجهاد في المدينة حير من رباب في النعور البعيدة^(٦)، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة، وإني كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج - قنلة عثمان - كتب مزورة عنهم أنكروها، وكذلك زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً، فإنه سم يأمر به، ولم يعلم به^(٧).

ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وحليقة من استنكار كبار الصحابة - علي وعائشة والزبير - أنفسهم لهذه الكتب في أصح الروايات^(٨)، إن الأيدي المحرمة التي روت الرسائل ككدة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي روت وروجت على عثمان تلك الأسايب، وإنه فعل وفعل، ولقتها لسان، حتى قبلها

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٥٩).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة، (١/ ٣٣٤).

(٣) تاريخ الطبري، (٥/ ٣٥٩).

(٤) تاريخ حليقة ابن خبطة، (١٦٩).

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)، والبداية والنهاية (٧/ ١٩١).

(٦) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)، والبداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٧) البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٨) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥).

الرعاع، ثم زورت عني لساد عثمان ذلك الكتاب؛ ليذهب عثمان صحبة إلى ربه شهيداً سعيداً. ولم يكن عثمان الشهيد هو المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية. بل الإسلام نفسه كان محبباً عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوه المعروف، والأحياء الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوهاً هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي. وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين. أما أن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، ومسير رجالاتها العظام؟ بل ألم بأن لمن يكتب في هذا العصر من المسلمين، أن يخف الله ولا يتجرأ على تبريع الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره^{(١)٩}.

٢. موقف علي رضي الله عنه أثناء الحصار:

اشتد الحصار على عثمان عليه السلام، حتى منع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صارماً على هذه السلوى التي أصابته كما أمره رسول الله ﷺ بذلك، وكان مع إيمانه القوي بالقضاء ولقدرة، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وأنه لا يحل سفكه إلا بحقه، وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الخلية في الإسلام، ويستشهد على ذلك ببقية العشرة النبوية^(٢) وكأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع في الدنيا ويقدمها على الآخرة^٣، وهل يعقل أن يخون الأمانة ويبعث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عقبة ذلك عند الله، وهو الذي تربي على عين النبي ﷺ والذي شهد له وركاه وكذلك أفاضل الصحابة، وهكذا تكون معاملته^٤ واشتدت سيطرة الثوار على المدينة حتى إنهم ليصلون بالناس في أغلب الأوقات^(٥). وحينها أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا، وحشوا من حدوث ما لا يحمد عفاً، وقد بلغهم أن القوم يربلون قننه، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويحرقوا العوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم مسلم^(٦).

(١) عثمان بن عفان أخليفة، الشاكر الصغير ص (٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) سير أعلام النبلاء، (٣/٥١٥).

(٣) فتاوى علي بن أبي طالب، لعبد الحميد علي ص (٨٥).

(٤) فتنة مقتل عثمان، (١/١٦٧) بولسند، (١٣٩٦/١٥) أحمد شاكر.

وأرسل كبار الصحابة أباءهم دون استشارة عثمان رضي الله عنه، ومن هؤلاء الحسن بن علي رضي الله عنه، وعبد الله بن الزبير، حيث تذكر بعض الروايات أن الحسن حمل جريحاً من الدار يوم الدار^(١)، كما جرح غير الحسن، عبدالله بن الزبير، ومحمد بن حاطب ومروان بن الحكم. كما كان معهم الحسين بن علي وابن عمر رضي الله عنه^(٢). وقد كان علي من أدفع الناس عن عثمان رضي الله عنه، وشهد له بذلك مروان ابن الحكم^(٣)، أقرب الناس إلى عثمان رضي الله عنه، والصقهم به في تلك اللحظة لقاسية الأليعة، وقد أخرج ابن عساکر عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه إن علياً أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فأذن لي، فأجمعك من القوم؛ فبك لم تحدث شيئاً يستحل به دمك، فقال: جزيت خيراً، ما أحب أن يهراق دم بسبي^(٤)، وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان رضي الله عنه أثناء الحصار، فمن ذلك: أن النابغين معوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشاً، فأرسل علي رضي الله عنه إليه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت^(٥)، ولقد تسارعت الأحداث فوثب العوعاء على عثمان وقتلوه رضي الله عنه وأرضاه. ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال علي لأبيه وأبناء إخوانه: كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن. وكان قد جرح^(٦) وضرب صدر الحسين، وشم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى سرله ويقول: تباً لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتل أو مالات على قتله^(٧)، وهكذا كان موقف علي رضي الله عنه، نصيح وشورى، سمع وطاعة، وقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح ومد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه، لكن الأمر فوق

(١) الطغائيا لاس سعد (١٦٨، ٨) سند صحيح (٢) تاريخ خلفاء من (١٧٤)

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي والخلفاء الراشدين من (١٦٠ - ١٦٦)، وإسناده قوي

(٤) تاريخ دمشق من (٣ - ٤) (٥) انساب الأشراف للبلادي (٦٧/٥)

(٦) ابن أبي حاتم الأحاد والثماني (١٦٥/١) نقلاً من الخلافة علي من (٨٧)

(٧) مصنف ابن أبي شيبة (٢٠٩/١٥) وإسناده صحيح

طاقته، وحارح إرادته إنها إرادة الله عز وجل أن يعمر أمير المؤمنين عثمان ابن عفان عليه السلام بالشهادة^(١).

٣. المصاهرات بين آل علي وآل عثمان رضي الله عنهم:

لم يكن بين بني هاشم وبني أمية من المبعضة والعداوة والمافرة التي اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين ونسجوا الأساطير والقصص حولها، ولقد اتضح لكل منصف أن بني أمية مع بني هاشم علاقتهم فيما بينهم علاقة أبناء العمومة والإخوان والخلال، فهم من أقرب الناس فيما بينهم، يتبادلون الحب والتقدير والاحترام، ويتفاسمون الهموم والآلام والأحزان، فسو أمية وبني هاشم كلهم أبناء أب واحد، وأحفاد جد واحد، وأغصان شجرة واحدة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وكلهم استنقوا من عين واحدة ومنع صاف واحد، وأخذوا الثمار من دين الله الحنيف ابدي جاء به رسول الله الصادق الأمين، المعلم، المربي، حاتم الأنبياء والمرسلين، ولقد كان بين أبي سفيان وبين العباس صداقة يصرب بها الأمثال^(٢). كما كانت بينهم المصاهرات قبل الإسلام وبعده، فلقد روى رسول الله ﷺ: بناته الثلاثة من الأربعة من بني أمية، من أبي العاص بن الربيع وهو من بني أمية، ومن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وهو مع ذلك ابن بنت عمة رسول الله ﷺ، التي ولدت مع والد رسول الله ﷺ، عبدالله بن عبدالمطلب توه من أروى بنت كريب بن حبيب بن عبد شمس وهي أم عثمان وأمها أم حكيم وهي اليصاء بنت عبدالمطلب عمة النبي ﷺ، هذا ولقد تزوج بعد عثمان بن عفان عليه السلام من بني هاشم ابنه أبيان بن عثمان، وكانت عده أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر (الطيار) ابن أبي طالب شقيق علي عليه السلام^(٣)، وحفيدة علي وست الحسين وسكينة كانت متروحة من حميد عثمان زيد بن عمرو بن عثمان صهره أحمع، وحفيدة علي الثانية وامة الحسين وفاطمة كانت متروحة من حميد عثمان الآخر، محمد

(١) خلافة علي بن أبي طالب - عبد حميد علي ص (٨٧)

(٢) الشجرة وأهل البيت ص (١٤١)

(٣) دفتار نامه لبيسي ص ٨٦، الشجرة وأهل البيت ص (١٤١)

بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكانت أم حمية بنت أبي سفيان سيد بني أمية متروجة من سيد بني هاشم وسيد ولد آدم رسول الله ﷺ الصادق الأمين كما هو معروف، كما أن همد بنت أبي سفيان كانت متروجة من الحارث ابن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم فولدت له إبه محمداً^(١).

وتزوجت لبانة بنت عبيدالله بن عباس بن عبد المطلب - العباس بن علي ابن أبي طالب، ثم خلف عليها الوليد بن عتبة (ابن أخ معاوية) ابن أبي سفيان^(٢)، وتزوجت رملة بنت محمد بن جعفر - الطيار - بن أبي طالب سليمان بن هشام بن عبدالملك (الأموي) ثم أبا القاسم بن وليد بن عتبة بن أبي سفيان^(٣)، وكذلك تزوجت إبه علي بن أبي طالب رمنة من ابن مروان بن الحكم^(٤) من أبي العاص بن أمية، فقد كنت رملة بنت علي عبد أبي الهيثاج ثم حلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم بن أبي العاص^(٥)، وتزوجت حميدة علي بن أبي طالب من حميد مروان بن الحكم - حميدة بنت زيد بن الحسن بن علي ابن أبي طالب تزوجها الوليد بن عبدالملك بن مروان فتزوجت بعده، وأمها لبانة بنت عبدالله ابن عباس^(٦)، وقد اكتفيت بيان بعض منها، وفيها كفاية لمن أراد الحق والتقصير^(٧).

سادساً: من أقوال علي في الخلفاء الراشدين:

إن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ قد أجمع على صحتها واعتقادها الصحابة الكرام - ومن طعن في أحد منهم فقد حالف قول الله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَكِّدْ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٨١) وقول النبي ﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ» فهم أبو بكر وعمر وعثمان

(١) أحضرت ابن سعد (١٥/٤١)، وأصله (٥٨/٣) (٥٩).

(٢) نسب قرشي (١٣٣)، وأصله وأهل البيت (١٤٣).

(٣) الشفة وأهل البيت (١٤٣).

(٤) المصدر نفسه (١٤٣).

(٥) دجهرات كتاب العرب (٨٧)، ونسب قرشي (٤٥).

(٦) طبقات ابن سعد (٥/٢٣٤).

(٧) الشفة وأهل البيت (١٤٤).

وعلي عليه السلام ومن اتبعهم بإحسان^(١)، وما أحسن ما قلته أيوب السختياني في هذا المقام، حيث قال: من أحب أبابكر فقد أقدم الدين، ومن أحب عمر فقد أرواح السبيل، ومن أحب عثمان فقد ستر بنور الله عر وجل، ومن أحب علياً فقد شمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن لقول في أصحاب محمد فقد برئ من النفاق^(٢). قال الشاعر:

إِنِّي رَضِيتُ عَلِيًّا قُدْوَةً عَلَّمَا
كَمَا رَضِيتُ عَتِيقًا صَاحِبَ الْغَارِ
وَقَدْ رَضِيتُ أَبَا حَفْصٍ وَشَيْعَتَهُ
وَمَا رَضِيتُ بِقَتْلِ الشَّيْخِ فِي الدَّارِ
كُلُّ الصَّحَابَةِ عِنْدِي قُدْوَةٌ عَلَّمَ
فَهَلْ عَلَيَّ بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْ عَارٍ
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَجْبُئُهُمْ
إِلَّا لَوَجْهِكَ أَغْتَبِقْنِي مِنَ النَّارِ^(٣)

هذا وقد جاءت الأدلة القطعية والبراهين الساطعة في العلاقة المتميزة بين علي وأخلاء الراشدين عليه السلام، وقد تم توضيح ذلك في الصفحات الماضية، وهذه بعض الأدلة نصيفها إلى ما سبق من براهين ساطعة على مكانة أخلاء الراشدين عند أمير المؤمنين علي عليه السلام:

١. سيدا كهول أهل الجنة وشبابها:

عن عبيد بن ربيعة قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل أبو بكر وعمر، فقال يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة، وشبابها، بعد النبيين والمرسلين^(٤).

(١) الشريعة للأجري (٤/١٧٦٨) (٢) المصدر نفسه (٤/١٧٧٢، ١٧٧٣). (٣) الشريعة (٥/٢٥٣٦)

(٤) مستند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٦٠٢)، حديث صحيح وهذا إسناد حسن

٢. ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه:

عن سويد بن عفلة، قال: مررتُ بفر من الشيعة يتناولون أبكر وعمر، فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين، مررت بفر من أصحابك أتأبسون أبكر وعمر بغير الذي هما له من هذه الأمة أهل، فلولا أنك تُصمِرُ على مثل ما أعلنوا عليه ما تجرؤوا على ذلك. فقال علي: ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل. ثم نهض دافع العين بيكي، قابضاً على يدي حتى دخل المسجد، فصعد المبر وجلس عليه متمكناً قابضاً على لحيته يظفر فيها وهي بيضاء، حتى جتمع له الناس، ثم قام فخطب خطبة موحزة مديفة، ثم قال: ما بال قوم يدكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين؟ أنا ما قالوا بري، وعلى ما قالوا مُعاقب، ألا والذي فتق الحبة وبرأ السمعة، لا يحسبهما إلا مؤمن نقي، ولا يعضسهما إلا فاجر ردي، صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يحوزان فيما يصحان رأي رسول الله ﷺ، ولا كن رسول الله يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحداً، قبض رسول الله ﷺ وهو عنهما رضى، ومصيبا ومؤمونا عنهما راضون، أمر رسول الله ﷺ أب بكر لصلاة المؤمنين فصلّى بهم تسعة أيام^(١) في حياة رسول الله ﷺ، فما قبض الله تعالى نبيه ﷺ واحار له ما عنده، ولأه المؤمنين أمرهم، وقضوا إليه الزكاة، لأنهما مقرونان، ثم أعصوه لبيعة طائعين غير كارهين، أنا أول من سئ ذلك من بني عبدالمطلب، وهو لذلك كاره يرد أن أحدا كفاه ذلك. وكان والله خير من نقي، أرحمه رحمة، وأرافه رافة، وأثبته ورعاً، وأقدمه سناً وإسلاماً فسار في سيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك، ثم ولي عمر الأمر من بعده، فمنهم من رضى، ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضى به من كان كرهه، وأقام الأمر على مهاج النبي ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كتبع المصير^(٢)، أمه، وكان والله رقيقاً رحيماً، وللمطلومين عوناً راحماً وناصراً، لا

(١) في الأصل سبعة، وورد تصحيحه في إنباش. (٢) المصير ولد الناقة إذا فصل من أمه

يخف في الله لومة لائم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى كما نظر أن ملكاً يطق على لسانه، أعر الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته لتدين قوماً، ألقى الله تعالى له في قلوب المصنفين الرهبة، وفي قلوب المؤمنين المحبة. إلى أن قال: فمن لكم بمثلهم - رحمة الله عليهما - ورزقنا المصطفى على سبيلهما، فإنه لا يبلغ منهما إلا باتباع آثارهما واختر لهما، إلا فمن أحسن ليحبهما، ومن لم يحبهما فقد أغصني، وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة، ولكن لا ينبغي أن أعاقب قبل أن تقدم، ألا فمن أتيت به - يقول - هذا بعد اليوم - فإن عليه ما على الْمُقْتَرِي، ألا وحير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، ولو شئت سميت الثالث، وأستغفر الله لي ولكم (١).

٣. هذا عثمان بن علي سميت بعثمان بن عفان:

عن أبي سعيد الخدري. نظرت إلى غلام أبيض (٢)، له ذؤابة (٣) وجمرة (٤)، والله يعلم أنني منه حينئذ لمي شك، ما أفري غلام هو أو حارية، فمررتنا بأحسن منه وهو حائس إلى جنب علي فقلت: عفاك الله، من هذا الفتى إلى حبيبك؟ قال: هذا عثمان بن علي سميت بعثمان بن عفان، وقد سميت بعمر بن الخطاب، وسميت بعناس عم رسول الله، وقد سميت بحير البرية محمد، فأما حسن وحسين ومحسن (٥)، فإنما سماهم رسول الله ﷺ وعق عنهم وحق رؤوسهم (٦)، ونصدق ورتب، وأمر بهم فسمو وخشرو (٧)، فقد ولدوا في عهد عليه الصلاة والسلام، ورسول الله هو الذي سماهم وعق عنهم.

(١) انتهى من باب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، ص (٤٣)، وشرح أصول عقاب أهل السنة للإكثافي رقم (٤٤٥٦)

(٢) أبيض: شارب الاختلام

(٣) الذؤابة: هي الشعر المضغوط من شعر الرأس

(٤) الجمرة: من شعر الرأس؛ ما سقط على التكتين

(٥) أسند أحمد (١/١٥٧) رقم (٧٦٩) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح

(٦) المختصر من كتاب الواقعة ص (١٤١)

(٧) وخشروا، اختر للرجال، والخلف للنساء، المختصر من كتاب الواقعة ص (١٤١)

٤. أبوبكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي اختصاص عظيم:

قد عرف بالتواتر الذي لا يحفى على العامة والخاصة أن أبوبكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي ﷺ اختصاص عظيم، وكانوا من أعظم الناس اختصاصاً به، وصحبة له وقربة إليه، وقد صاهرهم كلهم، وكان يحبهم ويشتي عليهم، وحيشد فيما أن يكونوا على الاستقامة طهرًا وباطنًا في حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته، أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القرب فأحد الأمرين لازم، إما عدم علمه بأحوالهم، أو مدهشته لهم، وأيهما كان فهو من أعظم القدح في الرسول ﷺ كما قيل:

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَبِتِلْكَ مُصِيبَةً

وَأِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ

وإن كانوا انصرفوا بعد الاستقامة فهذا حذلان من الله للرسول في حواص أمته، وأكابر أصحابه، ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله، فكيف يكون أكابر حواصه مرتدين؟ فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول ﷺ كما قال الإمام مالك وغيره إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ﷺ ليقول القائل رحل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين، ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة^(١).

٥. ما يترب عليه في مذهب الرافضة من تكفير الصحابة:

إن مذهب الرافضة في تكفير الصحابة يترتب عليه تكفير أمير المؤمنين؛ لتخليه عن القيام بأمر الله، ويلزم عليه إسقاط تواتر الشريعة، بل مطالبتها مادام نقلها مرتدين، ويؤدي إلى القدح في القرآن العظيم؛ لأنه وصلنا عن طريق أبي بكر وعمر وعثمان وإخوانهم، وهذا هو هدف وضع هذه المقالة، ولذلك قال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل يتقصص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فاعلم

أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسر أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة^(١)، ولذلك اعترفت كتب الشيعة أن الذي وضع هذه المقالة هو ابن ساء، فقالت: إنه أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن علياً يرضى أمره بذلك^(٢).

٦. قرائن عملية وأدلة واقعية على حقيقة العلاقة بين علي والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم :

قدمت القرائن العملية والأدلة الواقعية من سيرة أمير المؤمنين علي في علاقته مع إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان مما اشتهر وذاع بقله، وقد نقلنا مه الكثير فيما مضى ما يثبت المحبة الصادقة والإخاء الحميم بين هذه الطليعة المختارة، والصموة من حبل لصحابة رضوان الله عليهم، ونأتي في مقدمة هذه الأدلة والقرائن تزويج أمير المؤمنين علي ابنته أم كلثوم لأمير المؤمنين عمر^(٣)، فإذا كان عمر فروق هذه الأمة قد صار عند الشيعة الروافض أشد كفرة من إبليس، أفلا يرجعون إلى عقولهم ويتدبروا فساد ما يتسهي إليه مذهبه؟ إذ لو كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما كافرين كما يفترون لكان علي بتزويجه ابنته أم كلثوم الكرى من عمر رضي الله عنه كافراً أو فاسقاً معرضاً بته للزنى، لأن وطء الكافر للمسلمة زنى محض^(٤)، ولعاقل المنصف البريء من العرص، الصادق في محبته للسبي رضي الله عنه وأهل بيته واتاعه لهم لا يملك إلا الإدعاء لهذه الحقيقة، حقيقة الولاء والحب بين الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ولذلك لما قبل لعز الدولة أحمد بن بويه - وكان رافضياً يشتم صحابة رسول الله - إن علياً رضي الله عنه روح ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، استعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وناب وتصدق بأكثر

(١) «الكفاية» ص (٤٩)

(٢) «الخلاصة» والفرق للظبي ص (٢٠) خلافاً من «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٣)

(٣) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٢)

(٤) المصدر نفسه (٢/ ٩٣٢)

من ماله، وأعتق محابيه، ورد كثيراً من المظالم وبكى حتى عشي عليه^(١)؛ لشعوره بعظم جرمه فيما سلف من عمره، الذي أمصاه بنهش في أعراض هؤلاء الأظهر مغرّ شبهات الروافض^(٢)، وقد حول شيوخ الشيعة الروافض إبطال مفعول هذا الدليل؛ فوضعوا روياً مكذوبة عن لسان لائمة تقول: ذلك فرح عصبته^(٣)، فرادو، الطين بلة، حتى صوروا أمير المؤمنين في صورة «الديوث» الذي لا ينفخ عن عرضه، ويقر الفاحشة في أهله، وهل يتصور مثل هذا في حق أمير المؤمنين علي بطل الإسلام؟ إن أدنى العرب لبذل نفسه دون عرضه، ويقتل دون حرمه، فضلاً عن بي هشم لذين هم سادات عرب وأعلامها ربّ وأعظمها مروءة وحمية، فكيف يشنون لأمر المؤمنين وابنته حميدة رسول الله ﷺ مثل هذه المنقصة الشنيعة، وهو الشجاع الصديق، ليث بني غالب، أسد الله في المشارق والمغارب؟^(٤)

ويبدو أن بعضهم لم يعجبه هذا التوجيه، فم التخصيص من هذا الدليل بمنطق أعرب وأعجب، حيث زعم أن أم كلثوم لم تكن بنت علي؛ ولكنها جنة تصورت بصورتها^(٥)، فأنو، بما يستخف به أصحاب العقول، ويستطيع كل من أراد أن يدعي على من يكرهه بأنه جني أو حنيفة، وهكذا يعيش الناس في الخرافات وتضيق الحقيقة.

ومن انقراض أيضاً علاقات القرى القائمة بينهم، ووشنح الصنة، وكذلك مظاهر المحبة، حتى إن عياً والحسن والحسين - كما مرّ معاً - يسمون بعض أولادهم باسم أبي بكر وعمر، وهل يطيق أحد أن يسمي أولاده بأسماء أشد أعدائه كفرةً وكرهاً له؟ وهل يطيق أن يسمع أسماء أعدائه تتردد في أرحاء بته يرددها مع أهله في يومه مرات وكرات؟^(٦)

(١) «انتظم» (٣٨/٧)، (٣٩).

(٢) «أصول مذهب الشيعة» (٩٣٧/٢).

(٣) «مروج الذهب» (١٠/٢)، و«أصول مذهب الشيعة» (٩٣٧/٢).

(٤) «توضيح المساجد» للسويدي ص (٨٦) بدلاً من «أصول مذهب الشيعة» (٩٣٧/٢).

(٥) «الأنوار النعمانية» (٨٣/١ - ٨٤) بدلاً من «أصول مذهب الشيعة» (٩٣٨/٢).

(٦) «أصول مذهب الشيعة» (٩٣٨/٢).

بن أمير المؤمنين علي عليه السلام لا يحفظ عنه الصحابة ومن تبعهم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلا محبة أبي بكر وعمر وعثمان عليه السلام في حياتهم وفي خلافتهم وبعد وفاتهم، فأما في خلافتهم فسامع لهم مطيع، يحسنهم ويحبونهم، ويعظم قدرهم ويعظمون قدره، صادق في محبتهم، مخلص في طاعة لهم، يجاهد من يجاهلون، ويحب ما يحبون، ويكره ما يكرهون، يستشيرونه في التوارل فيشير مشورة ناصح مشفق محب، فكثير من سيرتهم بمشورته حرت^(١)، وهم يبادلونه نفس الشعور ويقال: إنه لا يجتمع حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلا في قلوب أتقياء هذه الأمة^(٢)، وقال سفيان الثوري: لا يجتمع حب عثمان وعبي بن أبي بكر إلا في قلوب سلاء الرجال^(٣)، وقال أنس بن مالك: قالوا: إن حب عثمان وعبي بن أبي بكر لا يجتمعان في قلب مؤمن، كذبوا. فقد جمع الله عز وجل حبهما بحمد الله في قلوبنا^(٤).

سابعاً: وصف لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَذَكَّرُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الرُّعَاةَ لِغَيْظِهِمْ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النح: ٢٩).

ومن المناسب أن أحتم هذا الفصل بهذه الآية الكريمة لتكون دليلاً على ما ذكرته من المحبة والرحمة والتعاون بين الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، وهذه الآية تضمنت ذكر منزلة الرسول صلى الله عليه وآله، بل شاء ثم شئ الله تعالى فيها بل شاء على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فذكر تعالى أن صفاتهم الشدة والعلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالتواضع والتعطف فيما بينهم، ووصفهم

(١) الشريعة للأجري (٥/ ٢٣١٢).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٢٣١٢).

(٣) حلية الأولياء (٧/ ٣٢٢).

(٤) الشريعة للأجري (٥/ ٢٣١٢). وسند صحيح.

بأنهم يكثر من الأعمال الصالحة المفروضة بالإحلاص وسعة الرجاء، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة استغناء لحصول على فضل من الله ورضوان، كما بين سبحانه أن كثر ذلك يظهر على وجوههم «سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ» والسيماء العلامة وقد قيل بها يابض يكون في الوجوه يوم القيامة قلبه الحسن وسعيد من حير وهو روية عن ابن عباس رضي الله عنه، ورواية أخرى عنه وعن مجاهد، السيماء في الدنيا هو السميت الحسن، «وعن مجاهد أيضاً: هو الخشوع والتواضع»^(١).

وهذه الأقوال لا مسافة بينها إذ يمكن أن يكون في الدنيا هو السميت الذي يشأ عن اتواضع والخشوع، وفي الآخرة يكون في جباههم نور^(٢) قال بن كثير والصحابة رضي الله عنهم حلقت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهدبهم، وقال مالك رحمته الله بلغني أن الصدي كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الخواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأصلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نوه الله - تبارك وتعالى - بذكرهم في الكتب المبررة والأخبار المتداولة، ولهذا قال - سبحانه - ههنا «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ» ثم قال «وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْأُهُ» أي، فراحه «فَأَرَّهُ» أي شده وقراه «فَاسْتَفْظَ» أي شب وطال «فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يُعْجَبُ الزُّرَّاعُ» أي فكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آرووه وأيسوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الرزع «لَيُعْطِيَهُمُ الْكُفَّارُ» ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك - رحمه الله عليه - في رواية عنه تكفير لروافض الذين ينقصون الصحابة رضي الله عنهم قال لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كفر لهذه الآية، ووفق طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك، ثم قال تبارك وتعالى «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

(١) تفسير الطبري، ٢٦ / ١١١-١١٢، وتفسير القرطبي، ١٦ / ٢٩٣-٢٩٤

(٢) تفسير الطبري، ٢٦ / ١١٢

الصالحات منهم» أي: ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً ووعده الله حق وصدق لا يحلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ولهم المفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم وحمل جنت الفردوس مأواهم وقد فعل^(١)، وفي قوله - سبحانه - في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم «ليغيظ بهم الكفار»، أحضر حكماً، وأعلظ تهديداً، وأشد وعيداً في حق من عيظ بأصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه عل لهم^(٢)، وأما قوله تعالى في ختام الآية: «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا» فيها وعد من الله تعالى لجميع الصحابة بالجنة، وكذلك كل من آمن وعمل الصالحات من أمة الإجابة إذ هذا الوعد عام لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة^(٣)، وكلمة «منهم» في الآية السابقة: لبيان الحسن وليست للتبعية. قال ابن تيمية: ولا ريب أن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات وهو الشدة على الكفار، والرحمة بينهم، ولتركوع والسجود يشعرون فضلاً من الله ورصوناً، والسيما في وحوهم من أثر السجود، وأنهم يستندون من ضعف إلى كمال لقوة والاعتدال كالزراع، ولوعد لهم بالمعصرة والآخر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات بل على الإيمان والعمل الصالح فذكر ما به يستحقون الوعد، وإن كانوا كلهم بهذه الصفة ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنهم مجرد ما ذكر يستحقون المغفرة والآخر العظيم، ولم يكن فيه بيان سبب الخراء بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح، فإن الحكم إذا علق باسم مشتق مناسب كان ما منه، لا اشتقاق سبب الحكم^(٤).

إن ما ذكرته في هذا المصل ينسجم كلياً مع حديث القرآن الكريم عن الرحمة بين الصحابة والشدة على الكفار وخصوصاً بين الخلفاء الراشدين، فهم السادة الكرام، وعلية القوم، وقادة الأمة بعد وفاة نبيها، فالحذر كل الحذر من الروايات الصعبة والقصص الموضوعة التي اختلقها أعداء الأمة؛ ليشوهوا بها

(١) تفسير ابن كثير (٦/٣٦٥). (٢) فليس من هدي الإسلام، لعبد المحسن القليل من (٨٦).

(٣) مقيدة أهل السنة من الصحابة (١/٧٦). (٤) منهاج السنة (١/١٥٨).

٢٣٤) ————— اسمى المطالب في سيرة

تاريخ صدر الإسلام، أنصت الروايات الكادمة والفصوص الواهية التي تصور العداء بين الخلفاء الراشدين، أم نصدق كتاب ربنا وما جاء في حقهم على لسان نبي، وما يوافقه مما دونه العلماء الثقات من أهل السنة والجماعة؟

قال تعالى: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأعراف ١٦٣) فهذا وصف القرآن الكريم لحقيقة الألفة بين قلوب الصحابة، فهي محبة رديية، ونعمة إلهية أعطاه الله لذلك الجيل الطاهر، لا دخل لبشر فيها، وبين القرآن الكريم أن الألفة بين الصحابة نعمة من الله تعالى امتن بها على رسول الله ﷺ، وهذا التصوير القرآني لحقيقة الصحابة ينسجم مع الروايات الصحيحة التي تين محبة الصحابة ولودة بينهم، وبذلك يفتضح أمر الذين وصعوا الروايات المكذوبة والموضوعة، والآية تشمل كل من سار على هدي القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين، قال ابن عباس رضي الله عنه: قراءة الرحم تقطع، وسنة الممعم تكفر، ولم نر مثل تفارب القلوب (١).

قال الشاعر:

وَلَقَدْ صَحَبْتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبَرْتُهُمْ
وَيَلَوْتُ مَا وَصَلُوا مِنَ الْأَسْبَابِ
فَإِذَا الْقِرَابَةُ لَا تُقَرِّبُ قَاطِعًا
وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَسْبَابِ (٢)



(١) «فند المشرود في تفسير المأثور» (١/٤ - ١٠٠)

(٢) أنصت نصه (١/٤ - ١٠٠)

علي بن أبي طالب عليه السلام (٢٦٣)

● قال سعيد بن زيد رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول النبي في الجنة وأبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وظلحة في الجنة والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة وسعد في الجنة ولور شئت أن أسمي العاشر^(١)

● قالت أم سلمة رضي الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول من سب علياً فقد سبني^(٢).

● جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان رضي الله عنه ، فذكر محاسن عمله ، قال : لعل ذلك يسوؤك؟ قال : نعم . قال : فأرغم الله بأنك ثم سأله عن عبي فذكر محاسن عمله قال : هو ذلك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ ثم قال : لعل ذلك يسوؤك؟ قال : أجل قل فأرغم الله بأنك انطلق وحده على جهك^(٣) . هذه بعض الفصائل الثمانية لعلي رضي الله عنه ، وأما صفاته رضي الله عنه ، فقد كان صفات القائد الرباني المصحفي في سبيل الله وكتابه وسنة نبيه ، ومجملها في أمور ويركز على بعضها بالتفصيل ، فمن أهم هذه الصفات : سلامة المعتد ، والعلم الشرعي ، وثقة الله ، والقدوة ، والصدق ، والكفاءة والشجاعة ، والمروءة ، والزهد ، وحب النصيحة ، وحن اختياره لمعاويه ، والنواصيح والحلم والصبر ، وعلو الهمة والحرم والإرادة القوية ، والعدل ، والقدرة على التعليم وإعداد القادة ، وغير ذلك من الصفات التي ظهرت للساحح في الفترة المكينة في صحبته للنبي ﷺ ، وفي العهد المدني في غرواته مع رسول الله وحياته في المجتمع ، وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة الراشدية وأصبح أمير المؤمنين رضي الله عنه ، ومن أهم هذه الصفات :

أولاً: العلم والفقه في الدين:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من علماء الصحابة الكبار ، وقد تميز رضي الله عنه بحجده في التحصيل ، والتحري في قبول العلم ، والسؤال في طلبه ، واستخدم وسائل

(٢) الصحيح المسنود من (١٢١).

(١) الصحيح المسنود من (١١٧).

(٣) الصحيح المسنود من فضائل الصحابة من (١٢).

ضبط المعلوم في زمنه، من كتابة، وتعهد، ولزوم النبي ﷺ، حيث يقول ﷺ في جمعه للقرآن الكريم: ألبت يمين ألا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن^(١)، وقال: ما دخل نوم عيني، ولا غمض رأسي على عهد رسول الله ﷺ حتى علمت ذلك اليوم ما نزل به جبريل ﷺ، من حلال أو سة، أو كتاب، أو أمر، أو نهى، وفيمن نزل^(٢)، وكان ﷺ يتلقى البص من رسول الله ﷺ مباشرة، ولكن عندما يبلغه الحديث من غيره فإنه يكون شديد التحري في قبوله، خشية أن يسبب لرسول الله ﷺ قولاً لم يقله، وبما يدل على هذا المصحح قوله ﷺ: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله حديثاً فحفظته منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه ستحيته. فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله يقول: «ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له». ثم قرأ هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَنَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ (ال عمران، ١٣٥) إلى آخر الآية^(٣)، نعم، علي بن أبي طالب ﷺ يستحلف أصحاب رسول الله ﷺ وهم الثقات العدول، ما هذا إلا دليل على شدة تحريه في تلقي الحديث الذي يتلقاه من غير رسول الله ﷺ^(٤).

وكان ﷺ صاحب لسان سؤول وقلب عقول، فقد قل: ... إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً^(٥)، وعلى ﷺ كثرة علمه بطلبه إياه من رسول الله ﷺ بالسؤال، بقوله: كنت إذا سألت أعطيت وإذا سكنت انتديت^(٦)، وعدم يكون عائق الحب بينه وبين رسول الله ﷺ بتغيب عليه بطلب من أحد الصحابة سؤال رسول الله ﷺ، فعن محمد بن الحنفية قال: قال علي كنت رجلاً مذاء^(٧)، فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ، فأمرت المقداد بن الأسود

(١) الطهات: (٣٣٨/٢) أجمع القرآن أحفظ

(٢) مسند الإمام زيد: ص ٢٠٣ (٣٤٣) ملاً من مصحح علي بن أبي طالب في الدعوة

(٣) الصحيح من فروع علي: (١٢٨/١)، ومشكاة المصابيح: (٤١٦/١)

(٤) مصحح علي بن أبي طالب في الدعوة: ص (٥٢) (٥) الطهات: (٣٣٨/٢) وخلاصة: (٦٧/١)

(٦) فضائل الصحابة: (٦٤٧/٢) وإسناده صحيح. (٧) أي كثير المدي وهو ما يخرج عند الملاعبة

فسأله فقال: فيه الوصوء^(١)، وكان عليه السلام يحذر الدس من ترك العلم بسبب الحياء، فقد قال: ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم^(٢)، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، وكان أمير المؤمنين عليه السلام من بين القلة من المسلمين الذين كانوا يعرفون الكتابة في صدر الإسلام، وفوق هذا فقد كان من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وقد ساعدته هذه مهارة في القراءة والكتابة على التحرف في لغوم لشرعية، وكان عليه السلام يرى أن تكون كتابة لخصوص بحط بين مع التفریح بين السطور، والتفريق بين الحروف، فعن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الخط علامة، فكما كان أين كان أحسن^(٣)، وقد أمر كاتبه عبيد الله بن أبي رافع بقوله: ألف دوائك وأطر سن قلمك، وافرج بين السطور، وفرمط^(٤) بين الحروف^(٥)، وعن أبي حكيمة المدي قال: كما نكتب المصاحف بالكوفة، فيمر عليها علي ويحسن نكتها فيقول: أحل فمك^(٦)، قال: فقططت مني، ثم كتبت فقال هكذا نوروا ما نور الله^(٧)، وكان عليه السلام يتعهد ما تعلمه بالعمل وتطبيقه، وكان من أحرص الناس على تطبيق ما سمعه من رسول الله ولو كان ذلك في أصعب الظروف، كما مر مع في تعليم رسول الله له ولسيدة عاتمة عليها السلام^(٨)، فقد قال أمير المؤمنين ما تركته من سمعته من النبي ﷺ، قيل له: ولا ليله صمير^(٩)، قال: ولا ليلة صمير^(١٠)، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ضغط لنص بالعمل به بقوله: تعلموا لعلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله^(١١)، وكان يرى أن العالم لا يسمى عالم إلا إذا كان عاملاً بعلمه، لذلك يقول محطاً حملة لعلم يا حملة العلم، اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه صمير^(١٢).

(٢) نصف من أبي شيبة (٢٨٤/١٣)
(٤) فرمط بين الحروف أي قرب بينها
(٦) أي عظم قلمك، وهو كناية عن تكبير الخط
(٨) مسند (٩١/٤) ٩١، ٩٢، ٩٣
(١٠) بيان العلم وفضله، ص (٢٨٥)

(١) مسند، (٢٤٧/١)
(٣) الجامع لأحلاق الراوي (٢٦٢/١)
(٥) الجامع لأحلاق الراوي (٢٦٢/١)
(٧) الجامع لأحلاق الراوي (٢٦٠/١)
(٩) الهدية والنهاية (٦/٨)

وقال عليه السلام . هتف العلم بالعمل فإن أحاب ولا أرحل^(١) . وكان علي عليه السلام من المكثرين من الفتوى في أصحاب رسول الله ﷺ ، قال ابن القيم الدين جعلت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله مائة وربع وثلاثون مائة ، ما بين رجل وامرأة ، وكان المكثرون منهم مائة ، عمر بن الخطاب ، وعبيد بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر^(٢) وقد عد ابن حزم علي عليه السلام في المرتبة ثالث من بين الصحابة عليهم السلام في كثرة الفتوى ، وسيأتي الحديث بذكر الله تعالى عن المسائل القصصية ، وكثيراً من اجتهاداته الفقهية ، عند حديثنا عن المؤسسة القصصية وكان عليه السلام يحث على التزاور والمدارسة ، حيث يقول تزوروا وتدارسوا الحديث ، ولا تتركوه يدرس^(٣) ، وفي رواية . تزاوروا وتحدثوا ، فإن لم تعملوا فمعه يدرس^(٤) . وكان أمير المؤمنين عليه السلام يحث على نزوم الشيخ ، والحرص على الأخذ منه ، ويقول ولا تشبع من طول صحبته ، وإنما هو كالحلقة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء^(٥) ، وقد تهيأ لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، ملازمة رسول الله ﷺ صغيراً حين تربى في حجره ، وكبيراً حينما كان صهره وولد سبطيه . فكان بذلك قريباً من رسول الله ، يأخذ عنه ويتعلم منه ، وقد شهدت السيدة عائشة عليها السلام لعلي عليه السلام بلزومه لرسول الله ﷺ . فعن المقدم بن شريح ، عن أبيه قال : سألت عائشة عليها السلام فقلت أخبريني برجل من أصحاب النبي ﷺ أسأله عن المسح على الخفين ، فقالت : أنت عمراً مسلمه ، فإنه كان يلزم النبي ﷺ قال فأتيت عمياً فأسأته ، فقال أما رسول الله ﷺ بالمسح على خفافنا إذا سهرنا^(٦) ، وكان عليه السلام يرى الاستقاء في العلوم فقد قال : العلم أكثر من أن يحفظ ، فخذوا من كل علم محاسنه^(٧) ، وقد وصل من العلم مرتبة جعلته يقول

(١) انتهى علي بن أبي طالب عليه السلام (٦٣) .

(٢) «جامع لأخلاق الراوي» (١/٢٣٦) .

(٣) اشرف أصحاب الحديث المجلد (٩٣) .

(٤) محمد أحمد (١٩٥/٢) ، وإسناده صحيح ، تحقيق محمد شاكور .

(٥) إعلام الموقعين .

(٦) تذكرة السامع (١٠٠) .

(٧) تاريخ الخلفاء (٥/٢) .

للناس وهو في العراق سلوبي، فمن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: ما كان أحد من الناس يقول: سلوبي خير علي بن أبي طالب رضي الله عنه ^(١).

وقد وثق الناس بعلمه سواء الصحابة أو التابعين، فمن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا أنا التفت عن علي لم نعد له ^(٢)، وعنه أيضا قال: إذا حدثنا ثقة عن علي بمنى لا بعدوها ^(٣)، وعن سويد بن عفلة أنه جاءه رجل يسأله عن فريضة رجل ترك آتته وامراته، قال: أنا أملك قضاء علي، قال: حسبي قضاء علي، قال: قضى علي لأمراته الثمن، ولأبنته النصف، ثم رد البقية على آتته ^(٤)، وقد أثنى الناس عليه في علمه، فمن عائشة رضي الله عنها قالت: أم إنني أعلم الناس بالسنن ^(٥)، وكان معاوية رضي الله عنه يكتب فيما يرسل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب لصفه والعزم بموت ابن أبي طالب رضي الله عنه ^(٦)، وعن الحسن بن علي رضي الله عنه، أنه خطب الناس بعد وفاة علي رضي الله عنه فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون ^(٧)، وعن عبدالله بن عباس بن أبي ربيعة - وقد سئل عن علي رضي الله عنه - فقال: كان له والله ما شاء من خسر قاطع، السطة ^(٨) في لسانه، وقرآنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصاهراته، والسابقة في الإسلام، والعلم بالقرآن والفقه بالسنن، ولتجدة في الحرب، والخود في الماعون ^(٩)، وعن مسروق قال: انتهى علم أصحاب رسول الله إلى عمره وعلي، وابن مسعود وعبدالله رضي الله عنه ^(١٠).

وقد ترك أمير المؤمنين رضي الله عنه نصائح وإرشادات لطلاب العلم والعلماء والفقهاء تستحق أن تحفظ ويعمل بها ومن هذه النصائح:

(١) الاستيعاب ص (١١٠٤)

(٢) مسند قديمي (٢/٣٧٥)

(٣) الاستيعاب ص (١١٠٨)

(٤) الاستيعاب ص (١١٠٣)

(٥) حقيقته (٣/٣٣٨)

(٦) الاستيعاب ص (١١٠٤)

(٧) فضائل الصحابة (٢/٢٩٥)، وإسناده صحيح

(٨) السطة: التوسط، والوسط في النسب هو أكرمهم وأشرفهم

(٩) دحاجر العقي: لمحيط الفهم الطبري (ص ٧٩)

(١٠) تاريخ السوطي ص (١٩٦)

١ - الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجا، وهمج رعاع أتباع كل ناعق:

روى الحافظ أبو نعيم عن كميل من زياد قال: أحد علي بن أبي طالب عليه السلام بيدي فأخرجني إلى ناحية الجحان - يعني الصحراء - فلما أصبحن جئنا ثم نكس ثم قل يا كميل من زياد، القلوب أوعى فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك. الناس ثلاثة عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجا، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يمينون مع كل ربح، لم يستضيئوا بسور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق^(١)، إن هذه الوصية الليفية قد اشتملت على دُرر المواعظ وعُصَر الحكيم، فقد قسّم أمير المؤمنين عليه السلام الناس إلى ثلاثة أقسام:

(١) العلماء الربانيون: والمقصود بالعلماء علماء الدين، والربانيون الذين يجمعون بين الفقه والحكمة كما جاء في تفسير من عباس عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ (ال عمران ٧٩). قال حكماء فقهاء، أخرجهم الإمام البحاري، وبذلك فسره عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه^(٢). هذين يجمعون بين الحكمة والفقه هم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها؛ لأن الحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب ومن ذلك التوفيق إلى تطبيق الحكم الشرعي على واقع الناس، ودن يقتضي فهما دقيقاً لواقع المجتمع الإسلامي، ومن الحكمة «قيام بتربية الأمة بهذا الدين». وذلك يقتضي الجمع بين تعليم الدين والتربية على لتقوى ومكارم الأخلاق. وأما الفقه فهو فهم الأحكام لدية من مصدرها الشرعية، ولذلك كان العلماء الربانيون هم أفصل الأمة؛ لأنهم جمعوا بين فصيلتين تلقى لعلم، والتعلم مع التربية، فهم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها^(٣). وقد عرف أمير المؤمنين عليه السلام الربانيين بأنهم هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونها عليها^(٤).

(١) حلية الأولياء (١/٧٥)، واصله الصغرى (١/٣٢٩).

(٢) التاريخ الإسلامي للحسيني (١١/١٢٠، ١٢/٤٣٨).

(٣) التاريخ الإسلامي (١/١٢٠، ١٢/٤٣٨).

(٤) الصغرى (١/٤٩).

(ب) طلاب العلم الذين اخلصوا حياتهم في طلب العلم؛ ليكون وسيلة إلى غياتهم من المسؤولية أمام الله تعالى. وقد صرح علي عليه السلام عن هذا القسم بقوله. ومتعلم علي سبيل نجاه وهذا لا يحتص بالدارسين الذين تفرغوا لطلب العلم. وإنما يشمل كل من حمل مسؤولية تطبيق هذا الدين. وأهمه أمر لنجاة في الآخرة. فاستغنى في أمور دية العلماء الربانيين، ليعبد الله على بصيرة وليستقيم في معاملته مع الناس على منهج الله، فهذا يعثر من المتعلمين على سبيل نجاه وإن لم يحل في حلقات العلم^(١)، إن أمير المؤمنين علي عليه السلام يرى أهمية إحلاص الية لله في طلب العلم ويدعوهم لتقديم ما عند الله والدار الآخرة على حطام الدنيا وشبهوات النفس والدعوة إلى كتاب الله وصلة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والحق والصبر على ذلك.

(ج) الذين همحروا العلم الديني ولم يكن لهم ارتباط بالعلماء الربانيين في معرفة أمور دينهم. وقد عرَّ عنهم أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله. وهَمَّجُ رِيعَ أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَفْهِثُوا بَنُورَ الْعِلْمِ.

تحدث أمير المؤمنين عن صف الهمج الرعاع أنواع كل ناعق الدين يميلون مع كل ريح وليس لهم نور يستصينون به وحذر من هذا الصنف الإمعي، وكأنه يريد يدعو الناس بأن يكون همهم الحق والثبات عليه. وأن يعمروا الدنيا والآخرة بطاعة الله وأن يستصينوا نور الله ويجعلوا الدنيا مظية للآخرة

٢. المقارنة بين العلم والمال:

وحاء في وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام لكميل بن زياد العدم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال. العلم يركو على العمل وأمال تنقصه الثقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصعة المال تروى برواله ومحنة العالم دين يدا به، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحذوثة بعد مماته، مات حزَّان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة

وأمثالهم في القنوب موجودة^(١)، عقد أمير المؤمنين علي عليه السلام مقارنة بين العلم والمال، باعتبار أن العلم الشرعي هو عماد أهل الآخرة ومعقد عزهم وشرفهم في الدنيا والآخرة، والمقصود بالمال هنا الذي يجمعه صاحبه للذاته ولا يتوجه فيه بالطاعات وفق شرع ربه، وقد سوغ هذا الحكم بعدة أمور:

(أ) إن العلم يحرس صاحبه بينما صاحب المال هو الذي يحرسه، وأما حراسة العلم صاحبه فإن العلم الإلهي بقي صاحبه من المهالك في الدنيا والآخرة، فأما أمر الآخرة فظاهر معلوم، حيث إن هذا لعلم يقود صاحبه إلى رضوان الله تعالى والجنة ويحنبه طريق الدار، وما أعظمها من مطالب وما أبلغها من مكاسب، وأم الوفاية من مهالك الدنيا فإن لسعادة لروحية الحق لا تكون إلا باليقين الذي تتصلل أمامه الحياة لدنيا فتصح جميع مآسيها ونكباتها، برداً وسلاماً على أصحاب اليقين؛ لأنهم لا يلقون لها بالا ولا يعيرونها اهتماماً، بينما تنحول هذه المآسي والكبت إلى حية جحيمية على أهل الدنيا الذين يعتبرون الحياة الدنيا هي رأس المال والمكسب، وأما حراسة المال ماله فأمرها ظاهر، فكم تملل أصحابها من نهم واخوف عليها تملل المريض وباتو يحرسون أموالهم بلهم والقلق واخزن المتهك^(٢)، والعلم ينور بصيرة صاحبه في الاختيار الأفضل وهي استخلاص العسر من الأمم المضيق، والعيش بها في الحياة والعلم يفتح آفاقاً واسعة في فقه اخلاف، ومعرفة المصالح والمقصد، وترتيب الأولويات فيسير صاحبه بنور بين الناس.

(ب) إن العلم ينمو ويتوسع بالعمل؛ لأن العمل تطبيق للعلم فهو بذلك يزيده عمقاً في الذاكرة بخلاف المال، فإن الإنفاق منه ينقصه، ولا يفني عن البال أن المقصود هنا أموال أهل الدنيا التي ينفقونها منها من أجل الدنيا، أما أموال أهل الآخرة فإنها مسكومة بالعمل الشرعي، فالإنفاق منها يزيدها نمواً كما جاء في قول الرسول ﷺ: «ما نقص مال عبد من صدقة»^(٣).

(١) أحلية الأولياء (١/٧٥)، واصفة الصغرة (١/٣٢٩)

(٢، ٣) التاريخ الإسلامي للمعدي (١٢/١٤٢)

(ج) إن العلم الشرعي حاكم لأنه به تنتظم شؤون الحياة، وعلى منهاجه يجب أن تقرر جميع الأنظمة التي تحكم لناس، فهو الحاكم الحقيقي، أما المال فإنه محكوم عليه؛ لأن صدره وإيراده يخضع للأنظمة الحاكمة سواء كانت شرعية أو غير شرعية^(١).

(د) إن العلاقات الاجتماعية التي تقوم على المصالح الدلية المشتركة تزول بزوال المال؛ لأنه هو الذي عقد تلك العلاقات بناء على تبادل المصلحة بوجوده فإذا زالت تلك المصالح، أما العلاقات الأخوية التي تقوم على تبادل العلم لشرعي بين العالم ومحبيه فإنها باقية حادثة في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزمر: ١٧)

(هـ) إن العلم الشرعي يكسب صاحبه ولاء المسلمين وطاعتهم لاهله اختصاراً منهم من غير أن تفرص عليهم هذه الطعمة، وذلك على امتداد حياتهم كما يكسبهم الذكر لحسن بعد مماتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث لا يفقد الناس إلا صورهم وأشكالهم، وإن لو استعرضنا التاريخ إلى عصرنا هذا نوجد العلماء من عهد الصحابة رضي الله عنهم تتردد أسمائهم، ويذكر التاريخ حياتهم في الكتب والخطب ولدروس علمية، بينما اندرست أسماء كبار أهل ندي بانقضاء حياتهم، وأحياناً يشاهدون انطفاء سمعتهم وهم أحياء^(٢).

٣. الفقيه كل الفقه :

هو الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله ولا يرخص لهم في معصية الله، ولا يدع القرآن رمة عنه إلى غيره، ولا حير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها^(٣).

في هذا النص يبين أمير المؤمنين عليه السلام أن من الفقه في الدين التزام صفة الاتزان والاعتدال في عرض أمور الدين ومحاولة إصلاح الناس، وذلك بأن يسير

(٢) التاريخ الإسلامي، للمصطفى (١٢/٤٤٣)

(١) التاريخ الإسلامي، للمصطفى (١٢/٤٤٢)

(٣) تحفة الأرباب (١/٧٧)، واهبة الصفوة (١/٣٢٥)

الداعية في حط وسط بين مقدمي الخشوف والرجاء ، فلا يطلق في تحويف الناس إلى أخذ الذي يجعلهم يقطعون من رحمة الله ، ولا يطلق في ترغيب الناس إلى الخلد الذي يجعلهم يأمنون من عذاب الله تعالى ، ولنجد علياً عليه السلام في هذا نص بين أن من مظاهر الفقه في الدين ألا يهوى العالم من شأن انصافي فيجري الدرس على ارتكابها ، وأن يحافظ على مستوى الإيمان والتقوى لدى الناس مع محاولة رفعهم نحو الكمال في ذلك ، كما يبين أن من الفقه أن يحاول العالم ربط المسلمين بكتاب الله تعالى ، وما بين علي عليه السلام أهمية القرآن الكريم وتمضي له المطلق على كل ما سواه ، وفيه تبيين أو تعميم للطريقة التي نتعامل بها مع القرآن الكريم ، والألّا يتحاوره إلى غيره رعة عنه ؛ لأنه مصدر الهداية الأول ، ومن المعلوم أن السنة نبوية مبادئ تفصيلي للقرآن الكريم ، فالتوجيه إلى القرآن يعتبر توجيهاً إلى السنة ، ثم يبين أن من أهم شروط العبادة الشرعية لمقبولة ، أن تكون صادرة عن علم بالكتاب والسنة وأن العلم لا يكون نافعا إلا إذا رافقه الفهم الصحيح ، ويختم وصيته بالفاعلة سان أهمية تدبر معاني كتاب الله تعالى حال السلاوة ؛ لأن الخير كل الخير في فهم مقاصد القرآن الكريم للعمل بأحكامه ، والتوجه الكامل لله بالقلب والعقل والروح والحوارج عند قراءته لكتابه ، وبذلك كل ما نستطيع لفهم مراد الله والعمل بأوامره واحتساب بواحيه والنحصر من كل العوائق التي تحول بيننا وبين كتاب الله ، فهذا يدعو لنجرد لله بالكلية وإخلاص الدين له ونحري مراد الله ورسوله ودين الحق ولو أدى إلى معارفة الأهل والمال والولد والوحاة النديوية ، فإن ما عند الله خير وأنقى ، والاتعاط بمواعظه وتنمية لإيمان بتذكر معاني هذا الكتاب العظيم^(١)

٤- ما أيردها على الكبد:

عن الشعبي عن علي عليه السلام أنه خرج عليهم وهو يقول : ما أيردها على الكبد فقيل له : وما دنت^٢ قال : أن تقول للشيء لا تعلمه : الله أعلم^(٣) .

(٢) الجامع سان العلم واصله (٦٦/٢)

(١) التاريخ الإسلامي (١٢/٤٣١ - ٤٣٣)

٥- أهل العلم والتعليم الناس:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا^(١)

٦- الخير في كثرة العلم لا المال والولد:

قال علي عليه السلام: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك. ويعظم حلمك، وأن تساهي الناس بمعاذة ربك. فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استعصرت الله، ولا خير في الدنيا إلا أحد رحيم، رجل أدب دنياً فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل^(٢).

٧- العلم والجهل:

قال علي عليه السلام: كفى بالعلم شرفاً أن يدعبه من لا يحسنه ويهرح به إذا سب إليه، وكفى بالجهل ضعة أن يترأ منه من هو فيه ويعصب إذا سب إليه^(٣)

٨- سبب زهد الناس في العلم:

قال علي عليه السلام: إنما زهد الناس في طلب العلم؛ لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم^(٤). وهذا فيه تحذير لعلماء السوء الذين يصدون عن سبيل الله ودعوة للعلماء بالعمل بعلمهم ودعوة الناس إليه والصبر على أذاهم في سبيل الله تعالى.

٩- من حقوق العلماء على أمتهم:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعتته باجواب، ولا تحل عليه إد كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تعشين له سرّاً، ولا تعتابر عنده أحدًا، ولا تعلق عشرته، وإن رل قلت معذرتة. وعليك أن توقره وتعظمه لله، ما دام يحفظ أمر الله، ولا تحلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته^(٥).

(٢) «فتحة الأولياء» ص (٧٥)

(٤) «غيب الحنين والدنيا» ص (٨٢، ٨٥)

(١) «تراث الكلام» ص (٣٦٦).

(٣) «تراث الكلام» ص (٣٦٦).

(٥) «تجارب بيان العلم وفوائده» (١/٥١٩).

١٠ - مكانة العلماء العاملين عند الله:

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : من عِلِمَ وعَمِلَ دُعِيَ في ملكوت السموات عطيماً^(١)، وهذه دعوة للعلم والعمل، وحث للسعي للمقامات العالية التي يكرم الله بها من علم وعمل ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى.

١١ - الاشتغال بالعلم أولى من الاشتغال بالعبادات التطوعية:

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم نلّم في الإسلام ثلّة لا يسدها إلا حلف مثله^(٢) وهذا لتوجيه فيه دلالة على فقه ترتيب الأولويات عند أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فهو يرى العمل المتعدي لخير الناس وهو العلم أولى بالتقديم من العمل التعدي، الذي ترحع فائدته على الشخص نفسه هذه بعض التوجيهات النافعة ولإرشادات الصالحة من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لطلاب العلم.

ثانياً: زهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وورعه:

فهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من خلال معاشته للقرآن الكريم وملازمته للسبي الامين عليه السلام ومصاحبه للمصحابة الكرام، ومن تفكره في هذه الحية بأن الدنيا دار اختار وابتلاه، فقد قرى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على كتاب الله، واستوعب الآيات التي تحدثت عن الدنيا وأخبرتنا بخسرتها وقتتها، وانقطاعها وسرعة فنائها، والآيات التي رغبت في الآخرة، وأحسرت بشرورها ودوامها، كقوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝١٥ أَمْ أَلْهَى أَهْلَ الْبُتُونِ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ۝١٦﴾ (الحجرات: ١٥-١٦)، وثرى على يدي النبي عليه السلام الذي كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو القائل عليه السلام : «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/١٩٧)

(٢) تنوير الربيع في ثواب العمل الصالح، للديلمي (ص ١٣)

بموضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»^(١)، وقد عليه السلام: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصمعه في اليمّ فلينظر بما ترحع»^(٢)، وقد عليه السلام: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(٣)، وقد تأثر أمير المؤمنين عي به بالترية لقراءة والسوية، فكان من أصدق لمدح التي ركب تربية النبي عليه السلام قال الله فيها ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ...﴾ (سورة البقرة: ١٢٩)، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في ازهد وهذه بعض النواقف المدهشة في هذا الباب:

١- يا صفراء، ويا بيضاء غوي غيري:

عن علي بن ربيعة الوالي أن علي بن أبي طالب عليه السلام جاءه من الناح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر، مقام متوكتنا على ابن الناح حتى قام على بيت مال المسلمين فقد.

هذا حناي خبار فيه

وكل حنان يده إلى فيه

باس الناح عي ناشيا الكومة، قال: فتودي في الدس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غوي غيري، ها، ها، حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمره بضحه وصلى فيه ركعتين، وفي رواية أخرى لأبي نعيم من حمر مجمع التيمي قال: كن علي عليه السلام يكتس بيت المال ويصلي فيه ويتخذ مسجداً رجاء أن يشهد له يوم القيمة.

هي هذا مثل بليغ في الترفع عن متع الدنيا الرائل، حيث المال قد امتلأ من الذهب والمضة، ولا ينظر إليه أمير المؤمنين علي عليه السلام نظرة إعجاب وغرور، بل كن جوابه حينما أبلغه المسؤول المالي عن ذلك أن قال: الله أكبر، فإذا كان بعض الدس يكبرون لدينا ويعظمونها فالله تعالى أكبر منها ومن كل شيء، وما دام المسلم يشعر حقاً بأن لله أكبر فلماذا يجعل قلبه مستسلماً لما هو أصغر؟، إنه فقه

(١) سنن الترمذي رقم (٤١١) صحيح عريب

(٢) مسلم رقم (٢٨٥٨).

(٣) أمثلة رقم (٢٨٥٦)

عظيم من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حينما تذكر هو ان الدنيا وحفرتها فكبر الله تعالى، ولسان حاله يؤنب من انخدع بمناج الدنيا الرائل وسي أن الله جل وعلا أكبر من كل شيء. وأنه لبران دقيق يحسه المؤمن الذي نوراً الله سبحانه بصيرته، فكلمنا كان الله تعالى أعظم وأكبر من كل شيء في قلبه كانت الدنيا وما فيها أهون شيء عليه، وأصبح يُسخر المسال الخلال في طاعة الله جل وعلا. وكلمنا عظمت الدنيا هي قلبه كان ذلك على حساب نقص تعظيمه لله تعالى، ويحمد أمير المؤمنين علياً عليه السلام يُحلّو في آفاق العظمة وهو يحاطب الدنيا بقوله: يا صفراء يا بفضاء عويّ عيري. مما يدل على الوجدان الحيّ والحسّ المرفه الذي يصور الدنيا كخصم يخاتل ويرواح خصمه. وهو بهذا يعلن انتصاره على جموح النفس وجنوح العواطف، ويحكم عقله الذي يعطي الدنيا حجمها المناسب لمرمها المحدود في شقائها ونعيمها، ويعطي الآخرة حجمها المناسب لمرمها المحدود في شقائها ونعيمها، ويعطي الآخرة حجمها المناسب لخلودها وعظمة نعيمها وهول جحيمها، ويحمد عليه السلام يصل إلى قمة المعالي حينما صلى في بيت المال ركعتين؛ لتكونا شاهدين له يوم القيامة بأنه عدل في حكمه واستقام في أمره، ولعل في اتخاذ بيت المال مسجداً رمزاً لعلو لأخرة على الدنيا. وهو مكمل للسلوك العالي الذي مارسه في نصريف ذلك المال في وجوهه المشروعة^(١).

٢. والله ما أرزؤكم من ما لكم شيئاً:

ومن مواقف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الرهد والورع ما رواه هارون بن عترة عن أنه قال دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام بالخوارج^(٢)، وهو يُرعد^(٣) تحت سمل قطيفة^(٤)، فقلت يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولاهل بيتك في هذا المال، وأنت تصع نفسك ما تصع، فقال والله ما أرزؤكم من

(١) التذريح: (إسلامي) (١٢/٢٢٧) للحمدي.

(٢) يرعد: من شدة البرد.

(٣) موضع بالكوفة

(٤) سمل قطيفة: يعني قطعة قديمة

مالككم شيئاً وإنها لفطيمتي التي خرجت بها من مرلي - أر قال من المدينة-(١).
وهنا تتساءل فتقول ما الذي حمل أمير المؤمنين علياً على أن يعيش عبثة الفقراء
وأن يتحمل الرد القارس وهو قادر على أن يشتري أحرار ما يوجد في الأرض
من الملاس؟ وأكثرها دفناً؟ إنه مثال للزهد الحقيقي حيث يرغب عن متاع الدنيا
مع القدرة على تحصيله، إنه تلميذ المدرسة السوية التي تربي فيها على الرهد في
متاع الدنيا الزائل، والتنافس على نعيم الآخرة الخالد. فلقد عثر رسول الله
ﷺ عبثة الفقراء وهو يستطيع أن يكون كأفضل الأعياء(٢).

٣- باعني رضي وأخذه رضاء:

عن أبي مضر عمر بن عبدالله الجهني قال رأيت علياً عليه السلام متزراً بإزار
مرتدياً برداء ومعه الدرّة(٣)، كأنه أعرابي بدوي، ثم ذكر دخوله إلى السوق
ومساومته أحد التجار في ثوب ثلاثة دراهم، وأن لتاجر عرفه، قال فلما عرفه
لم يشتري منه شيئاً. فأتى آخر فلما عرفه لم يشتري منه شيئاً. فأتى غلاماً حدثاً
فاشتري منه قميصاً بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو العلام فأخبره، فأخذ أبوه درهماً
ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، قال ما شأن هذا الدرهم؟ قال
كان ثمن القميص درهمين، فقال باعني رضي وأخذه رضاء(٤)، فهذا مثل في
الرهد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فنقد كان مظهره في لبسه
يوحى بأنه رجل أعرابي لخشونة ملابسه، وحينما اشترى له ثوباً احتار نوعاً
متواضعاً رخيص الثمن مع أنه كان آنذاك أعلى مسؤول في العالم، حيث كان
خليفة المسلمين، وهذا يدل على تواضعه ورهده في الدنيا، على الرغم بأن له
حظه من الميراث ومن بيت المال وغيرها من مصادر الدولة كشخص مفرع خليفة
وحاكم لمراعاة مصالح المسلمين، ومثل آخر في الورع والاحتياط للدين حينما
امتنع عن الشراء ممن يعرفونه حتى لا يراعوهم في ثمن لمصه، فهو لا يريد أن

(٢) التاريخ الإسلامي، (١٢٦/١٢٧٨)

(٤) الزهد ص (١٣٠)

(١) حجة الأولياء (١/٨٢) ودعوة الصغرة (١/٣١٦)

(٣) الدرّة بكر الدال وتشبيهاً بالمصا.

يستثمر مصبه الكبير لمصالحه الخاصة، وهذا فهم دقيق لمحالات الورع ولتقوى، وخلافة عنده وعند أمثله عمل صالح، ولخليفة إذا صاحبه لعدل كان أول السعة الدين يظلمهم الله تعالى في طله يوم لقيامة، فهو لا يريد أن يدنس هذا العمل الصالح بمصالح دنيوية فينتحون العمل إلى مَحَلَّة للورع بدلاً من الآخر، فكان بهذا السلوك العلي قدوة حسنة لمن أتوا بعده^(١).

٤- يخشع القلب ويقتدي به المؤمن:

قال عمر بن قيس: قيل لعلِّي رضي الله عنه: لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن^(٢)، فهد مثل من رمله رضي الله عنه وحرصه على تربية المسلمين على حياة الزهد والتقشف، فقد لاحظ في ببس الثوب لموقع مسحطين الأول إنه وسيلة إلى خشوع القلب وتواضع النفس، والبعد عن أسباب العجب والكبرياء، والثاني إنه يعتبر بذلك قدوة للمسلمين فإذا رآه الناس - وهو في أعلى مصب - يلبس الثوب اترقع فإن نفوسهم تتوضع ويتعدون عن التنافس في شراء الملابس العالية الثمن، ويتقوى بذلك ابراهدون الذين يتعرضون للامانة لناس على سلوكهم حياة الزهد^(٣).

٥- لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان:

عن عبد الله بن رزير الففقي قال: دخلت على عبي بن أبي طالب رضي الله عنه ففرت إليها خزيمة^(٤)، فقمت: أصلحك الله لو قرست إلب من هذا البط - يعني الور - فإن الله عز وجل قد أكثر الخير فقال: يا ابن رزير إبي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضمها بين يدي الناس»^(٥)، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(١) تاريخ الإسلام، (٤٢٩/١٢) لنجمي

(٢) تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦١٧) لنجمي.

(٣) تاريخ الإسلام، (٤٢٩/١٢) لنجمي

(٤) دحريرة: لحم يقطع ويصنع بالماء ويلو عليه الدقيق

(٥) مسند أحمد، (٧٨/١) إسناده صحيح لاله أحمد شاكر وهناك من ضعفه

يصرب مثلاً علي في الورع والزهد في منع الدنيا لثقل من طعام وشرب، فلقد كان بإمكانه أن يأخذ من بيت المال ما شاء من الأموال بما لا يلفت النظر إليه، حيث يؤمن له معيشة مسوية لأعياء المسلمين، ولكنه رضي بحشونة العيش؛ يشاراً للأجلة على العاجلة، واحتياطاً لأمرديه، وإبرازاً للقدمية الصالحة؛ لأنه إذا كان أعلى راحل في الدولة يعيش هذا المستوى من العيش فإن في ذلك عزاء للفقراء ليصبروا ويرضوا بقضاء الله تعالى وقدره، وعطفاً للأغنياء ليشكروا الله تعالى، فيخفضوا من اندفاعهم نحو الترف والإسراف^(١).

٦- لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم:

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يختم على الخراب الذي فيه دقيق لشعير الذي يأكل منه ويقول: لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم^(٢)، وقال سفيان إن علي عليه السلام لم ين آجرة على آخرة، ولا لسة على لينة، ولا قصة على قصة وإن كان ليؤتى بحبوبة من المدينة في جراب^(٣).

٧- إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعام:

يروى عدي بن ثابت، وحة بن جويس أنه أتى بطستحواء^(٤) فالودح إلى علي عليه السلام فلم يأكل، فقال علي: إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعام، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده^(٥).

٨- أزهّد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب:

قال الحسن بن صالح بن حي: تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبدالعزيز، فقد: أزهّد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب عليه السلام^(٦)، وقد ذكر الذهبي أن

(١) التاريخ الإسلامي ٤ (١٢/٤٣١)

(٢) ٢ (٢/٤٤٣)

(٣) الطستحواء: عبارة عن طست كبير يوضع وسط الحقة.

(٤) الخلة ١ (١/٨١)، وصحح التوثيق ٤ ص (٧٤)

(٥) تاريخ الإسلام عهد خلفاء الراشدين ١ ص (٦٤٥)

عبياً يوحى ركب حماراً ودلى برجله إلى موضع واحد ثم قال: أما الذي أهنتُ الدنيا (وفعله هنا من باب الترية العملية على الرهد والتقوى والترفع على الدنيا وليس على سبل الخلاء)^(١)، وأخرج أبو عبيد في «الأموال» عن عليٍّ عليه السلام أنه أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصحابه، فقال: اغدوا إلى عطء رابع، إني لست بخاريكم، فأخذها قوم وردها قوم^(٢)، وخطب عليّ الناس فقال: أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه، وأحرج قارورة من كم قميصه فيها طيب. فقال: أهدي إليّ دهنقان، وقال: ثم أتى بيت المال وقال: خذوا، وأنشأ يقول.

أفلح من كانت له قوصرة^(٣)

يأكل منها كل يوم ثمرة^(٤)

لقد كان الرهد من الصفات النادرة في شخصية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان زهده عليه السلام مع توافر أسباب الرخاء والثراء، وثقة الناس وتوقيرهم وإحلالهم له الذي يجمع من الفد والحسبة والمواخظة^(٥)، ولم يكن عليه السلام مع زهده وورعه وتصلبه في دينه، على شيء من المظاظة والحشونة والعوس والكبح، ولم يكن ثقيل الظل، بل كان ودوداً شوشاً فيه دعابة ملحوظة، وقد جاء في وصفه: كان حسن الوجه، صحوك النس، خفيف المشي على الأرض^(٦)، وقد عرف عليّ عليه السلام الرهادة فقال: أيها الناس، الرهادة قصر الأمل، والشكر عند النعم والتورع عن المحارم^(٧)، وقصر الأمل ضد طول الأمل الذي ينسي الإنسان الآخرة، وأما قصره فسيجعله يجمع بين الدنيا والآخرة ابتغاء مرضات الله، وأما الشكر عند النعم فهي صفات المسلم الرباني الذي يستشعر نعم الله عليه، المادية والمعوية ما

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (٦٤٥)

(٢) أكثر العمال (٢/ ٣٧٠)

(٣) القوصرة: وعاء من قصب يجعل فيه التمر ويحرق.

(٤) الترتيب للشوقي (٢١٢)

(٥) المصدر نفسه (٢١٠).

(٦) المصدر نفسه (٢١٣)

(٧) تهذيب أبي طالب، محمد رشيد رضا (٣-٤)

ظهر منها وما يظن ويقالها بالشكر للعزیز الوهاب، وأما التورع عن المحرمات فهو أن يتعد عن الاقتراب من محرمات الله عز وجل، فتعريف أمير المؤمنين بين حقيقة الرهد، ولا شك أن رهد أمير المؤمنين علي عليه السلام قد أثر فيمن حوله وأصبح مدرسة مؤثرة في تاريخ الأمة، وقد ربط أبو الحسن الندوي بين الرهد والجديد في المجتمع الإسلامي فقال: ولقد رأينا الرهد والتجديد مترافقين في تاريخ الإسلام، فلا نعرف أحداً عمر قلب التیار، وغير مجرى التاريخ، وبغ روحاً جديدة في المجتمع الإسلامي، أو فتح عهداً جديداً في تاريخ الإسلام، وحلف تراثاً حالداً في العلم والفكر والدين، وظل قرونًا يؤثر في الأفكار والآراء وسيطر على العلم والأدب، إلا وله نعمة في الرهد، وتغلب على الشهوات، وسيطر على المادة ورجالها، ولعل السر في ذلك أن الرهد يكسب الإنسان قوة المقاومة، والاعتماد بالشخصية والعقيدة، والاستهانة برحال المادة، وبصرعى الشهوات، وأسرى المعدة^(١)

قَالَ: تَوَاضَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

من الأخلاق القرآنية التي تحسنت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خلق التواضع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تُلْغِيَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الاسراء: ٣٧)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَغِّرْ حَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٨) وأقصد في مشيك واعض من صوتك إن أكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (تفسير: ١٤١٨)

وهي آية الإسراء دعوة واضحة إلى التحلي بمكارم الأخلاق من التواضع واللين، ومعرفة قدر انفس، لأن الهی الصريح عن رعونات النفس من الكبر والنظر والأشر والاحتقار للناس، والأمر بصدقه وهو التواضع والمصدق في الأمور مصوص صراحة بعد أن علم بالمفهوم من الهی السابق، ودليل لله تعالى الهی والأمر بما ذیل به الهی السابق من عدم رصاء وشدة سحطه على من اتصف بتلك الصفات فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ فعد محنته لمن

(١) رجال الفكر والدعوة، في حديثه عن الإمام أحمد (١/٥-١)

كان كذلك ، يعني بغضه له ، كما دلت عليه الآية السابقة. وفي هذا من الخث على السواصح ما فيه الكفاية للمؤمن^(١)، غير أن القرآن الكريم لم يقتصر على ذلك، بل نوه بالتواضعين أيما تنويه حيث قال الله جل ذكره ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٢)

وهذا تنويه عظيم بالتواضعين حيث وصفهم بالعبودية له، وذلك أعظم تشريف لهم؛ لأن العبودية له سبحانه، هي أشرف الأوصاف ومن أعلى مراتب المحبين، وبذلك يتفخخرون ولذلك يقول الشاعر:

وَمِمَّا زَادَنِي شَرْفًا وَتِيهًا
وَكَدْتُ بِأَحْمُصِي أَطَا الثَّرِيَا
دَخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي
وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا^(٢)

وكان نبينا محمد ﷺ في دروة اللأ من هذا الخلق العظيم في كل صورة وأشكاله، ولا غرامة في ذلك فهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وكان مما أدبه الله تعالى به في هذا الخلق قسوه سبحانه وتعالى. ﴿لَا تَمْدُنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعَا بِهِ أَرْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (حجر: ٨٨) وقوله تعالى ﴿وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥) وخفَضَ الجناح كناية عن التواضع لهم والرفق بهم^(٣)، وقد قام النبي ﷺ بذلك حق بقديم، وظهر أثر هذا التواضع في كل أحواله الدنية والاجتماعية والأسرية، وفي كل زمان ومكان بحيث لا يخفى حال من أحواله ﷺ عن التواضع لله تعالى والمؤمنين^(٤)، وقد تأثر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالترية لقرآنية الكريمة، والترية

(١) أخلاق النبي ﷺ في القرن والسنة، د. أحمد الخداد (١/ ٤٥٤)

(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٥٥) بسبب المصدر الأصبي

(٣) روح المعاني للألوسي (٥/ ٨)

(٤) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ٤٥٩).

النبوية الرشيدة، فكانت هذه الصفة متجسدة في شخصيته بقدة، وليك بعض
المواقف:

(أ) أنا الذي أهنت الدنيا:

عن صالح بن أبي الأسود عن حدثه أنه رأى علياً عليه السلام قد ركب حملاً ودلى
رحليه إلى موضع واحد ثم قال: «أنا الذي أهنت الدنيا»^(١)، وهكذا يشعر أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالمرح لأنصاره على نفسه، وظهوره بمظهر
التواضع أمام الناس وهو حبيبة المسلمين، إن ما صلب الدنيا حدة غرارة، وإن فنة
الجاه بها أعظم من فنة الدار، فلعلنا رأى الناس مسؤولين كانوا متراصعين قس أ
يلوا، فلما تولوا ما صلب كبيرة بدأ لتعاطفهم في نفوسهم شيئاً شيئاً، حتى يكون من
الصعب في آخر الأمر محاطبتهم وللقاء معهم، لكن أولياء الله المتقين كلما اردوا
رفعة في المناصب الدنيوية اردوا تواضع للناس، وشعروا بأسرور وهم يقومون
بمظاهر التواضع التي تنفي عنهم صفة التبحر والكبرياء^(٢).

(ب) أبو العيال أحق أن يحمل:

روي عن علي عليه السلام: «أنه اشترى تمر بدينهم فحمده في ملحفة، فقلوا:
يحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل»^(٣)، فهذا مثل
من تواضعه حيث حمل مناعه نفسه مع كونه أمير المؤمنين ومع كبر سنه، فلم ير
في ذلك مسوغاً لقبول خدمة الناس له، وهو بهذا يجعل من نفسه قدوة حسنة
للمسلمين في التواضع فهو درعت أحد الكبراء نفسه في تصور العيب من حمل
المتاع، فإنه بتذكره موقف أمير المؤمنين علي عليه السلام يزول ما في نفسه من ذلك،
وبو اعترض على أحد لتواضعين معترض فإن له من الاقتداء بأكر أمير علي
وجه الأرض ما يرد هذا الاعتراض^(٤).

(٢) تاريخ الإسلام، (١٧/٦٣) سحيمي

(٤) تاريخ الإسلام، (١٧/٦٤)

(١) البداية والنهاية، (٨/٥)

(٣) الزهد للإمام أحمد بن (١٣٣).

(ج) معاملته لعمه العباس رضي الله عنهما:

عن صهيب مولى لعماس . قال : رأيت علياً عليه السلام يقبل يد لعماس ورجله ويقول يدعم ، ارض عني ^(١) ولتأمر ما ورد في وصف ضرار الصدائي لعلي عليه السلام حيث يقول يعجبه من الناس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، كان فينا كأحدنا يحيا إذا سألناه . وينسأ إذا تسأناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقرنه ما لا نكاد نكلمه هية له ^(٢) .

ومن أقوال أمير المؤمنين في التواضع . تواضع المرء يكرمه ^(٣) ، إذ العبد كلما رشح في العلم بالكتاب والسنة وعمل بهما ، وعرف حقيقة نفسه ارداد تواضعاً لله ولحقه ، كما أن عنة من أعجب بنفسه من بعض دعاة اليوم ، بما هي من قلة العلم والفهم ، إضافة إلى انصراف نظر الداعي إلى كثرة من حوله من الاتباع ، وغفلته عن النظر إلى ما عند الله ، ثم إلى من فوقه من العلماء الربيين ، وهذا من مداخل الشيطان الخفية على طلاب العلم والمحسوبين على حق الدعوة ، وقد قيل من مشور لحكم إذا علمت فلا تمكر في كثرة من دوك من الجهال ، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء ^(٤) ، ونختم هذه الصفة بقول أمير المؤمنين علي عليه السلام ما أحسن تواضع العني للفقير رعة في ثواب الله ، وأحسن منه تيه الفقير على العمي ثقة بالله عز وجل ^(٥) ، والتيه المقصود به الاستعانة بالله عملاً في أيدي لا عناية ولا يعني أبداً التكبر والغرور .

رابعاً: كرمه وجوده:

من الأخلاق الفرائية الكريمة التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، خلق الكرم والحدود ، وقد كد تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم

(١) «اصحاح الرسول» ١/٢٦٤ ، والسير ^١ للذهبي (٩٤/٢) ، وسنده صحيح

(٢) «الاستيعاب» ٣/ ٨١

(٣) صهيب أمير المؤمنين علي في الدعوة ص (٥٧٣)

(٤) قملية المرشدين ص (١٠٥) لعلي محفوظ

(٥) موعظه المؤمنين ص (٣٤٤/٢) ، و«مراصد الكلام» ص (٣٣٩)

عظيماً، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في
مستهل ثاني سورة بعد السملة ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ لَا رَبُّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ
(٧) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٨)﴾ ثم وصفهم
بقوله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٩)
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (نور، ١-٥).

وقد تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَاءَتْ عَذَابُ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ
صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَرْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد ٢١-٢٤)، وقد كان رسول الله ﷺ قد
بلغ مبلغ الكمال والعظمة في كافة الاخلاق ولا سيما خلق الكرم، وقد وصفته
خديجة بنت خويلد بقولها: «إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ،
وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَعْرِضُ عَلَى بَوَائِبِ الْحَقِّ»^(١)، فهي تصفه بهذه الصفات البالغة
العظمة والخطورة التي كان عليها قبل بعثته ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء
أمته، ولقد أصفت عليه السورة ريادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله؟ لا
حرم أن كرمه ﷺ بعد ذلك سيكون بالغاً دروة الدرر في كرم الأنبياء وسائر
البشر. وهو ما دلت عليه الدلائل النقليّة الكثيرة^(٢)، وقد تأثر أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب بالتربية القرآنية والشوية وترك لنا آثاراً باهرة دالة على تأصل خلق
الحدود والكرم في شخصيته العظيمة. فقد ذكر الحافظ اس كثير من خير الأصنع
ابن نباتة أن رجلاً جاء علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إن لي
إليك حاجة فرفعتها إلى الله تعالى قبل أن أرفعها إليك، فإن قصيتها حمدت الله
وشكرتك، وإن لم تقصها حمدت الله وعلمت أنك، فقال علي عليه السلام: اكتب
حاحتك على الأرض فإنني أكره أن أرى دلي السؤال في وجهك. فكتب: إني

محتاج، فقال عبي بن جهم: علي بحة، فأتى بها، فأحسها الرجل فلبسها، ثم أنشأ يقول:

كَسَوْتَنِي حُلَّةً قَبْلَى مَحَاسِنُهَا
فَسَوَّفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَّةً
إِنْ نِلْتَ حُسْنَ ثَنَائِي نِلْتَ مَكْرُمَةً
وَلَسْتُ أَبْعِي بِمَا قَدْ قُلْتُهُ بَدَلًا
إِنَّ الثَّنَاءَ لِيُحْيِي ذِكْرَ صَاحِبِهِ
كَالْفَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
لَا تَرَهْدُ الدَّهْرُ فِي حَيْرٍ تَوَاقَعَهُ
فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى بِالَّذِي عَمِلَا

فقال عبي بن جهم علي بالداتير، فأتى بمائة دينار فدفعها إليه، فقال لأصغير: يا أمير المؤمنين، حلة ومائة دينار؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنزلوا الناس منازلهم»، وهذه منزلة هذا الرجل عندي^(١)، فهذا موقف جليل لأمير المؤمنين عبي بن أبي طالب بن جهم، في الوقوف عند حاجات المحتاجين والاهتمام بأمورهم ورعاية مشاعرهم، وإن أروع ما في هذا الخبر قوله: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكم يعاني المحتاحون من الدل بين يدي من يعرضون عليهم حوائجهم، وقد يتلعثمون فلا يستطيعون النطق، ولقد كانت مشاعر ذلك المحتاح عظيمة حينما واحه أمير المؤمنين علي بن جهم بهذه المعاملة السامية، ولقد صاع هذه اشاعر بالآيات المذكورة^(٢)، وقد كان بن جهم يفرح بقلوب الصيف، ويكرم إخوانه في الله

(١) البداية والنهاية (٩/٨)

(٢) التاريخ الإسلامي، لشمس الدين (١٢٧/١٢٧)

ويشققدهم، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: لم يأتيني ضيف منذ مبعدة أيام، أخاف أن يكون الله قد أهانني^(١).

وقال: لعشرون درهما أعطيتها أحبي في الله أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين^(٢)، وعندما سئل عن السخاء، قال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان من مسألة محياء وتكريم^(٣)، وقد جعل في حياته أوقافاً لله تعالى؛ حيث جعل أرضه يبيع وقفًا وكشبه فيها كتابًا. هذا ما أمر به علي بن أبي طالب، وقصى في ماله: إني تصدقت ببيع ووادي القرى الأذينة وراعة في سبيل الله وذوي الرحم القريب والبعيد، ولا يهرب ولا يورث، حباً أنا أو ميتاً^(٤)، وقد قال عن صدقته: لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتني لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار^(٥)، ولم يرد بقوله أربعة آلاف دينار ركة ماله، وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقة، كان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإن أمير المؤمنين علي عليه السلام لم يدخر مالا، ودليل ذلك^(٦)، ما قاله أبوه الحسن بعد مقتله: لقد فارقتكم رجل ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا مسعمانة درهم، بقيت من عطائه، أراد أن يتناع بها حادماً، يعني علياً عليه السلام^(٧)، وكان يحث الناس على إكرام العشيرة فيقول: أكرم عشيرتك؛ فإنهم جناحك الذي به تطير، فإنك بهم تصول، وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك، ويسر عن معسرهم^(٨).

خاصة: الحياء من الله تعالى:

الحياء من أجل مكارم الأخلاق؛ لأنه يدل على طهارة النفس، وحية الصميم ونقطة الوارع الديني ومراقبة الله تعالى؛ إذ من لم يكن ذا حياء لم يقر الصيف، ولم يف بالوعد، ولم يؤد الأمانة، ولم يقصر لأحد حاجة، ولا تحرى الجميل

(١) مرآة الكلاية ص (١٠٧)، ودمعة المؤمنين (٢٥٢/٢).
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٢٠٤).
(٣) أسد السادة (٧/٤).
(٤) المنهاج (٣/٣٨).
(٥) مرآة الكلاية ص (١٣٩/١).
(٦) ثروت الخمداني الراشد ص (٥١٧).
(٧) صحيح التنزيه ص (٧٧).
(٨) مرآة الكلاية ص (٢٤٨).

فأنره، والقبيح فتحنبه، ولا ستر عورة، ولا امتنع عن فاحشة. وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه، لم يؤد شيئاً من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقاً، ولم يصل له رحمًا، ولا ير له والدًا؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديبى - وهو رحاء عافستها الحميلة - وإما ديبوى علوى، وهو حياء فاعلها من الخلق وقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق، وإما من الخلاق لم يفعلها صاحبها^(١)، وعلى حسب حياة القلب تكون قوة خلق الحياء، فكما كان القلب أحيًا كان الحياء أنم، وقلة الحياء من موت القلب والروح^(٢)، وهو من شعب الإيمان، لأنه يكون باعثاً على أفعال البر، ومانعاً من المعاصي^(٣)، ولهذا كان من الأحلاق العليا التي كان للقرآن الكريم بها عناية عظيمة^(٤)، فقد تحدث القرآن الكريم عن الحياء في الجانب السوي في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرٍ إِنَاءً وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْشَرُوا وَلَا مُسْتَسْئِلَ لَعَدِثٍ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ (الأعراف ٣٣)، ترى كيف حمله الحياء على عدم مواجهة أصحابه بما كان يرغب فيه من حرواحهم. ولم يستطع مشافهتهم بما يوده منه^(٥)، لأنه سَيِّئٌ، كان أشد حياءً من العذراء في حبلها^(٦)، وقد قال سَيِّئٌ «الحياء لا يأتي إلا بخير»^(٧)، وقد تجسد هذا الخلق في شخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد حدث عن هذا الخلق فقال «إني لأستحي من الله أن يكون دس أعظم من عقوي، أو جهل أعظم من حلمي، أو عورة لا يرارها ستري، أو خلة لا يسدها جودي»^(٨)، فهذه أربع صفات من نقص قابلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأربع صفات من الكمال، والحياء من الله عز وجل يقتضي من الإنسان أن يتصف بالعمور عند المقدرة، وذلك فيما

(١) امتناع عن السعادة، (٣٧٧/١)

(٢) «مدارج السالكين» (٢٥٩/٢)

(٣) «أخلاق القرآن الكريم» (٢٧٨/١)

(٤) «مسلم» رقم (٢٣٢)

(٥) «تاريخ دمشق» (٥١٧/٤١) نقلًا من «التاريخ الإسلامي» للحميدي (٢٧٤/٢٠)

(٦) «شرح مسلم» بسوي (٥/٣)

(٧) «أخلاق النبي في القرآن والسنة» (١٧٨/١)

(٨) «مسلم» رقم (٢٣٧)

إذا لم يكن الدب فيه حد من حدود الله تعالى وأن يتصف بالعلم الذي يحتوي
جهل الجاهلين، وأن يكون ستاراً لعيوب الناس، وأن يتسع كرمه لسد حاجة من
احتاج إليه، وما أعطى هذه حكم وزهب الرجح أن أمير المؤمنين عليه السلام
ربطها بأخياء من الله تعالى، فهذه الصفات الأربع تعتبر من صفات الكمال عند
عقلاء، لكن كثيراً من العقلاء يتصف بها تكسب السمعة الدنيوية وميسرة
الأمور بكسب الناس ورضاهم، أما أمير المؤمنين عليه السلام فإنه ربطها بأخياء من
الله تعالى؛ لأن هدفه الأعلى انتفاء مرضات الله جل وعلا، ولا شك أن من هذا
هدفه سيكون تمثيله لهذه الصفات أقوى بكثير ممن كان هدفه دنيوياً^(١).

سادساً: شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله تعالى:

مدرس عليه السلام مفهوم العبادة الشامل في حياته، وتغير بقيامه للرب، وأصبح
من أهل التوكل، الذي قال الله فيهم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الحج ١٦)، وقال تعالى فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا
قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِمِينَ﴾ (١٦) كَانُوا فَلْيَلَّاحِ مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَالْأَسْحَارَ هُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) (الدَّارِي قُت ٦ - ٨)، وقال تعالى فيهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ
عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (١٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا
وَقِيَامًا (١٤) (البقرة ٦٣-٦٤) وهذا صرار ابن ضمرة الكنائي يصف علي بن أبي طالب
لمعاوية بن أبي سفيان عليه السلام: كان يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل
وظلمته، وأشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله،
وغرب نجومه يتميل في محربه، قانصاً لحبته، يتململ ثملل السليم^(٢) ويسكي
بكاء آخرين، فكانني أسمعه الأب وهو يقول: يا ربنا يا رب يتصرع إليه، ثم يقول
للديار: أبي تغررت أم إلي تشوقت هيهات هيهات، غري غيري، قد بايتك^(٣)
ثلاثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير^(٤)، آه من قلة الزاد، وبعد

(٢) السليم: اللدغ

(١) والتاريخ الإسلامي للحميدي (٢/ ٢٧٥)

(٤) خطر عمي: خطر راسلة

(٣) بيك لي طلقث

السمر ووحشة الطريق، فوكفت^(١) دموع معاوية رحمته على لحية، ما يملكها وحمل ينشفها بكُمه، وقد اختنق القوم بالكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن - رحمه الله - كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال وجد من دبح واحدًا في حجرها، لا يرقأ^(٢) دمعها، ولا يسكن حزنها. ثم قام فخرج^(٣).

ودخل الأشتر النعمي على أمير المؤمنين عبي بن أبي طالب رحمته وهو قائم يصلي بالنيل، فقال له: يا أمير المؤمنين: صومٌ بالنهار وسهر بالليل وتمت فيما بين ذلك، فلما فرغ عليه من صلاته قال له: سقر الآخرة طويل، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل^(٤)، وكان أمير المؤمنين عليه رحمته يحث الناس على تقوى الله ومراقبته، وخشيته، فقد قال أيها الناس، اتقوا الذي إن قلتم سمع وإن أضمرتم عدم، وبادروا الموت الذي إن مرستم أدرككم وإن أقمتكم أخذك^(٥)، وكان يقول: يا أيها الناس خذوا عني هؤلاء الكلمات، فلو ركبتم المطي حتى تُنصوها - يعني تهزلوها - ما أصبتم مثلها لا يرجون عهد إلا ربه، ولا يحافن إلا دبه، ولا يستحي - إذ لم يعلم - أن يتعلم، ولا يستحي - إذا سئل عما لا يعلم - أن يقول: لا أعلم، واعلموا أن الضر من الإيد بمزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له^(٦)، ففي هذه الوصية الجمع بين تصحيح التوحيد، والإرشاد إلى آداب العلم، حيث يوصي رحمته بتصحيح الاتجاه في مقامي الخوف والرجاء، فالمؤمن الحق لا يرجو إلا الله، لأنه وحده المعتم بسائر النعم، والذي تجري على أيديهم النعم من المخلوقين إنما هم وسائل وأسباب في وصول تلك النعم، أما منشأ النعم وموحدتها فهو الله سبحانه وتعالى، والمؤمن الحق لا يحاف إلا من الله تعالى، لأنه هو الذي يملك ضره ونعمه، والمخلوقون الذين يتوهم الناس أنهم مصدر خوف إنما هم وجميع خلق في قبضة الله تعالى، وإذا كان الله تعالى

(١) فوكفت: أي سالت.

(٢) يرقأ: لا يسكن ولا يهف.

(٣) حلية الأولياء (١/ ٨٤ - ٨٥)، والرقعة والكاء (١٩٨).

(٤) أنصاف المعارف لابن رجب، والتحسين لفهم الليل، محمد صالح ص (٩٣).

(٥) أنصاف المعارف والدين ص (١٢٣)، وفرائد الكلام ص (٣٦٩).

(٦) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، وصند الصمود (١/ ٣٢٦).

وحده هو الراق وهو الخالق وحده. وهو المالك وحده لقادر على كل شيء فلم يرحو المؤمن سواه؟ أو يحاب من غيره ونقد عبر أمير المؤمنين علي عليه السلام من الخوف من الله تعالى بالخوف من الذنوب؛ لأن المراد هو الخوف من عاقبتها وهو عذاب الله تعالى فهو إرشاد لأهم السبل الموصلة إلى تحقيق مقدم الخوف من الله تعالى، ثم بين شيئاً من آداب التعلم؛ لأن أمور الدين إنما تؤخذ بالعلم، فيذكر من آداب المتعلم ألا يمنع الحياء من التعلم حتى لو كان كبير السن، أو القليل، ويذكر من آداب المعلم ألا يمنع الحياء من أن يقول لا أعلم؛ لأن ذلك يحفظ عليه دينه ودين من سألته، ثم يختم وصيته النافعة بيان أصل من أصول الإيمان ألا وهو الصبر حيث يعثره من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وذلك أن مجاز الأمور كلها يقوم على الصبر سواء في أمور الدنيا أو الآخرة^(١).

وفد مارس أمير المؤمنين علي عليه السلام مقام الصبر في حياته منذ نعومة أظفاره، وإسلامه سرّاً مع رسول الله صلى الله عليه وآله مروراً بما لاقاه في المعاري والسرايا وعهد الخلفاء الراشدين وما صحبها من أحداث حسام، ومن ثم ما واجهه من صوف العثر في خلافته، إلى أن انتهى الأمر بقتله، كل هذه المراحل في حياته فيها الدروس البليغة لدعاة اليوم، والنبية لهم لما تحتاجه الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من الصبر والتحمل ودفع الثمن^(٢)، ابتغاء مرضاة الله تعالى، وكان عليه السلام يبحث أصحابه على مقام الصبر، فقد قال عليه السلام للأشعث ابن قيس إنك إن صبرت حرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جرعت جرى عليك القلم وأنت مأرور^(٣)، وقال عليه السلام: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له^(٤)، وقال: الصبر مطية لا تكبو، والصبر له مكائته المعروفة في دين الله، فقد ذكر الله

(١) فتاوى الإسلامى (١٢/ ٤٣٤)

(٢) صهبح علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله من (٥٢٥)

(٣) الحديث النبوي من (٢٧٨) - وفقرت الكلام من (٢٧١)

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم من (١٥٣)

تعالى الصبر في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (زمر ١٠) وقد جاء ذكر فضائله في أحاديث كثيرة والصبر له ثلاثة أقسام وهي الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله والصبر على البلاء.

وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حريصاً على أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، معللاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمْرُ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأنعام ٢٩)، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف ١١). وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (عمر ١٤) وقوله جل شأنه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (عمر ١٥). فقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد تعلم من رسول الله ﷺ أن الأعمال لا تقبل إلا إذا خلصت إليه، فمضى ذلك أن الإخلاص ركن أساسي في العبادة، وأن العبادة التي يعقد منها الإخلاص ترد على صاحبها كما جاء في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(١)، فقد كان علي عليه السلام محارباً للشرك بجميع أشكاله وأنواعه سواء شرك الربوبية أو شرك الألوهية، وكان حريصاً في سكناته وحركاته أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، ركن بحث الناس خصوصاً طلاب العلم على البعد عن الرياء، فقد قال عليه السلام: يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يحاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويحالف عملهم علمهم، يجلسون حلقاً، فيأهي بعضهم بعضاً، حتى إن أحدهم ليعضب على جلسائه حين يجلس إلى غيره، ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل^(٢).

وقد أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى إحدى الأمراض الخطيرة عند بعض من

(١) مسلم، كتاب الزهد رقم (٢٩٨٥)

(٢) سنن الدارقطني في المقدمة (١٠٦/١) ودر المنهاج لأخلاق الرغوي (٩٠/١)

يجلس للتعليم للمساهة والسمعة، ويعصب على طلابه لو تركوه ودهسوا لغيره. وبو كان هذا الذهب فيه مصلحة لهم، فليست مصلحة طلابه عنده هي المهمة، بل المهم عنده مكانته وسمعته، وإن لم يقل ذلك بلسان المقال، فإنه يتبين من حكمة الحال^(١)، لأن من إخلاص ادعائي إلى الله أن يكون همه أن يتبع الناس الحق ولو حالوا رأيه، وهذه حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد قال: اقتضوا كما كنتم تقضون فوني أكره لاختلاف حتى يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي^(٢)، وكان ذلك في رأي رأيه في عدم حوار بيع أم الولد، وكان عمر يرى رأيه هذا ثم رجع عني عليه السلام عن رأيه الأول فرأى أنهم يعني^(٣)، وهذا تعليم لبلدة وطلاب العلم أن الخلاف في الرأي المشروع أمر طبيعي يجب ألا تصبى به الصدور ولا يؤثر على وحدة الصف، إن دعاة اليوم في أشد الحاجة أن يراجعوا أنفسهم في هذا الخلق وأين هم منه، وأن يتضرعوا إلى الله يمدحهم بهذه الصفة الجميلة حتى يابوا ثواب الله بعد محنتهم، وتثمر دعوتهم إلى الله في دنياهم، لقد كانت عبادة علي عليه السلام قائمة على كمال الإخلاص لله تعالى، ونباع هدي النبي ﷺ، والله هو المستحق للعبادة وحده، فقد كنت حياته كلها عبادة، يتغل فيها من نوع إلى نوع، ومن حال إلى حال يمتثل قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٠) لا شريك له وبذلك أمرت وأما أول المسلمين^(٤) (١٦٣-١٦٠)، لقد كنت العباد، عاملاً مهماً في تزكية الاخلاق والاستقامة على شرع الله تعالى، ولذلك عرف أمير المؤمنين الاستقامة في تفسيره لمعنى استقاموا فقال: أدوا المرائض^(٥).

سابعاً: شكره لله:

والشكر هو صرف العبد كل ما أنعم به عليه إلى ما خلق لأجله^(٦)، يعني من نعمه الظاهرة والباطنة في نفس ومال، فيصرف ذلك كله إلى عبادة ربه بما

(١) صحيح علي بن أبي طالب ص (٥١٣). (٢) البخاري، كتاب فضائل الصحابة (٢٣/٣)

(٣) فتح الباري (٧/٢٢). (٤) زاد المسير (٧/٢٥٤)

(٥) التوقيف علي مهمات التعاريف ص (١٣٥).

يليق بكل حارحة على الوجه الاكمل ، وإد م فعل ذلك كان قد أظهر نعم الله عليه ، وأدى واجب شكرها^(١) . يعتبر الشكر من أجل الاخلاق السلوكية للإيمانية التي على المؤمن أن يتحلى بها في كل أحواله لما فيه من الاعتراف بالنعم بسديها ، وقد دل على عظم مكانته انصواء جل الاخلاق الإيمانية تحته من محبة ورضا وتوكل^(٢) لأن الشكر لا يتم إلا بعد التحلي بها ، ولا يكون إلا بعد استشعارها^(٣) . ولقد كدت عناية القرآن الكريم بهذا الخلق عظيمة كعظم مكانته في الاخلاق ، فقد ورد ذكره في نحو من سبعين آية ، أمراً به ، وحذراً عليه ، وشاء على أهله ، ووعداً لهم بحسن جزائه ، وبهتاً عن ضده مما يدل على أمر عظيم ، وهو أن هذا الخلق عظيم الشأن^(٤) ، فقد قرن الله سبحانه في كتابه الذكر بالشكر ، فقال تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة : ١٥٢) ، وقرن سبحانه العبادة بالشكر ، قال تعالى : ﴿ فَاتَّبِعُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (المكوي : ١٧) . مما يدل على تلازم العبودية بالشكر تلازماً وثيقاً^(٥) وكان رسول الله ﷺ صاحب انقذح المعلى في كل الاخلاق الحميدة ومنها هذا الخلق ، ورعى أصحابه وسهم علي من أبي طالب ﷺ على هذا الخلق ، فكان لا يشعر بنعمة إلا شكر الله عليها ، وكان إذا خرج من حلاء مسح بعبه بيده ، وقال : يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها^(٦) ، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال لرحل من أهل همدان : إن النعمة موصولة بالشكر ، ولشكر معلق بامرئيد ، وهما مقروبان في قرن ، فمن يقطع المرئيد من الله عز وجل حتى يقطع الشكر من العبد^(٧) ، وكان ﷺ يرى أن من شكر النعمة العفو عن خصم ، فقد قال ﷺ : إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للمقدرة عليه^(٨) .

(١) «اخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة» ص (١٨٥) .

(٢) «مدارج السالكين» (٢، ٢٤٩) .

(٣) «اخلاق النبي في القرآن والسنة» (١٨٦/١) (٤) لمصدر نفسه (١٨٧/١) .

(٥) «عدة الصابرين» ص (١٢٢) ، وأعطوا النعمة (٤٨١/٥) .

(٦) «الشكر» لابن أبي الدنيا ، نقل عن «أهل النعمة» (٤٨١/٥) .

(٧) «الإعجاز والإيجاز» شعالي ص (٣) .

ثامناً: الدعاء لله:

الدعاء باب عظيم، فإذا فتح للعبد تسامت عليه الخيرات وانهالت عليه الركات، ولذلك حرص أمير المؤمنين عليه السلام على حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (معر ٦) وقال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (سورة ١٨٦)، وقد لازم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله ورأى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستغيث بالله ويستنصره ويطلب المدد منه، وقد حرص أمير المؤمنين علي أن يتعلم هذه العبادة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن يكون دعاؤه ونسيجه على الصيغة التي يأمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله ويرتضيها، إذ ليس للمسلم أن يفضل على الصيغة الماثورة في الدعاء ولتسييح والصلاة على النبي صيغة أخرى مهما كانت في ظاهرها حجة اللمعة، حيدة المعنى؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو معلم الخير والهادي إلى الصراط المستقيم، ها وهو أعرف بالأفضل والأكمل، وقد نسب أقوام كثيراً من الدعاء والذكر المسند لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كذباً وزوراً وبهتاناً، فمن كان محباً لأمير المؤمنين علي عليه السلام فعليه أن يتبع هديه ومنهجه، فقد أرشدنا لمناجاة النبي صلى الله عليه وآله في الأقوال والأفعال.

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام صاحب دعوة مستجابة، فمن رآه أبا عمر أن رجلاً حدث علناً بحديث فقال: ما أراك إلا قد كذبتني، قال: لم أفعل قال ادعوا عليك إن كنت كذبت، قال: ادع؛ فدعا فما برح حتى عمي^(١)، وكان عليه السلام يقول عندما يشي عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واحملي حيراً مما يظنون^(٢)، ويروي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليرد

(١) الصلاة والتهلة (٦، ٨)

(٢) مرقاة المفاتيح، وأمهات المؤمنين (٢٢٨/٢)

عليه من حوله. يرحمك الله، وليرد عليهم: يهديكم الله، ويصلح بالكم»^(١)، وفي هذا الفعل من حسن الخلق تأدب مع الله سبحانه وتعالى بحمده والثناء عليه في مناسبة أمر فيها العبد بذلك.

قال الحليم: لعطاس يدفع الأذى من الدماغ، الذي فيه قوة الفكر، ومنه مشأ الأعصاب، التي هي معدن الحس وسلامته تسلم الأعصاب. فظهر بذلك أنها نعمة حليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله؛ لما فيه من الإقرار له بالخلق والقدرة. وإضافة الحق إليه لا يسى الطباع^(٢)، وبين أمير المؤمنين ع^(٣) أدب من أدب المسافرين فيما يرويه عن رسول الله ﷺ بقوله: كان النبي ﷺ إذا أراد سفرًا قال: «اللهم أصول ويك أحول، ويك أسير»^(٤) وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع^(٥) أدب آخر من أدب المسافرين. ودلك لما أراد سفرًا ووضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرين، وإنا إلى ربنا لننقلبون، ثم حمد الله ثلاثًا، وكر ثلاثًا، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت. طلعت بمسي فاعفري، إنه لا يعفر الذنوب إلا أنت، ثم صحك، قال: فقبل ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل مثل ما فعلت. وقال مثل ما قلت، ثم صحك، فقلنا ما يضحكك يا بني الله؟ قال: «عجبت للعبد، إذا قال لا إله إلا أنت طلعت نفسي فاعفري لي إنه لا يعفر الذنوب إلا أنت»، يعلم أنه لا يعفر الذنوب إلا أنت. يعلم أنه لا يعفر الذنوب إلا هو»^(٦)، ومن أجد قال: قال لي علي بن أبي طالب ع^(٧) يابن أعبد، هل تدري ما حق الطعام؟ قال: قلت: وما حقه يابن أبي طالب؟ قال: تقول بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقنا، قال: وتدرى ما شكره إذا فرغت؟ قال: قلت: وما شكره؟ قال تقول: الحمد لله الذي أطعمت

(١) مسند ابن ماجه (١٢٢٤/٢)، صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٠٢)

(٢) مجمع البحار (٢/١٠٠)

(٣) مسند أحمد (٨٣/٢) إسناده صحيح، قاله أحمد شاكر

(٤) مسند أحمد (١٨٣/٢)، إسناده صحيح قاله أحمد شاكر

وسقيا^(١)، وكان يؤتى إذا رأى الهلال قال: «اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وفتحته ونصره وبركته وورقه وموره وظهره وهداه، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وشر ما بعده»^(٢)، وكان يقول في السجود: «رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي»^(٣)، وكان يقول بين السجدين: «لهم اعصر لي وارحمي واحسن لي وورقي»^(٤).

وكان يُعلم من دخل السوق هذا الدعاء فيقول: إذا دخلت السوق قل: «بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاحرة، وصمقة حاسرة، ومن شر ما احطت به هذه اسواق»^(٥)، وكان يقول: «ما من كلمات أحب إلى الله من أن يقول العبد: «الله لا إله إلا أنت، اللهم لا أعبد إلا إياك، اللهم لا أشرك بك شيئاً، اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يعمر الذنوب إلا أنت»^(٦)، وكان يقول: «لهم ثنا على كلمة العدل بالرصي والصواب، وقوام الكتاب، هاديي مهديي، راضين مرضيين، غير ضالين، ولا مضلين»^(٧)، ومن أدعيته **رب** اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبحسروتك الذي علقت به كل شيء، وبِعظمتك التي علقت بها كل شيء، وسلطانك الذي ملأت به كل شيء، وبِقوتك التي لا يقوم لها شيء، ونورك الذي أضاء له كل شيء، وبعلمك الذي أحاطه بكل شيء، وباسمك الذي تبدى به كل شيء، وبوحيك الباقي بعد فناء كل شيء، يا الله يا رحمن يا رحيم، اعصر لي الذنوب التي تنزل النقم، والذنوب التي تورث لئدماً، واغفر لي الذنوب التي تحبس القسم، واعصر لي الذنوب التي تعبر العم، واعفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، وتذيل الأعداء، واعصر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء وترد الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تردني إلى

(١) دست أحمد (٣٦٩/٢) قال للمعز وإسناده حسن.

(٢) ذكر العمال رقم (٢٤٣١)، ولفظه علي بن أبي طالب، للشمسي ص (٢٥١).

(٣) دقه علي بن أبي طالب، للشمسي ص (٢٥١).

(٤) المصدر نفسه ص (٢٥١).

(٥) دقه علي بن أبي طالب، ص (٢٥١).

(٦) دقه علي بن أبي طالب، ص (٢٥٢).

(٧) مصنف ابن أبي شيبة (١٤٩/٢).

البار^(١)، وهذا الدعاء يبين افتقار أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى ربه وحونه من دونه، ويعلمنا كيفية التعامل مع أسماء الله الحسنى ودعاء الله بها سبحانه وتعالى، وهذا الدعاء يسطر الأضواء على عمودية أمير المؤمنين لله عز وجل وعن عليّ عليه السلام قال: لقني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كربة أو شدة أن أقول: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحانه، تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين»^(٢)، وكان عبد الله بن جعفر يلقيها الميت وينفث بها على الموعوك^(٣)، ويعلمها المعتزة من بهاته^(٤)

هذه بعض صفاته التي كانت ثماراً لتوحيده وإيمانه بالله، واستعداداته للقدوم على الله تعالى، وسوف يلاحظ القارئ الكريم كثيراً من صفاته بإذن الله تعالى؛ كالشجاعة، والحلم، والفصاحة، والبلاغة، وغيرها من الصفات من خلال الأحداث التي تمر بها في هذا الكتاب.

قاسماً: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

كانت المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كتاب الله وصلة رسوله صلى الله عليه وسلم، والافتداء بالشيخين في هديهم

١- **فالمصدر الأول هو كتاب الله:** قد تعالى: «إِنَّا أَمَرْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِصَحِّحِهِ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ حَصِيماً» (الب، ٥٠)، فكتاب الله تعالى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشؤون الحبة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «المرور ديبكم واهتدوا بهدي سيكم عليه السلام، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه»^(٥).

(١) افقه علي بن أبي طالب، ص (٢٥٢)

(٢) حسن البهني (١٢٩/٧)، ومعرفة الصحابة، لأبي عبد الله رقم (٣٥٢)

(٣) موعوك من الموعك، وهو الحصى وقيل: المني

(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٨٢) إضافة حسن.

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٦)

٢- **المصدر الثاني: السنة المطهرة:** التي يستمد منها الدستور الإسلامي أصوله ومن خلاله يمكن معرفة الصيغ التفسيرية والتطبيقية لأحكام القرآن الكريم^(١)، فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدى، واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن^(٢).

٣- **الافتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه:** قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر»^(٣). وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هي أبي بكر وعمر عليه السلام، والذي خلق الحبة وبرأ السمعة، لا يحكما إلا مؤمن تقي، ولا يعصهما إلا فاجر ردي، صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء، بأمران ونهيان وما يحاوران فيما يصعبان رأي رسول الله ﷺ، ولا كان رسول الله ﷺ يرى مثل رأيهما، ولا يحب كحكما أحدا، قبض رسول الله ﷺ وهو عنهما راض، ومصيبا والمؤمنون عنهما راضون. واستمر في حديثه إلى أن قال في أبي بكر - وكان والله خير من نبي، أرحمه رحمه، وأرأفه رأفه، وأثمه وثقه، وأقدمه سناً وإسلاماً، فسار فيما سيرة رسول الله ﷺ حتى مضى عنى ذلك، ثم ولي عمر الأمر من بعده... فأقام لأمر علي مهاج النبي ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كتاب الفصيل^(٤) أمه... إلى أن قال: فمن لكم بمنلهما - رحمة الله عليهما - ورزقنا المصطفى علي مبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا بتابع آثارهما واحب لهما، ألا من أحسني فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه نبي^(٥)، وكان عليه السلام يدافع عن اجتهادات عثمان بن عفان عليه السلام، ويقول: يا أيها الناس لا تعلوا في عثمان عليه السلام، ولا تقولوا له إلا خيراً - أو قولوا خيراً - فوالله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف - إلا عن ملأ من جميع أي الصحابة. ووالله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل^(٦)، وكان يقول: ما كنت لأحل عقدة شلها عمر عليه السلام^(٧).

(١) هذه التفسير في القرآن الكريم للصلاحي ص (٤٣٢)

(٢) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٠٠)

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩)

(٤) الفصيل ولد الثقة إذا حصل عن أمه (٥) شرح عقائد أهل السنة والجماعة لللاكني رقم (٤٤٥٦)

(٦) فتح الباري (٨/ ٩) إسناده صحيح

(٧) المختصر من كتب التواضع ص (١٤)، وإسناده منقطع، ودين أبي شبة في المصنف رقم (١٢)

عاشراً: حق الأمة في الرقابة على الحكام:

إن للأمة الحق في مراقبة الحكام وتقويمهم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١) وكان أول ما قاله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إثر توليه، إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم إلا أنه ليس لي أمر دونكم (٢)، وهذا نفس ما قاله أبو بكر عليه السلام عندما تولى حيث قال: «فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني» (٣)، وما قاله عمر عليه السلام: أحب الناس إلي من رفع إلي عيوي (٤)، وقال: «إني أخاف أن أخطئ فلا يردي أحد منكم تهيئاً مني» (٥)، وما قاله عثمان عليه السلام: إن وجدتم في كتاب الله أن تصعوا رجلي في القيد فصعوا رجلي في القيد (٦)، وبذلك يكون قد جرى العمل في عهد الخلفاء الراشدين على التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام، ولم يكره أحد ذلك على الإجماع (٧)، كما أن إجماع الصحابة - حكماً ومحكومين - في عهد الخلافة الراشدة ليس له إلا معنى واحد وهو الفهم الصحيح لكتاب والطريق السليم للعمل بالسنّة، فهم الذين عاصروا عهد تربل الكتاب وعاشوا طريقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إقامة حياة الناس عليه، فهم أهم الناس لروح الدين، وأعرف الناس بمقاصد الشرع، وأقدر الناس على التمييز بين الحق والباطل، ومن المستبعد بل من المحال أن يجتمعوا على باطل؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة» (٨)، ولهذا كان إجماعهم حجة يسوع أن تراعى وتوضع ضمن مصادر الدستور الإسلامي، وإجماع الأمة قد يكون على فهم نص، ويحور أن ينعقد الإجماع عن اجتهاد وقياس، ويكون حجة (٩)، إن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كان يبحث الناس في

(١) تبارج نظري (٥/٤٤٩، ٤٥٧).

(٢) القادة والهيئة (٦/٢٠٥).

(٣) التمهيد أبو بكر وعمر عن رواية البلاذري (٢٣١).

(٤) المصدر نفسه (٢٣١)، وإجماع الحكم في عهد الخلفاء الراشدين (١٩٨).

(٥) محمد أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٥٢٤).

(٦) النبوة والسيادة في الفقه الإسلامي، لفتحي عبدالكريم (٢٧٨).

(٧) ابن عسك (٢/٢٦٤) رقم (٤٠٦٤).

(٨) تروية الناظر وحة الناظر (١/٣٨٥).

خلافته على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقد خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما هلك من هلك قبلكم فلكم بركوبهم المعاصي ولم يبههم الربايون والاحبار، فأحدثهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر قبل أن يرسل بكم مثل الذي يرسل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يقرب أجلاً^(١).

الحادي عشر: الشورى: إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة لدولة وحكمهم مع المسلمين ولتروى على رصاهم ورأيهم وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَسْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (الن عرس ١٥٩) ، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (النور ٢٨).

لقد قرنت الآية الكريمة حكم الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة أنها واجبة شرعاً، فكذلك للشورى واجبة شرعاً^(٢)، وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حريصاً على التزام منهج الشورى في تصرفاته وأعماله وقراراته، فمن ذلك أنه حينما وصل إليه كتاب من قائده معقل بن قيس الرياحي المكلف بمحاربة الحرث بن راشد الخارجي، جمع أصحابه وقرأ عليهم كتابه واستشارهم وطلب منهم الرأي حيث جتمع رأي عامتهم على قول واحد وهو: نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس فتبع أثر لقاسق فلا يزال في طلبه حتى يقتله أو ينفقه فإننا لا نأمن أن يفسد عليك الناس^(٣)، وما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في الشورى قوله: الاستشارة عين لهداية وقد خاطر من استغنى برأيه^(٤)، وقبوله نعم المؤازرة المشورة وبش

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٥/٣)، ومفسر ابن كثير، (٦/٣/١).

(٢) النظام السياسي في الإسلام لأبي فارس، ص (٩).

(٣) تاريخ الطبري (٣٩/٦).

(٤) تلخيص الدنيا والآخرة لشمس الدين، ص (٢٩١، ٨٩)، والإمامة العسكرية (١/٢٧٩).

الاستعداد الاستعداد^(١)، وقوله: رُئي الشيخ جبر من مشهد العلام^(٢)، وما أوصى به أمير المؤمنين علي ماله من الخارث الأشتر حين بعثه إلى مصر في الشورى قوله: لا تدخن في مشورتك بجهلاً فيعدنك عن الفصل ويعدك الفقر، ولا حباً فيضعفك عن الأمور، ولا حريصاً فيزين لك شره بالجور، فإن الحل واجبن واحرص غرائر شتى يجمعها سوء العن بالله^(٣)، وكان عليّ يبرئ يعلم أن احكامهم إذا لم يكن له مستشارون فلا يعلم محاسن دولته ولا عيوبها، وسوف يغيب عنه الكثير من شؤون الدولة وقضايا الحكم، وكان يعلم أن الشورى تعرفه ما يجهله، وتصح أصابعه على ما لا يعرفه، وتزيل شكوكه في كل أمور التي يقدم عليها، فما هو يقول للأشتر الحفي عندهم ولاه مصر: انظر في أمور عمالك الذين تستعملهم، فليكن ستمالك إياهم اختياراً ولا يكن محابة ولا إثراء، فإن الأثرة بالأعمال أي الاستعداد بلا مشورة - والمحابة بها جماع من شعب الجور، والخيانة لله وإدخال الضرر على الناس وليست تصلح أمور الناس ولا أمور الولاية إلا بالإصلاح من يستعينون به على أمورهم، ويختارونه لكفية ما غاب عنهم، فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعفة والعلم والسياسة، والصق بذوي التجربة والعقول والحياء من أهل البيوت الصالحة وأهل الدين والورع؛ فإنهم أكرم أخلاقاً وأشد لأنفسهم صوناً وإصلاحاً، وأقل في المظامع إسرافاً وأحسن في عواقب الأمور نظراً من غيرهم، فيكونوا عمالك وأعوانك^(٤).

الثاني عشر: العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامي الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة، وقد قام

(١) نهاية الأرب (٦٩/٦) نقلاً عن «الإدارة العسكرية» (٢٧٩/١)

(٢) المصدر نفسه (٧٥/٦)، نقلاً عن المصدر نفسه (٢٧٩/١)

(٣) «الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية» (٢٧٩/١)

(٤) نهاية الأرب (٦٩/٦)، وفي الحكم الإسلامي (١٥١)، والشورى بين الأصالة والمعاصرة: عز الدين المجدي ص (٢٠١)

أمير المؤمنين علي عليه السلام بإقامة العدل بين الناس، وقد تضافرت كل الخصال الحميدة والمعطيات العلمية والفقهية التي جعلته مؤهلاً للقيام بدوره هذا على أكمل وجه، حتى إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لثفته به ومقدراته بعثه قاضياً إلى اليمن^(١)، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الدعاء العظيم: «اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه»^(٢)، لذلك كان من الطبيعي أن يقيم حكمه على العدل الشامل وأن يجعله على رأس عايات وأهداف الحكم؛ لأنه به تستقيم الأمور وتظهر المودة بين لرعية^(٣)، ولا شك أن العدل في فكر أمير المؤمنين علي عليه السلام، هو عدل الإسلام، الذي هو الدعامة الرئيسة في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي، فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل، لقد كان أمير المؤمنين علي من أبي طالب عليه السلام قدوة في عدله أسر لقنوب وبهر العقول، فالعدل في نظره الذي يسعى لتطبيقه في الحكم هو أحد أهم ركائز الخلافة الراشدة، دعوة عملية للإسلام تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، فعن شريح قال: لما نوحه علي عليه السلام إلى حرب معاوية رضي الله عنه، افتقد درع له، فلما انقصت لحرب ورجع إلى مكوفة، أصاب الدرع في يد يهودي يبيعها في السوق، فقال له: يا يهودي، هذا الدرع درعي، لم أبع ولم أهب، فقال لليهودي: درعي وفي يدي، فقال علي: نصير إلى القاصي، فتقدما إلى شريح، فجلس علي إلى جنب شريح، وجلس اليهودي بين يديه.

فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم، أقول: إن هذه الدرع لتي في يد اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب، فقال شريح: يا أمير المؤمنين بئس، قال: نعم قبر^(٤) والخمس والحسين يشهدون أن الدرع درعي، قد شهداة لأن لا

(١) نظام الحكم في العهد الراشدي، محمد الصمد ص (١٤١).

(٢) فضائل الصحابة (٢/٨٧١)، وإسناده حسن ولم (١١٩٥).

(٣) نظام الحكم في العهد الراشدي ص (١٤١).

(٤) مولى علي بن أبي طالب.

تجوز للأب ، فقال رجل من أهل الحنة لا تجوز شهادته ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الحنة»^(١) . فقال اليهودي أمير المؤمنين قدامي إلى قاصيه ، وقاضيه قضى عليه ؟ أشهد أن هذا الحق ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الدرع درعت . كنت راکفاً على جملتك الأورق وأنت متوجه إلى صفين ، فوقعت منك ليلاً ، فأخذتها قال : أما إني قتلته فتهي لك ، وحمله على فرس ، فرأيت أنه وقد خرج فقاتل مع علي رضي الله عنه الشراء بالهروان^(٢) .

ومن أمثلة عدله في الحكم ، عن ناحية القرشي عن أبيه قال : كنا قيماً على باب القصر إذ خرج علي رضي الله عنه فلما رأيته تحين عن وجهه هية له ، فلما حار صرنا حلقه ، فبينا هو كذلك إذ نادى رجل . يا عوناً بالله ، فإذا رحلان يقتلان ، فنكز صدرهما وصدر هذا ، ثم قال لهما تنحبا . فقال أحدهما يا أمير المؤمنين إن هذا اشترى مني شاة وقد شرطت عليه ألا يعطيني معموراً ولا محذفاً يعني الدرهم المعيبة فاعطني درهماً معموراً فرددته عليه فلطمني ، فقال للآخر ما تقول ؟ قال صدق يا أمير المؤمنين قال : فاعطه شرطه ، ثم قال للآخر اجلس ، وقال للملطوم اقتص ، قال أو عفوي أمير المؤمنين قال ذلك إيتك ، قال فما حار الرجل قال علي رضي الله عنه يا معشر مسلمين حذوه ، قال فاحذوه فحمل علي طهر رجل كما يحمل صبيان ، نكتاب ، ثم ضربه خمس عشرة درة ، ثم قال : هذا نكال لما انتهكت من حرمة ، وفي رواية أنه قال : هذا حق السلطان^(٣) .

هذا وإن هذا الخبر ليعتبر مثلاً عالياً للتواضع حيث يخرج أمير المؤمنين من بيته إلى السوق يتفقد أحوال الناس ، ويقوم بنفسه في حل مشكلاتهم ، وهو نوع من السدوك العالي الذي يبرز وجود الولاية في واقع حياة الرعية سواء قم بذلك الوالي الأكبر أو من دونه ، ولا يلزم تكرار هذا الوجود كل يوم ، إذ يكفي شعور الناس بأن

(١) مصنف بن أبي شيبة رقم (١٢٢٢٥) والمستدرک (١٦٦/٢) ، حديث صحيح من أوجه كثيرة

(٢) الشراء الخوارج بهروان بين واسط وبغداد (٣) تاريخ الطبري (٧٢/٦) ، (٧٣) .

الولاية معهم في مشكلاتهم ليعلم صاحب الحق على بقاء حقه في حورثه، وعودته إليه فيما لو اعتدي عليه، ويرتدع من تسو له نفسه الاعتداء على حقوق الناس، وقبل ذلك وأهم منه أن يرتدع كل من يحدث نفسه بالاعتداء على حق الله تعالى، وهذا الوجود المتلاحم بين لوائي وارعية يظهر بصور متعددة تناسب مع أنماط الحياة في كل عصر، فلا يقولن قائل بأن ما قام به أمير المؤمنين علي عليه السلام يعتبر سائغ في عصره ولكنه بعيد لتصور في هذا العصر؛ فإنه لا عبرة بالاشكال والصور، وإنما العبرة بالأهداف والمقاصد التي بها تتحقق الحياة السعيدة للمسلمين، ودبت برعية حتى الله أولاً، ثم حقوق الناس العامة والخاصة، وبما أمر به أمير المؤمنين علي عليه السلام من إجراء العقوبة على المعتدي مع تبارك صاحب الحق دلالة على إدراكه لمقاصد الإسلام من حفظ الأمن، وإشاعة لسلام بين المؤمنين، وبذلك سيرتدع من تميل نفسه إلى الاعتداء على غيره إذا عرف بأن العقوبة ستحرق عليه ولو عما عه حصمه^(١)، ومن موقف عدله عليه السلام ما رواه عاصم بن كبيب عن أبيه قال: قدم على علي بن أبي طالب عليه السلام مال من أصهار^(٢)، فقسمه سبعة أسباع، فوجد فيه رعيماً، فقسمه سبع كسر، وجعل على كل جزء كسرة، ثم أقرع بينهم، أيهم يعطى أول^(٣)، وأما مبدأ المساواة الذي اعتمده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في دولته، فبعد أحد المبادئ لخدمة التي أقرها الإسلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ خَلْقَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (محرر ١٣).

وحاشا ممارسة أمير المؤمنين علي عليه السلام لهذا المبدأ حير شاهداً، ومن هذه المواقف، حرصه على تقسيم المال فور وروده إليه على أساس بالتساوي، بعد أن يحتجز منه ما ينبغي أن يأخذ منه للإعفاق على المرافق العامة، ولم يكن يستريح لنفسه أن يأخذ من هذا المال إلا مثلاً يأخذ غيره من الناس، كما أنه كان يعطي معارضيه من الخوارج من العطاء مثلاً يعطي غيره وهذا قبل سعيهم للدماء،

(١) التاريخ الإسلامي: مجدي (١٢/٢٣٣، ٢٣٤).

(٢) الكامل في التاريخ: (٢/٤٤٢).

(٣) مبنية عطية في بلاد فارس.

واعتمدانهم على الناس^(١)، وكان يوتد يساوي في العطايا بين الناس وبذلك يكون اقتداء بالصديق في هذا الباب. وكان يوتد لا يفصل شارقا على مشروف، ولا عربيا على أعجمي، فقد دفع مرة طعاما ودرهما بالتساوي إلى امرأتين إحداهما عربية، والثانية أعجمية، فاحتجت الأولى قنلة إني والله امرأة من العرب، وهذه من العجم، فأجابها علي يوتد: إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا المي فصلًا على بني إسحاق. وكذلك لما طلب إليه تفضيل أشرف العرب وقريش على الموالي والعجم، قال: لا والله، لو كان المال لي لواسيت بيهم، فكيف وإنما هي أموالهم؟^(٢)

وعن يحيى بن سلمة يوتد قال: استعمل علي عمرو بن سلمة على أصبهان فقدم معه مالا ورقاق فيها عسل وسمن، فأرسلت أم كلثوم بنت علي يوتد إلى عمرو تطلب منه سمًا وعسلًا، فأرسل إليها ظرف عسل وطرّف سمن، فلما كان العد خرج علي وأحضر المال والعسل والسمن ليقسم، فعد الرقاق فنقصت رقين، فسأله عنهما، فكتمه وقال: نحن نحصرهما، فعزم عليه إلا ذكره له، فأجبره، فأرسل إلى أم كلثوم فأحد الرقين منها قرأهما قد نقصا، فأمر لتجار متقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إليها فأخذها منها، ثم قسم الجميع^(٣)

وعن أبي رافع يوتد وقد كان خازنًا لعلي يوتد على بيت مال، قال: دخل علي يومًا، وقد ريت ابته، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان عرفها، فقال: من أين لها هذه؟ لله علي أن أقطع بها، قال: فلما رأيت جده في ذلك قلت: أنا والله يا أمير المؤمنين ريت بها ابنة أخي، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها؟ فسكت^(٤).

الثالث عشر: الحرّيات:

مبدأ الحرية من المبادئ الأساسية التي قام عليها الحكم في عهد الخلفاء

(١) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص (٢١٦).

(٢) تراث الخلفاء الراشدين ص (١٠١).

(٣) تاريخ الطبري (٧٢/٦).

(٤) الكامل في التاريخ (٤٤٢/٢).

الراشدين ، ويقضي هذا المبدأ بتأمين وكمال الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها ، فقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس - جميع الناس - دعوة واسعة عريضة قلما تشتمل على مثلها دعوة في التاريخ ، وكانت أول دعوة أطلقها في هذا المجال هي دعوته الناس في العديد من الآيات القرآنية لتوحيد الله ، والتوجه له بالعبادة وحده ، دون سائر الكائنات والمخلوقات ، وفي دعوة التوحيد هذه كل معاني الحرية والاستقلال لسي الإنسان ، أضف إلى ذلك أن الإسلام عرف الحرية بكل معانيها ومدلولاتها ومعانيها ، فثمة تكون فعلاً إيجابياً كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وندرة فعلاً سلباً كالامتناع عن إكراه أحد في الدخول في الدين ، وفي أحيان كثيرة يحتلظ معناه بمعنى الرحمة ، والعدل والشورى والمساواة ؛ لأن كل مبدأ من هذه المبادئ التي نادى بها الإسلام لا يستقيم أمره ولا يمكن تحقيقه ، لا بوجود الحرية .

وقد أسهم مبدأ الحرية مساهمة فعالة إبان حكم الخلفاء الراشدين عليهم السلام خاصة بانتشار الدين الإسلامي ، وتسهيل فتوحات المسلمين واتساع رقعة دولتهم ؛ لأن الإسلام كرم الإنسان وكمل حرياته على أوسع نطاق ولأن النظم السياسية الأخرى السائدة آنذاك في دولة الروم ولغرس كانت أنظمة استبدادية وتسلطية ، وقنوية قاس بسببها الرعايا وبصورة خاصة الماثرون لسياسيون والأقليات الدينية أشد درجات الكبت والاضطهاد والظلم ، وأما في الإسلام في عهد نبي صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء الراشدين ، فقد كانت الحريات العامة المعروفة في أيامنا معلومة ومصونة تحملاً^(١) ، وقد كان لأمير المؤمنين عبيد بن جراح أقوال تدافع عن الحريات وموقف تدعّم هذا المبدأ في المجتمع الإسلامي ، فمن أقواله : ينس الرد إلى المعاد العدوان عبي العباد^(٢) ، وقوله الموحز هذا يدل على أن لا اعتداء على الناس كافة بأي شكل كان غير جائز في الإسلام ، وذكر المعتدين معذب الله يوم القيمة وفي أيام عهد الراشدين عليهم السلام ، وعرف عنه قوله : ليس من العدل القضاء على الثقة

(١) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص (١٥٧ ، ١٥٨)

(٢) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص (١٦٥)

بالظر^(١)، وقوله هذا يدل دلالة واضحة على أنه ليس من الحائز أحد الدس بالشبهات والحكم عليهم لمجرد الطون والشكوك، بل ينسفي أن يكون ذلك بالثقة أي باليقين المستند إلى أدلة دامغة وأكيدة لا تقبل الجدل حولها، وحير هذه الأدلة ما نصت عليه الشريعة^(٢)، وبذلك يكون المبدأ الذي أقرته التشريعات الجرائية الحديثة القائل: بأن المتهم يبقى بريئاً حتى إثبات العكس قد عرفه الإسلام منذ أمد بعيد^(٣).

وقد تجلّى مبدأ الحرية على أروع صورته ومعانيه أيام عليّ عليه السلام، فالرغم من أنه كانت هناك ظروف استثنائية (فتن، مؤامرات، وحروب)، تترد الحاجة إلى تقييد حرية الأفراد في دعاتهم وإيائهم وإقامتهم أو ما يسمى في العصر الحديث بقانون الطوارئ إلا أن علياً عليه السلام لم يقيد حرية أحد، سواء كان من أتباعه أم من خصومه، ولم يكره أحداً على الإقامة والبقاء في ظل سلطانه أو على الخروج منه ولا حتى على المسير معه لمقاتلة أعدائه، ولم يصد أحداً من الناس عن اللحاق بمعاوية^(٤)، كما أنه لم يقيد حرية أصحاب عبد الله من معهود وعبيدة السلماني والربيع بن حشيم عليهما السلام ولم يكرههم على المسير معه لمقاتلة أهل الشام عندما رفضوا ذلك، بل سمح لهم بالذهاب لبعض الثغور برولاً على رعنهم^(٥).

وعندما ثار عليه الخوارج بعد معركة صفين بسبب قبول التحكيم، فإنه لم يكره أحداً منهم على النقاء في ظل سلطانه أو الخروج منه، بل بالعكس فقد كن يأمر عماله بعدم التعرض لهم في طريقهم طالما أنهم لا يصدون في الأرض ولا يعتدون على الناس^(٦)، وقال لهم: إن لكم عدماً ثلاثاً، لا تمنعكم صلاة في هذا المسجد، ولا تمنعكم نصيبكم من هذا الفيء، ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا^(٧).

(١) «عام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٦٥).

(٢) هذه الأدلة هي: الآية الحظية لطلبه وفقاً لأحكام الشريعة، أو الثالث بشهادة رجلين أو شهادة رجل وامرأتين وأحياناً بشهادة أربعة رجال كما في حالة القرن.

(٣) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٦٦).

(٤) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٥٩).

(٥) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٦٠).

(٦) «تاريخ الطبري» (٦٨٨/٥).

المبحث الثالث

حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً: دعوته للتوحيد ومحاربته للشرك:

إن حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عامرة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى وتعريف الناس بمعاني الإيمان، والاعتماد والتوكل على الله واخوف منه سبحانه وتعالى، والتعريف به من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ومحاربته للشرك بجميع أشكاله وأنواعه، ومن خلال توجيهه وتعليمه وتربيته للناس على دعوة التوحيد ومحاربة الشرك أمور منها:

١- قوله عليه السلام: «لا يرجون عبداً إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه»: فهذا من أحسن الكلام، وأبعده وأتمه؛ فإن الرجاء يكون للخير، والخوف يكون من الشر، والعبد إما يصيبه الشر بذنوبه، كما قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (التورى ٣) فالرجي يطلب حصول الخير ودفع الشر، ولا يأتي بالنعم إلا الله، ولا يذهب المصائب إلا الله ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾ (يوس ١٧)، ﴿وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾ (طه ٢)، والرجاء مقرون بالتوكل، فإن المتوكل يطلب ما رجاه من حصول المنفعة ودفع المصرة، ولتوكل لا يحور إلا على الله، كما قال تعالى: ﴿إن يصركم الله فلا غالب لكم وإن يخدلكم فمن ذا الذي يصرركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (آل عمران ١٦) وقال تعالى: ﴿وقالوا حسبنا الله سبوتنا الله من قبله ورسوله إنما إلى الله راغبتون﴾ (نورة ٥٩) وقال تعالى: ﴿الذين قل لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله وبعم الأوكيل﴾ (آل عمران ١٧٣) فهؤلاء قلوب

حسب الله، أي كفينا الله في دفع البلاء، وأولئك أمروا أن يقولوا: حسبنا الله جلب العناء فهو - سبحانه - كف عبده في إزالة الشر وفي إزالة الخير، أليس الله

بكاف عبده؟ ومن توكل على غير الله ورجاه خذل من جهته وحرم. ﴿مثل الذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَكْبُوتِ اتَّحَدَتْ بِئِنَّا وَإِنْ أَوْهَسَ الْبُيُوتُ لِبَيْتِ الْعَكْبُوتِ﴾ (العنكبوت ٢١) ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٢١) ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (برسم ٨١، ٨٢) ﴿وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج ٣١) ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَدَمُومًا مَخْذُولًا﴾ (الإسراء ٢٢) وقال تعالى ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت ١٧)، فمن عمل لغير الله رجاء أو يتشفع بما عمل له، كدست صمقته خاسرة، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُورْقًا حَسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور ٣٩) وقال تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَأَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ (برسم ١٨) وقال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ مِثْوَرًا﴾ (الزمر ٢٣) وقال تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص ٨٨)، كما قيل في تفسيرها: كل عمل باطل، لا ما أريد به وجهه، فمن عمل لغير الله ورجاه بظن سعيه، والراجي يكون راجيا تارة بعمل يعمه لمن يرحوه، وتارة باعتماد قلبه عليه والتجائه إليه وسؤاله، فذاك نوع من العبادة له، وهذا نوع من الاستعانة به، وقد قال تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الدعوة ٥) وقال ﴿لَا عِبَادَةَ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (مرد ١٢٣) وقال ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (الزمر ٣)، وبما يوضح ذلك. أن كل خير ونعمة تنال العبد فإنما هي من الله، وكل شر ومصيبة تندفع عنه أو تكشف عنه، فإنما يبعثها الله، وإنما يكشفها الله، وإذا جرى ما جرى من أسبابها على يد خلقه، فله - سبحانه - هو خالق الأسباب كلها سواء كانت الأسباب حركة حي باختياره وقصده، كما يحدثه تعالى بحركة ملائكة و لجن وإنس والبهائم، أو حركة جماد بما جعل الله فيه من الصنع أو نقاسر يقسره كحركة الرياح والمياه ونحو ذلك، والله خالق ذلك كله، فله لا حول

ولا قوة إلا به^(١)، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالرحاء يحب أن يكون كله للرب، والتوكل عليه والدعاء له، فوعد إن شاء ذلك ويسره كان يسرا، ولو لم يشأ الناس، وإن لم يشأ ولم يسره لم يكن وإن شاء الناس^(٢)، هذا بعض المعاني من قول أمير المؤمنين عليه السلام لا يرجون أحد إلا ربه^(٣)، وأما قوله: ولا يحامن أحد إلا دينه^(٤)، قال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطْفِرُوا يَمْوِسُوا وَمِنْ مَعَهُ﴾ (الأعراف ١٣١) بين سبحانه أن الحسنة من الله يسعم بها على الناس، وأن السيئة إما تصيبهم بدنوبهم، ولهذا قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (النحل ٢٣)، فأخبر أنه لا يعذب مستغفرا؛ لأن الاستغفار يحوّ الذنب الذي هو سبب العذاب، فيدفع العذاب، كما في سنن أبي داود وابن ماجة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال من أكثر الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب^(٥)، وقال تعالى ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنْشِئْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (٦) وإن استغفروا وبكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ﴿مرد ٣٤٢﴾. عيسى. أن من وحده واستغفره متعة متاعا حسنا إلى أجل مسمى، ومن عمل بعد ذلك حيرا راده من فضله، وفي الحديث: يقول الشيطان: أهلك الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله، والاستغفار^(٧)، فلما رأيت ذلك شئت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسون أنهم يحسون صنع^(٨)، وقال عمر بن عبدالعزيز عليه السلام: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ولهذا قال تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) فانقلبوا بغمة من الله وقضّر لهم منسبتهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴿١٧٤﴾ إنما دلّكم الشيطان

(١) القاري ١/٨ (٢)

(١) القاري ١/٨ (١)

(٢) القاري ١/٨ (١)

(٣) القاري ١/٨ (١)

(٤) سنن ابن ماجة ٤ ولم (٣٨١٩)، وسنن أبي داود (١٥١٨)

(٥) سنن أبي يعلى (١٧٣/١) ولم (١٣٦)، وجميع الروايات (٢١٠/١) وهو صحيح

(٦) القاري ١/٨ (١٠٠)

يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٣-١٧٥﴾ (المعمر) ١٧٣-١٧٥) فهي المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان، وأمرهم بحوفه، وحوفه يوجب فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، ولا مستغفار من التوب وحيث يدفع البلاء وتنصر على الأعداء، فلها قال أمير المؤمنين عسي عنه لا يخاف عس إلا ذبه (١)، وإن سلط عليه مخلوق فما سبط عليه إلا بذنوبه، فليخف الله، وليتب من ذنوبه التي ناله به ما ناله (٢)، كما في الأثر يقول الله: أنا الله، ملك الملوك، قلوب الملوك وبواصيهم بيدي، من أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشتعلوا بسب الملوك، وأطيعوني أعطف قلوبهم عليكم (٣)

٢- تعريف أمير المؤمنين الناس بأسماء الله وصفاته:

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْكَ﴾ (محمد ١٩) فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، كما هي قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (طه ٢٨)، وقد بين القرآن الكريم أن معرفة الأسماء الحسنى الصفات العلى من أعظم الوسائل في زيادة الإيمان وقوته وثباته، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكما أرداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، أرداد إيمانه وقوي يقينه (٤)، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف ١٨) وقال تعالى ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (الأنعام ١٨٠)، وقد ثبت في الصحيحين عنه عليه السلام أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا - مائة إلا واحدة - من أحصاها، دخل الجنة» (٥)، أي من حفظها وفهم معانيها، واعتقدها، وعند الله بها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون (٦)،

(١) المعبري: (٨) ٩٩

(٢) (٣٤٢) المعبري: (٨) ٩٩

(٣) (الوسطية في القرآن الكريم) لمصطفى من (٢٢٨)

(٤) (البخاري)، كتاب الدعوات رقم (٦٤١٠)

(٥) (التوضيح والبيان لشجرة إمامة المهدي من (٤٦)

ولأهمية هذا نعلم قال أمير المؤمنين علي عليه السلام يا طالب العلم إن للعالم ثلاث علامات، العلم بالله، وبما يحب الله، وبما يكره الله^(١)، وقال في معرض وصفه للمولى سبحانه وتعالى: هو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا باوئل كانت قلبه بذية، بل خلق ما خلق فأقدم خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء منه امتناع، ولا له طاعة شيء من خلقه نفع، إحاطته للداعين سريعة، والملائكة في السماوات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات لساكنين، كعلمه بالأحياء المتقلين، وعلمه بما في السموات العلى، كعلمه بما في الأرض السفلى، وعلمه بكل شيء، لا تحيره الأصوات، ولا تشغله اللغات... مدبر بصير، عالم بالأمور، حي قيوم... سبحانه وتعالى عن تكيف الصفات^(٢)، وجساء يهودي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله متى كان ربنا؟ فسمع^(٣) وجه علي بن أبي طالب عليه السلام وقال لم يكن فكان، هو كن ولا كسبوة، كان بلا كيف، كان ليس قبل ولا غاية، انقطعت الغايات دونه، فهو عاية كل غاية، فأسلم اليهودي^(٤). وبما يرويه أمير المؤمنين علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في صفات الله سبحانه وتعالى قوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»^(٥).

إن معرفة أسماء الله وصفاته، وتأمل معانيها، وإيمان بها ثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموحين لقيام بأمره وبهيته، كما توجب النجوى إليه في الكربات. وسؤاله عند الحاجات، واستعاضته في الملهمات وغيرها من أنواع لعبادات القلبية^(٦).

(١) تاريخ الطوفاني (٢/٢٧)، وصحيح علي بن أبي طالب، ص (٩١).

(٢) حلية الأولياء (١/٧٣).

(٣) مجمع، تفسير، لسان العرب (٥/٢٨١).

(٤) تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص (٢٠٦).

(٥) ضد أحمد (١٧٣/٢) لأن أحمد لم يذكر بسنده حتى.

(٦) صحيح علي بن أبي طالب في الدعاء إلى الله، ص (٩٢).

٣- تعريف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الناس منعم الله

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - مذكراً بالله سبحانه وتعالى
وسعمه على عباده -: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال،
وقت لكم لأجال، وحمل لكم أسماعا تعي ما عاها، وأصارا لتجلو عن
عشاها، وأئدة تفهم ما دعاها. في تركيب صورها وما أعمرها فإن الله لم
يخلقكم عبثا ولم يضرب عنكم الذكر صفحا، بل أكرمكم بالعم السوابغ،
وأرعدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجراء في لسراء
والصراء، فاتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب، نادروا بالعمل مقطع الهامات
وهادم اللذات^(١)، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يحث الناس على
القرب من الله بشكر النعم الحاصلة ويحذرهم من الركون إليها والامس معها،
ويرغهم فيما عد الله من المرید هي حال شكر النعم، حيث يقول فإن نزلت
بكم رعة فاشكروا الله، واجمعوا معها رعة، وإن نزلت بكم رعة فاذكروا الله
واجمعوا معها رعة، فإن الله قد تأد المسلمين بالحنى، ولمن شكره بالريادة^(٢)،
ودعا أمير المؤمنين علي عليه السلام الناس إلى التفكير في أنفسهم فقال: من عرف نفسه
فقد عرف ربه^(٣)، وقد قال تعالى ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذريات ٢١).

٤- حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على محو آثار الجاهلية:

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة، فقال اليكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع وثناً إلا كسره، ولا قرأ إلا سواه، ولا صورة إلا لطعها؟ فقال علي عليه السلام أنا أنطلق يا رسول الله. فقال: «انطلق»، فانطلق، ثم رجع فقال يا رسول الله، لم أَدع بها وثناً إلا كسرت، ولا قرأ إلا سويته، ولا صورة

$$\langle \Psi_A, \Psi \rangle = \langle \Psi_A, \Psi \rangle_{\mathcal{H}} + \langle \Psi_A, \Psi \rangle_{\mathcal{H}^\perp}$$

(٢) : التبدل، والتعويض (٣ ٩/٧)

(٣) مصوب كل طالب من شرح كلمات علي بن أبي طالب محمد عبد الجليل العمري محفوظة بدار ابن أبي عمير
علي ابن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص (٩٦)

إلا لطختها، ثم قال رسول الله ﷺ: «من عاد لصعده شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(١)، وعندما أصبح أميراً للمؤمنين أرسل أبا الهيثم لأسدي وقال له: «أنعتك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ» «الأتدع مثلاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرقاً إلا سويته»^(٢)، فأمره بمحو التماثيل، وأن تكون القبور مدروسة معالمها لغرض هي ريادة القصور عند أمير المؤمنين علي عليه السلام^(٣)، وقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام كثيراً ما يقصد المقبرة رائراً ومتعظاً، وقد أشرف على المقبرة فقال: يا أهل القبور أحبروا بخبركم، أما خبركم قبلنا فالنساء قد تروحن، والمال قد قسم، ولما كن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو مطلقوا لقالوا: لم نر خيراً من التقوى»^(٤)، وقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يسعى جاهداً في تجريد التوحيد، وقطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، ولذلك حذر من اتحاد القبور مساجد لما تسببه من الفتنة في أهلها، وكونها دريعة إلى عبادة لأموال، وقد وصف عليه السلام من فعل ذلك بأنه من شرار الناس كما في قوله: «شرار الناس من يتخذ القبور مساجد»^(٥)، وهذا اتباع لقول رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٦)، وغيره من الأحاديث التي صحت في هذا المعنى، كما لا بد من التنبه على أن الغرض من زيارة القصور أمران، كما هو بين من الهدي النبوي الشريف الاتعاط بالموت، والدعاء للميت والترحم عليه، وليس في واحد منها ما يدل على أن الرائر يقصد القبر؛ ليقضي حاجته فقصده القبر للارتفاع به مخالف للهدي النبي ﷺ، ومخالف لأدب ريادة القبور التي نص عليها العلماء^(٧)، قال ابن العربي وهو

(١) مسند أحمد ١ (٦٨/٢) قال أحمد شاكر: إسناده حسن.

(٢) مسلم ١، كتاب الجنائز (٦٦٦/٢).

(٣) الغرض: الاتعاط والدعاء للأموال، ومطه علي: تعلیمی ص (١٩٤).

(٤) الاستدكار ١ (٢٢٤/١).

(٥) مصنف عبد الرزاق ١ (٤٠٥/١)، وذكر المعص ٢ رقم (٢٢٥٢٢).

(٦) فتح الباري ١ (٢٧٦/٤)، وإسناده حسن.

(٧) «تعلو فی الدین» و «الصادق المرتضى» ص (١١٩).

يعدد أعراس السفره ومنه: . . . الفصد إلى الإخوان لضقد أحوالهم - ويعد أن ذكر فصل من زار أحآ له في الله - قال: هذا إن كان حباً، فإن كان ميتاً، فتحوز زيارة قبره أيضاً، والترحم عليه ليتفع الميت بالحى، ولا يقصد الانتعاع بالميت فإنها بدعة^(١)، بل إن قصد القبر رجاء قضاء الحاجة هو عين ما حذر منه النبي ﷺ أصحابه عندما سألوه أن يجعل لهم ذات أنواط، ففي حديث أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم (ذات أنواط). فقال النبي ﷺ «سبحان الله، هذا كما قبل موسى، اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»^(٢)، وفي «عدة المريد» يقول الشيخ الرزوقي بعد أن ذكر الحديث المتقدم ولا يجوز عند العلماء تعظيم مكان، أو شجر، أو ماء، أو أي شيء آخر له أصل في معتقدات الجاهلية؛ رجاء الشفاء أو قضاء حاجة^(٣)، ثم قال: في الحديث دليل على منع كل ما يستدام أو يكون له أصل في عادة الجاهلية من حشية أو حذيلة أو حجر أو ماء ونحوه، لا يمتن أو يكون مستهلكاً^(٤)، ولا شك أن القبر له أصل في عبادة الجاهلية، بل هو أصل أصولها، ولا أدل على ذلك من أن أشهر أصنامهم التي عبدوها من دون الله، سواء في جاهليتهم اللاحقة، الثلاث، هي أسماء لرجال صالحين ماتوا فقالوا في تعظيمهم حتى عبدوهم من دون الله^(٥)، وهنا كان حديث النبي ﷺ وفعل مبدا علي رضي الله عنه له عمل عظيم في حماية جنت التوحيد وينصح لنا أن ما يفعله بعض جهلة المسلمين من تعظيم القصور والطواف حولها والتعلق بأهلها أمر محرم يحالف أمر الله - سبحانه وتعالى - وسيرة أمير المؤمنين رضي الله عنه، فعلى العلماء الرشدانيين الذين يرجون الله واليوم الآخر أن يقتدوا بالنبي ﷺ كما فعل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وأن يسعوا لتعبيد الناس لربهم وجعل قلوبهم

(١) فتح الباري (٣/ ٤٦٥)

(٢) سنن الترمذي رقم (٢١٨٠) حري صحيح

(٣) عدة المريد ص (٦٢) في العلوي للشيخ العربي ص (١١٩)

(٤) عدة المريد ص (٦٢) الفصل منه ص (١١٩) (٥) العلوي في التبع ص (١١٩)

تتعلق بالله الواحد القهار، وأن يحاربوا العوائق في الطريق إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

أ - الزيارة الشرعية للقبور:

إن الزيارة الشرعية للقبور سنة مجهولة عند لكثيرين قد عملها جمع من الناس لفشو البدع والخرافات في العالم الإسلامي، وعدم إرشاد أهل العلم الناس إلى هذه الزيارة المشروعة، وتقصير الدعاة في توصيح هذا النوع لمباح وما يقال عند الزيارة، فالزيارة الشرعية العرض منها. أنها تذكر الموت ومكان الإنسان ونهيته.

وأنه سيأتي اليوم الذي يكون هذا موضعه ومصعبه الذي يروره، الآن، مما يعين على الثبات على الطاعة، وحث النفس ولاخذ بزمامها نحو العبادة، خاصة إذا أصابها فتور وتغصن عن العبادة، كما يشرع فيها السلام على الأموات والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة.

ومن الأدلة على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع العرق». وفي رواية عنها رضي الله عنها في قصة جبريل، حين جاء النبي ﷺ وأحسبه أن الله تعالى يأمره أن يستغفر لأهل بقيع العرق، قالت عائشة رضي الله عنها: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ فقال: قل: «السلام على أهل الديار، من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»^(١).

وقد بين العلماء عدم حواز الدعاء على القبور، كما بينوا آداب زيارة الرسول ﷺ، ودعاء العبد لربه، وأنه ليس بين العبد وربه واسطة.

قال الكاساني الحنفي في كتبه «بدائع الصنائع»: «وكره أبو حنيفة الباء

على القبر، ولكراهة إذا أُنقِطت فهي للتحريم وقد صرح بتحريم ابن مالك من الأحناف^(١)

قال الطحاوي الحنفي: «ولا يستلم القبر ولا يقبله؛ فإنه من عادة أهل الكتاب، ولم يعهد الاستلام إلا للحجر الأسود، والركن اليماني خاصة»^(٢).

قال القاضي عياض عن مالك: «لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ، ولكن يسلم ويمشي» وروى ابن وهب عنه أنه قال: «يدنو ويسلم ولا يمس القبر»^(٣).

وقال زروق المالكي: «من البدع اتخاذ المساجد على قبور الصالحين ولتمسح بلقبر عند الزيارة، وهو فعل النصارى، وحسن تراب القبر، تركه به، وكل ذلك ممنوع بن يحرم»^(٤)

وقال الشافعي: «ولم أر قبور المهاجرين - والأنصار محصنة»، وقال أيضاً رحمه الله: «وقد رأيت من الولاة من يهدم عمكة ما ينشئ فيها، فهم أر الفقهاء يعيرون ذلك»^(٥).

وقال سوي: «ويكره مسحه - قبر النبي ﷺ - دليد وتقبيله بل الأدب أن يعد منه كم يعد منه لو حضر في حياته ﷺ، هذا هو الصواب الذي قلته العلماء وأطبقوا عليه»^(٦)

وقال السبكي في فتواه: «ولا يمس القبر ولا يقرب منه ولا يطوف به»^(٧).

ب - تاريخ الاحتفال بالمزارات في الأضرحة:

يذكر أن أول من أحدث الاحتفال بالمرات السنوية في الأضرحة هم العيسديون (الفاطميون) في القرن الرابع، ذكر ذلك المقرئ أحمد بن علي قال: كانت لهم ستة موالد - مولد النبي ﷺ، مولد علي بن أبي طالب، والحسن والحسين،

(١) «حاشية على مراشي الملاح» (٣٤٠)

(٢) «شرح رسالة القبرواني» (٢٤٤/١)

(٣) «الراويزر عن اقتراح الكبار» (٢٤٤/١)

(٤) «المصنف» (٣٢/١)

(٥) «كتاب شرح الشعراء» (١٥٢/٢)

(٦) «الأم» (٩١٦/١١)

(٧) «فتاوى السبكي» (٢٨٩/١)

وفاطمة عليهما السلام، ومولد الخليفة، وكانوا ينحرون عند قبر الحسين الإبل والسقر والعنما^(١)، ولم يكن المسلمون قبل هذا التاريخ في القرون الثلاثة الأولى يقيمون الأضرحة، ولا يحتفلون بها، ولا أدل على ذلك من أن أكثر الصحابة عليهم السلام دفنوا خارج لبيق في مصر والشام والعراق، لا تعرف قبورهم، ومن عرف قبره منهم، فمختلف فيه بين المؤرخين، وكتاب السير، فكيف خفيت قبورهم عن أهل السير؟ وهم الصالحاء والعلماء وأعلام الهدى، الذين حملوا راية الدين والعلم، والجهاد والعبادة، لو كان للأضرحة في زمانهم و زمان تابعيهم ذكر لما خفي مكانها، ولما اختلف المؤرخون فيها، وفعل الدس لهذا الأمر بعد القرون الأولى خير القرون لا يكسبه مشروعية بحال، كيف وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن اتخاذ قبره عيباً^(٢)، فمن يفعل ذلك من الناس فلا يعمل عين ما حذر منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويحتج بعلمه وعمل شيعته، ويقدمه على هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عليهم السلام والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْلِبُوا بُيُوتَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات ١) ويقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور ٦٣)

ج- ارتباط المزارات بالتخلف والجهل:

ارتفع شأن القباب والتوابيت - المضروبة على القبور - خلافاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتسويتها كما بين لك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وتفنن الناس في زخرفتها بالألوان الزاهية، وبصبت عليها ستائر حرير كستائر الكعبة، وحرصت بالآبواب العاخرة ورودت بحزائن حديد ثقيلة، لجمع ما يجوده الرثرون، وما يصقوه على أصحاب الأضرحة من تذويرة لتقصي حوائجهم وتحقيق آمالهم، وزدهرت الحياة لمتعيشين على خدمة الصريح وحراسته، روة الكرامات، ورواة التحدير نصارم بسوء عاقبة كل من يحاول أن يشكك في سلامة ما يجري، ومن المعروف أن التبجيل على هذا النحو للأضرحة لم يردده

(١) المواظ والاحتياط بذكر الخطأ ولأثارة عن (١/٢٧٧، ٤٩٠)، والعلل في أسبابها عن (١٠٣)

إلا يوم أن تحلف المسلمون، وضعفت هممهم، في عصور الانحطاط العلمي، والحمود لمكري، يوم أن حولو نور الرسالة المحمدية، التي استطاعت في الأربعين سنة الأولى من عمرها أن تجعل أهل الأرض من فارس إلى المغرب يدينون بها، حولو هذه رسالة لخصارية المشرقة إلى دروشة وحمول، وبطالة وتعلق بالأوهام. رقصرو هممهم على أمور ما كان مسلما الصالح، الذي ملأ الدنيا علما وعملا صالحا يقف عندها، ولا يلتفت إليها إلا يحذر ما أن سأل أنمنا هل وجد شيء من هذا على عهد الصحابة فعلوه لقبر رسول الله ﷺ وهو أفضل قبر على وجه الأرض، أو لقبورهم. وهم أفضل أمته؟ أو وجد شيء منه حتى عهد الأئمة، يدين يقتدى بهم؟ كسمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد - رحمهم الله - ليس عدم وجود شيء من ذلك عندهم دليل على أن ما يحري لا صلة له بالدين، ولا بالعبادة، ولا بلولاية؟ وإي هي مظاهر التخلف والجهل، استغنيا من لهم مصلحة باسم الدين، أيأ كانت المصلحة، لتحذير العامة والاستيلاء على عقولهم، وجيوبهم، وأكل أموالهم وشدهم إلى الورا، فقد ظل الإسلام قرونا عديدة ينزع العالم قوة ومعرفة، وحصارة، وتشريعا، وأخلاقا، ورحمة بالإنسانية، وتطعنا إلى الانتكار، ومعالي الأمور، ذلك كان حال المسلمين يوم أن كان تعلقهم بحقيقة الإسلام، فلم أعرضوا عن ذلك، واستبدلوا ما عندهم من العلم والهدية، بمفاهيم معلوطة تعتمد على التواكل والبطالة والدروشة والتعلق بالغيبيات، التي لم يقم عليها دليل، ولم يأمر الله بها، وسموا كل ذلك (بركة)، تسمية للشيء بضده، وأحرى بمن يعرض عن الهداية وأسائها أن يكون من الضالين، وعن البركة من المعدين^(١).

د - الحملات الاستعمارية وإقامة الأضرحة:

كان للحملات الغربية الاستعمارية مواقف في تشجيع المسلمين أن يحو هذا المحي ليستعدوا عن جوهر الدين، ذكرت صحيفة التدمير الإنجليزية قول أحد

(١) «العلو هي الدين»، للمعرياني (٥ ١)

رجال الاستعمار البريطاني يحضر على تشجيع السبع والاهام بين المسلمين يقول من ذلك كفسيل برعادهم عن الإسلام، يقول الشيخ أحمد ليقوري: إن أحد كبار المستشرقين حدثه عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا، إن الضرورة كانت تقضي بتحويل لقواهل الآتية من الهند إلى بغداد، عبر تلك المنطقة الواسعة إلى اتجاه جديد، للمستعمار فيه عاية، ولم يجد لوسائل في حرس القوم تختاره. وأخيراً هتدوا إلى إقامة عدة أضرحة وقبب على مسافات متقاربة في هذا لطرق، وما هو إلا أن تناقش باسم الإشاعات يد فيها من لأولياء، وبما شوهده من كراماتهم، حتى صارت تلك الطريق مأهولة، ومقصودة عامرة، وقد اهتمت الحكومة الإنجليزية ساحالة الدينية في مصر، وهي ترصد التحرك الشيوعي في المنطقة، فكذب طمانها على تدبير المصريين أن ثلاثة ملايين مسلم راروا ضريح أحمد السوي بضبط في ذلك العام، يقول أحد العلماء الذين أوفدوا من وزارة الأوقاف لوعظهم لقد كنت أشهد من أعمالهم ما يستدعي حلد ناسياط لا ما يستدعي الرجرج بالكلام، ونودعوا إني وحب ديني صحيح لفروا تافرين، وحسبث معرفة حالهم أنهم جازوا نصريح المذكور للوفاء بالمسور ولانتهال بانهءه^(١)

هـ هل المزارات من الإحداث في الدين؟

مات رسول الله ﷺ وهو أكرم الخلق على الله تعالى وانتقامهم له، وأخشعهم له، وتوقير أصحابه له غير خاف، ومحنتهم إياه لا تقدر، وفُسر ﷺ في بيته، ومكان قبره الشريف معروف لدى أصحابه غير مجهول، وهو أفضل قبر في الدين، فلم يقيموا عليه مشهداً، ولا ساءة، ولا قتلاً، ولم يجتمع عند قبره الخلفاء الراشدون رضيم إحياء لذكراه في يوم من السنة معلوم في (مرار) ولا غيرهم من أصحابه الأخيار، غتدما لندكر والعادة، بل كانوا إذ مروا بقبره الشريف يصلون ويسلمون عليه كما أمرهم ربهم، وكانوا يصيحبون أمره ويتبعون

(١) مصر: ليس من الإسلام، لمحمد الغزالي عن (٢٢٤) (٢) وأملوا في النبي من (٥) (١)

سسه. ويهتدون بهديه. ويقفون عند أمره وبهيه. حياً وميتاً امتثالاً لأمر ربهم
 «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (النور ٧)؛ وقوله عز وجل
 «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» (الأحزاب ٢١)، وخلفاؤه هم القدوة الحسنة
 الذين أمرهم رسول الله ﷺ بأنواع سنتهم والعصر عليها بالنواخذ. ولم ينقل
 أحد من أهل الإسلام أن أصحابه اجتمعوا ليلة في السنة عند قبره لذكر
 والعبادة، رضاء الركة. وهم أولياء الله، وحرب الهدى. وأصدر الحق، وكتائب
 الدين، وأعلم ما عاينهم رسول الله ﷺ، وأحرص على الضعفة، وتعظيم
 رسول الله في قلوبهم وتوقيره، ملكاً ندي لا يحصى، ولا يختلف عليه، لأن
 الذي يطق به القرآن، وأجمع على تعظيمهم له. ومحبة وتوقيره إياه أهل
 الإسلام، ولو كان هذا العبد السوي عند قبره مما يقرب إلى الله، ولا يخاف منه
 فسد في الدين لكوا أسوأ منه، ولم يأمرهم رسول الله ﷺ في حياته شيء
 من هذا، ولا أحد في سنته بفعل ولا تقرير ما يدل على مشروعيته عند قبر
 النبي ﷺ بعد موته. أو عند أحد من قواد أصحابه الذين ماتوا، وموت عليهم
 السون في حياته، فلم يتعد هو ولا أصحابه شيء من هذا، وهو أكمل خلق
 عبودية لله، وأكملهم علماً بما يرصيه الله تعالى، وبصحة لأمته، وأحرصه على
 ما ينفعهم، بل به القرآن «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عظم حرص
 عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» (التوبة: ١٢٨)، وقد نهانا النبي ﷺ عن اتحاد قبره
 عيداً، فقال ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قري عيداً، وصلوا علي،
 فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»^(١).

ومعنى عبد من العود، وهو الرجوع والمعاودة؛ لأنه يتكرر مرة بعد مرة، أي
 لا تجعلوا لزيارة قبري أياماً معلومة، وأوقافاً مخصوصة، كل شهر، أو كل سنة،
 أو غير ذلك، في اجتماع عام يتكرر بصفة ناشئة كالعيد، ولا تتحدوه منكم
 ترحلون إليه كالحج، ولا تشبهوا باليهود والنصارى؛ فإنهم يفعلون ذلك، وقد

أدى بهم الأمر إلى العدو والمبالغة في الإضراء، حتى جعلوا المسيح عليه السلام إلهاً، وقد حذر النبي ﷺ أصحابه من ذلك فقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله»^(١)، فإذا كان الحال من الشبه في التعلق بشيئنا ﷺ، وهو أكرم الخلق على الله، وهو سيد الأولين، والآخرين، وأفضل الخلق أجمعين، وأرحى الشفعاء عند الله يوم الدين، فما مالك بقور الأموات من دونه من الأولياء والصالحين، فتكون مخالفة نهيه في ذلك باتخاذ قبورهم أعياداً، داخلة في الشق الثاني من الحديث، وهو ما يقرب إلى من يحلف بيه في قوله عز وجل: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُحَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (هود: ٦٣). فهذا هو هدي خير القرون فمن حالاهم راعوا أنه أتى بطاعة وقرينة، فلا يحلوا حاله من أمرين، إما أنه جاء بدعة ظلماء، وإما أن يكون مدعيًا أنه فقههم فضلاً وعملاً، بل كان الإمام مالك رحمه الله تعالى يقول: من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلعها، فقد رعم أن رسول الله ﷺ حد الدين؛ لأن الله تعالى يقول: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» (آل عمران: ٣)، فما لم يكن يومئذ ديناً، لا يكون اليوم ديناً^(٢). وكان يقول: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تحلف عنها غرق^(٣)، إن إقامة (المزارات) عادة لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا أصحابه، بل نهى عنها، ومخالفته من الإحداث في الدين الذي ينتهي صاحبه إلى الضلال كما أخبر النبي ﷺ، فقد كان مما يخطب به في كل جمعة محدثاً: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»^(٤)، وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردة»^(٥). إذ جمع الناس في يوم معين على الدوم، في مكان م، نشد إليه الرجال من كل حدب وصوب للعبادة، لا يحور إلا فيما شرعه الله تعالى من إقامة السبت في مكة، وعرفة.

(١) البخاري، رقم (٣٣٤٥)

(٢) الاعتصام، ص ٢٠٢ (٥٣)

(٣) ومسنون، ص ٩٦٧

(٤) تلمذ في السير، تلمذاني، ص (٩)

(٥) البخاري، رقم (٦٦٩٧)

ومى والمردفة، وفي صلوات الأعياد والجمعة والجماعة، وهي الشعائر التي أمر الله تعالى بتعظيمها، وإقامتها، وأثنى على أهلها بقوله تبارك وتعالى ﴿وذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ (حج ٣٢) وإحداث مشهد آخر غير ما ذكر، في يوم من السنة، من الإحداث في الدين، لأنه إحداث عادة وسلك لم يشرعها الله تعالى، ومن هذه الترات صارت عادة كالسك، يحتج بها إليها الناس في يوم من السنة معلوم للديع والعادة، وتشد إليها الرحال، وهذا في ذاته أمر مدموم؛ فإن الطاعات المنطقية المدبوبة إليها في كل وقت، إذا حصص شيء منها بيلة معينة، أو يوم معين، أو مكان معين، لم يخصصه الشرع به، واعتقد أن لعبها في ذلك الوقت المعين، أو المكان المعين، أثر حصصاً في نركه، أو رفع الدرجات، أو قول العمل، أو تعظيم الآخر؛ تحولت تلك الأعمال التي هي من جس الطاعات إلى بدعة بالاتفاق؛ لأن ترتيب الثواب على الأعمال، أمر توقيفي لا يكون إلا من الشارع

وقد حرم هذا إلى مفاسد عظام، منها اعتقاد العامة في أصحابها الذين بيت عليهم نقاب خلافاً ليهي رسول الله ﷺ، واعتقدوا فيها الصبر والتمنع، وقضاء الحوائج، وتقربوا إليها بالذبائح والقرابين في يوم معلوم من السنة، عند إقامة المزر، وتودعوا إليها بعد ما أشاعوا حولها أن من ساق إليها الخيول ليديع في ذلك اليوم، وكانت له حجة يرحوها من ربه، مثل ولد إن كان لا يلد، أو شفاء مريض إن كان مريضاً، لا يرجع إلا بها، فصارت ملجأ لنجاح المصائب، وسألوا منها ما سألوا العباد من ربه واستعاثوا بها، وأن حوائجهم تقضى لهم من ربه بواسطتها وعن طريقها، حتى صاروا يذبحون عبدها؛ لاسيرال المصير إذا تأخر المطر، معرضين عن كتب الله وهدى رسول الله ﷺ الذي أمر بالتوبة والاستغفار ونداء الصلاة صلاً للستين، وقد يزل المطر بعد ذبحهم - استدراجاً واستلاء - ولكن عملهم لا يزال من أعمال الشياطين، ومعتقدات الجاهلية^(١)، فإلى الله المشتكى.

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام دعا للتوحيد وحارب الشرك وأسبابه، فعنى محبيه ومبغيه أن يأخذوا بأقواله وأفعاله التي ترشدنا لنمسك بالقرآن الكريم وهدي النبي عليه الصلاة والسلام، وبأحسن كلامه عندما قال: لا يرجو أحد إلا ربه ولا يحدفن إلا ذنبه^(١)، وقوله لأبي الهيثم الأسدي: ألا أعثت على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «الأندع مثلاً إلا طمسته. ولا قرأ مشرقاً إلا صوته»^(٢).

(و) حرص أمير المؤمنين علي عليه السلام على بطلان الاعتقاد بالكواكب:

لما أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن يسافر لقتل الخوارج، عرض له منجم. فقال: يا أمير المؤمنين، لا تسافر؛ فإن القمر في العقرب، فإني إن سافرت والقمر في العقرب هرم أصحابي - أركم - قل فقد علي بن أسود ثقة بالله وتوكلاً على الله وتكديت لك، فسافر بمورك له في ذلك سفر فقبل غامة الخوارج^(٣)، وجاء في رواية: . فلم فرغ من نهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرت في الساعة التي أمرنا للمحجم؛ لقتلنا أجهل مدبر لا يعلمون سار في الساعة التي أمره بها المحجم فطعم^(٤) انظر إلى حرص أمير المؤمنين علي عليه السلام على سلامة عقيدة أصحابه من ادعاء المحجم من ذلك الاعتقاد الفاسد، فعلى عليه السلام مع ما كان فيه من الأمر المهم من قتال الخوارج، واشتعاله بتيحة المعركة، فإنه لم ينس تلك الكسبة التي قاتلها ذلك المحجم له في بداية مسيره، فكان من بيان فساد ذلك المعتقد في الوقت المناسب بعد انتهاء قتاله للخوارج وانتصاره عليهم^(٥).

(ز) إحراق أمير المؤمنين علي عليه السلام لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية:

عن عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي عليه السلام: إن هنا قوم

(٢) مسلم، كتاب الحجاز (٢/٦٦٦)

(١) الفتاوى (١/٨٠)

(٣) مجموع الفتاوى (١٧٩/٣٥) واللبابة والتهذيب (٧/٢٨٨) (٤) المدينة، نهاية (٧/٢٨٨)

(٥) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص (٣٢٩)

على باب المسجد يدعون أنك ربهم. فدعاهم فقل لهم: ويلكم، ما تقولون؟^(١) قالوا: أنت ربنا وحائقنا ورازقنا. فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أناسي إن شاء، وإن عصيته حشيت أن يعذبي، فانقوا الله وارجعوا، فأبوا فما كان العد عدوا عليه، فجاء قبر، فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدهمهم، فقالوا كذلك. فلما كان اليوم الثالث، قال: لئن قتلتم ذلك لأقتلكم بأحد قننة، فأبوا ذلك، فحد لهم أحدهما بين المسجد والقصر، وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقف بهم فيها، حتى إذا احترقوا^(٢) قال:

إِنِّي إِذَا رَأَيْتُ أُمَّرَأً مُنْكَرًا

أَوْ قَدْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُبْرًا^(٣)

كما أخرج البخاري في صحيحه خبر الإحراق من حديث عكرمة، قال: أتني علي بن أبي طالب برنادقة فأحرقهم. فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنه فقال: لو كنت أن لم أحرقهم لشي رسول الله ﷺ حيث قال: «لا تعذبوا بعذاب الله»، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»^(٤)، وقال ابن تيمية: وثبت عنه أنه حرق عالية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الألوهية^(٥).

ثم يرأس عباس رضي الله عنه، رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه في إحراق السبئية، حيث يقول: لو كنت أنا لم أحرقهم محنًا عليه بشي رسول الله ﷺ «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»^(٦). قال ابن حجر: وهذا يحتمل أن ابن عباس رضي الله عنه سمعه من رسول الله ﷺ، ويحتمل أن يكون سمعه من بعض الصحابة.

(١) مع الدرر، (١٢)، (٢٧) وسنده حسن.

(٢) فتح الباري، (١٢/٢٧٠)، وسنده حسن.

(٣) البخاري، كتاب المرتدين، (٢٧٩/٤).

(٤) دهاوي، (١٧٤/٢٨) ومصحح السنة، (١٦/٥).

(٥) البخاري، كتاب المرتدين، (٢٧٩/٤).

وفي رواية أبي داود: فبلغ ذلك عبداً عليه السلام، فقال: ويح أم ابن عمار^(١). وهذا يحتمل أنه لم يرص عما عترض به ورأى أن أسهلي للتنزيه^(٢)، وقال بن حجر أيضاً (ويح) كلمة رحمة فتوجه له لكونه حمل نهي علي عليه السلام فاعتقد بتحريم مطلقه، فأنكره. ويحتمل أن يكون قالها رصاً بما قاله، وأنه حفظ ما سبه به علي أحد ما قيل في تفسير ويح، أنها تقار بمعنى المدح والتمجيد^(٣). وقالوا واختلف السلف في التحريق، فكره ذلك عمر، وابن عباس رضي الله عنهما، وغيرهما مطلقاً سواء كان ذلك بسب كفر، أو في حال معاندة، أو كان قصاصاً، وأجازه علي. وحالد بن الوليد رضي الله عنه وغيرهما، وقال المهلب، ليس هذا النهي على تحريم، بل على سبيل التواضع، ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة، فقد سمل النبي صلى الله عليه وسلم أعين المشركين بالحديد، وحرق أبو بكر رضي الله عنه البعثة بالدر بحصرة الصحابة، وحرق حالد بن الوليد بالدر بساً من أهل الردة، وأكثر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصون والمركب على أهليها، قاله الثوري، والأوزاعي، وقال ابن المنير وغيره: لا حجة فيما ذكر للبخاري لأن قصة العريين كانت إما قصاصاً أو منسوخة كما تقدم ونحوها الصحابي معارض بجمع صحابي آخر، وقصة الحصون والمراكب مقيدة بالضرورة إلى ذلك إذا تعين طريقاً للعدو^(٤)، وقال ابن القيم وحرق أبو بكر رضي الله عنه النبطية وأدافعهم حر سار في الدب قل الأحرسة، وكذلك قال أصحابنا إذا رأى الإمام تحرق لوطي فله ذلك، فإن خاف من توليد رضي الله عنه كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه وجد في بعض بواحي العرب رجلاً يكح كد تكح امرأة، فاستشار الصديق أصحاب رسول الله وفيهم علي بن أبي طالب وكذا أشدهم قولاً، فقال إن هذا الدب لم تعص به أمة من الأمم، إلا واحدة فصنع الله بهم ما قد علمتم، أرى أن يحرق بالدر، فكذب أبو بكر إلى حالد أن يحرقو فحرقهم، ثم حرقهم عبد الله ابن الزبير في خلافته، ثم حرقهم هشام بن عبد الملك^(٥).

(١) انفتح سري (٢) / ٢٢٦

(٤) انفتح البخاري (٦) / ١٥

(١) سنن أبي داود، كتاب الحدود (٤) / ٥٢٠، وصححه الألباني

(٣) المصدر، ج ١٢ / ٢٧٢.

(٥) انفتح حكمة في السياسة الشرعية، ص (٢٢، ٢٣)

ح- كيفية بداية الإيمان في القلب عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتعريفه للتحقوي:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : إن الإيمان يبدو مطة يضاء في القلب، فكلما ازداد العبد إيمانا ازداد القلب بياضا، وكلما ازداد العبد شكاً ازداد القلب سواداً، حتى إذا استكمل العبد سفاق أسود القلب، وإيم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه أسوداً^(١).

وقد بين علماء أهل السنة حقيقة الإيمان فقالوا، بأن الإيمان هو التصديق بالقلب وطق بشهادتين والعمل بالحوارج والأركان أي هو اعتقاد وقبول وعمل، فهذه الثلاثة كلها مندرجة فيه وتمثل أجزاء من حقيقته، وقد تواترت أقوال لعلماء ومن بعدهم على هذه الحقيقة واستدلوا بأدلة كثيرة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية على صحة هذا القول في حقيقة الإيمان^(٢)، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿ (نساء: ١٠٩)

فقد جمعت هذه الآيات - وهي تعرض صفات المؤمنين - بين عمل القلب وعمل الجوارح، واعتبرت هذا كله إيماناً، وقصرت الإيمان عليه بأداة القصر وخصر (بما) وعرفت المؤمنين بتلك الصفات مجتمعة، عندما ضمتها بعبارة ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ وأعدل الجوارح في هذه الصفات هي: إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله^(٣)

وقال رسول الله ﷺ «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إسالة الأذى عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان»^(٤) والشاهد في

(١) العنبري (١٩٠/٧)

(٢) أي خلال الإيمان للمعاليدي ص (٢٣)

(٣) (٤) «مسئمة» كتاب الإيمان (١/٦٣) رقم (٥٧)

(٢) «تفسير المؤمنين بفتح البصر والتمكين» ص (١٨٨).

علي بن أبي طالب عليه السلام (٣٢٩)

الحديث ما ذكره رسول الله ﷺ ، والشهادة قول ومطاعة لأدى عن بطريق عمل ، ولحباء خلق وسلوك ، وجعل الثلاثة من الإيمان دليل على حقيقته ، ومعظم شعب الإيمان هي أعمال^(١) ، وقد لإمام البخاري في صحيحه : هو قول وفعل يريد ويقص وأحب في الله والعص في الله من الإيمان . وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسماً ، فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، من أعش فسائبكم لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت فما أنا عبي صاحبكم بحريص^(٢) ، وما قاله أمير المؤمنين في الإيمان ، مثل عنه . «إيمان عبي أربع دعائم . على الصبر واليقين والعمل والجهاد . والصبر منها على أربع شعب . على الشوق والشفق والرهق والثرق . فمن شاق إلى الحلة سلا عن شهوات ، ومن أشفق من نار حطب المحرمات ومن رهد في الدنيا استهان بالمصيبات ، ومن رتق الموت سارع إلى الخيرات ، واليقين منها على أربع شعب . على تنصرة المظنة وتأول الحكمة . وموعظة العبرة وسنة الأولين . فمن تنصر في المظنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة . ومن عرف العبرة فكأنه كان في الأولين ، والعدن منها على أربع شعب . على عائض المصم ، وغور العلم ، ورهبة الحكم وساخة الحسم ، فمن فهم علم غور العلم ، ومن علم غور صدر عن شرائع الحكم ، ومن حسم لم يهرط في أمره وعاش بين الناس حميداً ، والجهاد منها على أربع شعب . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصدق في ادواطن وششاد الفاسقين ، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين ، ومن صدق في الموطن قضى ما عليه ومن شئ للمنافقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة^(٣) .

وقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في تعريقه للتقوى ترك الإصرار على المعصية ، وترك الاعتزاز بالطاعة^(٤) ، وقال فيها : التقوى هي اخوف من

(٢) «المحادي» - كتاب الإيمان (٩/١)

(٤) «تفسير الرازي» (٢١/٢)

(١) في ظلال الإيمان ص (٣٠)

(٣) نهج البلاغة ص (٦٦٧، ٦٦٨)

الخير، والعمل بالشر، والقسوة بالقبيل والاستعداد ليوم الرحيل (١)، وفي اهتمام أمير المؤمنين في حب الدس على التقوى ثمرات وأثار في جانب الفرد والمجتمع، منها محبة لله له ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ١٩٨)، معية الله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (البقرة ١٧٨)، الانتصاف بالقرآن ﴿ذَلِكَ لِكِتَابٍ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٢)، الحفظ من الشيطان ووسوسه ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (البقرة ٢٠١)، انتفاء الخوف والحر ﴿فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٢٠٥)، قبول العمل ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٢٠٧)، اليسر بعد العسر، وانحراح بعد الصيق ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (البقرة ٢١٨)، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (البقرة ٢١٩)، انقراضة والحكمة والورع ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَشْقُوا أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (البقرة ٢٢٩)، دخول الجنة ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٢٢٣)، النجاة من النار ﴿ثُمَّ سَجَّيْنَا الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدَرُوا الظَّالِمِينَ فِيهَا حَشِيًّا﴾ (البقرة ٢٢٧)، سرلة العلية يوم القيامة (٢)، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (البقرة ٢٢٨)

ط - القضاء والقدر عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) :

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقص في السماء . وليس من أحد إلا وقد وكل به ملك يدفع عنه ويكلا به . حتى يحيي قدره ، فإذا جاء قدره حليا بينه وبين قدره ، وإن عني من الله حنة حصية . فإذا جاء أجسي كشف عني ، وإنه لا يعد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخصه لم يكن ليصيبه (٣) ، وقد هو (٤) : إن الأمر يروى من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال ، فمن رأى نقصا في نفسه أو أهله أو ماله ، ورأى لغيره عشرة فلا

(١) طرائد الكلام ١ ص (٣٣٤)

(٢) سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية ، للمعري ص (٢٣٦ ، ٢٣٧)

(٣) تحفة الصالحين (٢/٦٦٤) ، و طرائد الكلام ١ ص (٣٤٨)

يكون دث له هبة. فإن المسلم ما لم يمش ديباه يظهر تحسنا لها إذ ذكرت، ويعري به ثام الدس، كالانس العالم ينتظر أول فورة من قداحة توجب له المعصم، وتدفع عنه المعرم، فكذلك المسلم الري من الحياة بين إحدى الحسين، إذا ما دعا لله، فما عند الله خير له، إما أن يرفقه الله مالا، فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسنة ودينه، وإما أن يعطيه الله في الآخرة، فالآخرة خير، وأبقى، الخرب حرب، فحرب الدنيا والمال والتقوى، وحرب الآخرة الآفات الصالحات، وقد يجمعها الله تعالى لأقوام^(١).

ي - كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ فقال: كما يرزقهم على كثرة عددهم^(٢).

ثانياً: خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتحليلها:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يتعهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من خلال الاحتكاك اليومي وخصوصاً يوم الجمعة حيث كانت خطبة الجمعة من المدارس الهامة في توجيه الأمة وترشيدها، وقد حفظ التاريخ لأمير المؤمنين علي كثيراً من خطبه وهذه إشارات عسرت عن خطبه. وإليك هذا المودع الفريد المعجب من خطبه حيث قال: أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأدنت^(٣) بوداع. وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن انضمام^(٤) اليوم، وغداً الساق، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصر في أيام أمه قل حضور أجله؛ فقد خاب عمله ألا فاعملوا لله في الرعية، كما تعملون له في الرعية، وإنه لم أر كاذباً نام طالبها، ولم أر كائناً نام هاربها. وإنه من لم يفعه الحق ضربه الباطل. ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالنطق.

(١) البداية والنهاية (٨/٨)، وقرآن الكلام من (٣٤٢)

(٢) أدب الدنيا والدين من (٢٦)، وقرآن الكلام من (٣٣٩)

(٣) أخت: أعلمت

(٤) المضمرة: الوضع الذي يقصر فيه الخيل لتساق.

ودللتهم على الراد، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرص حاصر، يأكل منها البر والفاجر. وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها منك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء. والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً. والله واسع عليم. أيها الناس، احسروا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم، فإن الله وعد جته من أطاعه، وأوعده بآله من عصاه. إنها نار لا يهدأ فيها، ولا يك أسيرها، ولا يحس كسيرها، حرها شديد، وقعرها بعيد، ومذاها صديد^(١). ولو تأملنا في المقطع السابق لوجدنا أن عوامل التأثير في المدعوين تتمش فيما يلي

١- صدق النهج النابع من إيمانه بما يدعو إليه، مما يجعل كسانه كأنها قبس من نفسه المشتعلة، وصورة من عواطفه المنفعلة، فهو لا يكذب ينطق بالحكمة حتى تكون أسماعهم قد تلفتتها، وقلوبهم قد وعته.

٢- تمتاز الألفاظ بالقوة، مع سهولتها وعدوتها وسلاستها، كما أن عبارتها واضحة، وجملتها قصيرة ولعل ذلك يسعف السامعين بإدراك المعنى المراد

٣- المقابلة بين المعاني المتضادة مما يريد المعنى وصوراً، والسمع تأثراً، ومن ذلك مثلاً: قوله: فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع.. وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وقوله: وإنه لم أر كالحية نام طائها ولا كالدن نام هارها

٤- الاقتباس من القرآن الكريم، كما في قوله: ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم، ذلك مقتبس^(٢)، من قوله تعالى: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (البقرة: ٢٦٨).

٥- لقد كانت عناصر الخطبة المذكورة تتمثل في التأثير الشديد بالقرآن الكريم وبكلام الرسول ﷺ، وواقعيتها وانصائها للحميم بالحياة البشرية، وعمق المعنى وسموها وشمولها، وإجادة في تحوير الألفاظ وساء لعبارة، والإيجاز، والتعبير عن المعنى والألفاظ بالصورة، واعتماد الوسائل البديعية، وغاية انقوب. فإن هذه

(٢) مسجع علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله

(١) البداية والنهاية (٧/٨).

الخطبة تكتسب أهمية خاصة لما تنكشف عنه من مزايا دينية وأدبية وشخصية، فهي عميقة الدلالة على شخصية صاحبها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تنبئ عن إدراكه السليم لنمفاهيم والآراء الإسلامية السديدة التي تتناول طبيعة الدنيا وعاية الوجود الشرعي والمصير الذي ينتهي إليه، وتوضح النتائج التي توصل إليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في هذا الخصوص وتدلنا على ما كان يتحلى به من حكمة نافذة ورؤيا معمقة يرفلها صفاء ذهنه وظهرارة روحه، إلى غير ذلك من المزايا العقيدة والروحية العالية التي أفاضها عليه إيمانه، وتقاه ونمسه بحرى الإسلام وغنصامه برمه ورضاه بقصائنه، إن هذا كله قد ساعده في الوصول بالشرع إلى هذا المستوى الرفيع، فكان بحق في عالم الأدب فارس الكلمة وقائدها وإمامها تمامًا، كما كان في الدرس إمامًا عادلاً زاهداً، وقائداً حكيماً مجرباً، وفارس حرب لا يبارى^(١).

هذا وقد اهتم أمير المؤمنين علي عليه السلام بأشهر الناسات في وعظ الناس وتذكيرهم ولم يكتف بخطب الجمعة فقط، فعندما شيع جارة ووضعت في لحدّها وعج^(٢) أهلها وبكوا قال: "ما تكون؟" أما والله لو عابنوا ما عابن ميتهم، لادهلنهم معابيتهم عن ميتهم؛ وإن له فيهم لعودة ثم عودة، ثم لا يقي منهم أحدٌ. فانقوا الله عباد الله، وجلدوا في الطلب، وبددوا بالعمل مقطع البهائم، وهادم اللذات؛ فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، عرور حائل، وسناد مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر، وعشروا بالآيات والأثر، وارددجروا بالذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم محائب المتبة، وضمكم بيت الثراب، ودمعتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القصور وسياقة المحشر. وموقف الحساب، بإحاطة فطرة الخبار، لكل نفس معلّم، سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (فرر ٦٩)

(١) الأدب العربي، لحبيب يوسف مئة من (٢٥٤) إلى (٢٦٣)

(٢) الملح - رفع الصوت، التصاحح للجرهري (٢٢٧/١)

فارنحت لذلك اليوم البلاد، وناد المساء، وكان يوم التلاوة، وكشف عن سائق، وكسفت الشمس، وحشرت الوحوش، مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار، وهلكت الأشرار وارنحت الأفئدة^(١).

ونستج من هذه الموعظة بعض عوامل التأثير منها:

- ١- وقوع الموعظة في مناسبتها، فإن الموعظة كانت بمناسبة تشييع جازة، والعوس في هذه الحال تكون مستعدة لتلقي ما يذكر به في الموت والدار الآخرة.
- ٢- الصياغة السلاعية للموعظة، فصاغت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تنمير بأسلوبها البلاغي المؤثر في نفوس المدعوين، فمن الخواص السلاعية في النموذج المذكور ما يلي:

أ - الاستعارة مثل قوله فكأن قد علقنكم محالب المسية تشبه الموت (المسبة) بحيوان ممترس، له محالب، فحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لورمه وصفاته وهو المحالب.

ب - السجع العموي غير المتكلف مثل قوله. فإن الدنيا لا يدوم بعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسند مائل.

ج - الصيغ الإنشائية^(٢)، وهي مبثوثة في الخطبة كلها منها: ما تكون؟ استمهم (اتعظوا عباد الله بالصبر) بداء (اتعظوا، عشروا، وارادحروا، وانتعموا)، كل هذا على صيبل الأمر.

د - حراثة الألفاظ، لعل أي جزء من الخطبة يكون شاهداً عليها، لأن الخطبة كلها لا تخل فيها ولا ضعف.

- ٣- اعتماد المضمون على القرآن الكريم وانتهاجه منهجه في الإرشاد والإقناع، كقوله «لكل نفس معلم، سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها» اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وَحَامِلٌ كُلِّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ن ٢١)

(١) حلية الأولياء لأمي عبيد (٧٨/١)، ودرصة الصفوة (٣٢٨/١)

(٢) الكلام الذي لا يحتمل التصديق والتكذيب

٤- الترهيب بذكر أهوال يوم القيامة، كقوله: ودهنكم مقطعات الأمور
بصفحة الصور، وبعثرة لقور، وسيافة المحتر، وموقف لحساب بإحاطة قدره
خيار.

٥- الإقناع ومن ذلك قوله: كم مرصت يديك وعللت بكفيك، فمن تطلب
له الشفاء وتستوصف له الأطباء للإقناع بحصول الموت، ولا يتحمل عن الدنيا
والقدوم على الآخرة، وأنه لا مهرب ولا فكاك

٦- استحضار الصورة، وذلك لتعبيره بالعمل لماضي عما سيحدث في
المستقبل. حتى تصور لسمع هذا الأمر الذي ينتظره، ومن ذلك قوله فكأن قد
علقتكم محالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور.

٧- لطف العارة بحيث تستهوي السامعين ولا تنفرهم^(١)، فهذه بعض
نماذج من خطب وموعظ أمير المؤمنين عبي بن أبي طالب عليه السلام، والتي
تشرت بين الناس وساهمت في تربيهم ونهذيب نفوسهم، وتطهير قلوبهم.
وكان مفعولها ساري في جيله والأجيال التي بعده إلى يومنا هذا

ثالثاً: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والشعر:

يظهر من الأخبار التي وصلتنا أن الحركة الشعرية في عهد الخلفاء
الرشديين^(٢)، كانت نشطة، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد في الأساليب
على الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية
التي تتصل بالخلفاء الرشديين، وصحة بعامة، والنايعين بإحسان ما عدا بعض
الأراجيز التي كانت تردد في العهد السوي وروتها كتب الحديث الشريف^(٣)،
فمراجع فيما يتعلق بالشعر، وأشعره في عهد أمير المؤمنين عبي هي كتب
الأدب والأدباء، فهي عينة في هذا الجانب، ولا يحذف موقف أمير المؤمنين علي
عليه السلام من الشعر عن موقف الرشديين الذين سبقوه إلى سدة خلافة، فكأنهم

(١) منهج عبي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص (١٤٥)

(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٩٨/٢)

يستفون من كتاب الله وسنة رسوله، فهو يستمع إلى شعراء يشدون بين يديه ما
يطيب له أن يسمعه من صدق القول ورفيع المعاني، وكان يعطي على الشعر إذا
استساغه وأعجبه، كما مر معنا عندما قال الأعرابي:

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تَبْلَى مَعَانِيهَا فَسَوِّفَ

أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَّةً^(١)

ولعلني آراء نقدية راقية في الشعر، ما رالت معايير يعتمدها القاد في عصرنا
الحاضر، فهو يقول: الشعر ميراث القول^(٢)، أي أن للشعر حصائص فية يعرف بها
صحيح القول من سقيم، في مقاييس أهل هذا الفن الكلامي، وإن حالف في
أغراضه قديم قوم آخرين^(٣)، وأما أمير المؤمنين الشاعر، فقد اختلف في كثير مما
يسب إليه من شعر، وهذا الاختلاف لا يقلل من شاعريته المتمثلة فيما رححت
نسته إليه، ولا يقدم ولا يؤخر في إمامته اللغوية والأدبية، ولكن يبدو للباحث أن
الشعر لم يكر عتبة عنده، كما أن سيرته السياسية وما رافقه من أحداث جسام لم
تكن لتسمح له بالالتفات إلى صاعية الشعر وروايته، واصطياد المعاني الحميلة
واختيار القوافي الرنانة المؤثرة، ومع ذلك فقد اشتهر له شعر كثير، وسب إليه
ديوان شعر يشتمل على العديد من النقصائد والمقطوعات، فيه الكثير من الأقوال
المرجلة والآراء السديدة السامية، وكان أول من شكك في سعة بعض النقصائد إليه
ابن هشام، فقد روى أن علماً كان يرنحز في أثناء بناء مسجد الرسول في المدينة

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَحْمُرُ الْمَسْجِدَ

يَدَأْبُ فِيهِ قَائِمًا وَقَاعِدًا

وَمَنْ يَرَى عَنِ الْعَبَّارِ حَائِدًا^(٤)

وبعقب ابن هشام قائلًا: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا

(١) «المجلة لأبي ريش» (١/١٦).

(٢) «المجلة لأبي ريش» (١/١٦).

(٣) «الأدب الإسلامي» - بيت معروف ص (١٩٢).

(٤) «سيرة ابن هشام» (١/١٩٧).

الرحز، فقالوا: بلغنا أن عبداً من أبي طالب ارتجزه، ثم يقول: فلا يدري أهو قائله أم غيره؟^(١) وفي موضع آخر يقول ابن هشام: وقد روى ابن إسحاق ثلاث قصائد منسوبة لعلي، ولم تصح له، ويرجح أنها قبلت في المعارك الإسلامية من قبل أحد المسلمين، وقد بطروا إلى معانيها الدينية فرأى الرواة أنها تناسب وعبداً منسوبة له وأما الديوان الذي نسب إليه فبيري نذكره نايف معروف أن أمير المؤمنين علياً بفصاحته المعهودة وبلاغته المشهورة، هو أرفع مستوى من مجموع هذا الديوان، ويعلم على النظر أنه حليط لشعراء من مستويات متفاوتة قام بجمعها بعض محبيه الذين عز عليهم ألا يكون شاعراً، ظناً منهم أن ذلك يرفع من قدره عند الناس، علماً بأن عبداً لم يكن من بين شعراء الرسول ﷺ الذين تولوا الرد على الحملة الدعائية التي شنها شعراء المشركين على الإسلام والمسلمين^(٢)، ولكن الأمر ثم يصل إلى حد الرواية التي نقلها باقوت الخموي عن أبي عثمان المازني، حينما يرفع أنه لم يصح أن عبداً تكلم من الشعر بشيء غير بيتين^(٣)، فهناك روايات عديدة جاءت تخالف هذا القول، إذ أثبت له الرواة عدداً من المقطوعات التي صحت نسبتها إليه عندهم^(٤)، ومن الأشعار التي نسبت إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

١- في الفرج والسدة:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى النَّاسِ الْقُلُوبُ
وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصُّدُورُ الرَّحِيمُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارَهُ وَأَطْمَأَنَّتِ
وَأَرَسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخَطُوبُ^(٥)

(١) «سير النبوة» لابن هشام (٤٩٧/١)

(٢) «الأدب في الإسلام»، د. نايف معروف ص (١٩٥)

(٣) «معجم الأنبياء»، باقوت (٢١٣/٥)

(٤) «الأدب في الإسلام» ص (١٩٥)

(٥) الخطوب: الأمور الشظية

وَلَمْ تَرَ لَانْكَشَافِ الصُّرِّ وَحُفِّهَا
وَلَا أَغْنَى بِحِمْلَتِهِ الْأَرِيبُ^(١)
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ عَمُوتُ
يَمُنْ بِهِ الْقَرِيبُ الْمُسْتَجِيبُ^(٢)
وَكُلُّ الْحَمَادَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ
فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرْجُ الْقَرِيبُ^(٣)

٢- في الصبر:

أَلَا فَاصْبِرْ عَلَى أَحْدَثِ الْجَلِيلِ
وَذَاوِ حَوَاكِ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ^(٤)
وَلَا تَجْرَعْ فَإِنْ أَغْسَرْتَ يَوْمًا
فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي الدَّهْرِ الطَّوِيلِ
وَلَا تَظُنَّنْ بِرَبِّكَ ظَنُّ مَسْوٍ
فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ
فَإِنَّ الْعُسْرَ يَتَّبِعُهُ يَسَارٌ
وَقَوْلُ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلِّ قَسِيلِ
فَلَوْ أَنَّ الْعُقُولَ تُخَرَّرُ رَقًا
لَكَانَ الرِّزْقُ عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ
فَكَمْ مِنْ مُؤْمِنٍ قَدْ جَاعَ يَوْمًا
سَيَرَوْهُ مِنْ زَجْحِ السُّنْبِيلِ^(٥)

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١)

(١) الأرباب العرف

(٣) البداية والنهاية (٨/ ١)

(٥) البداية والنهاية (١١/ ٨)

(٤) الجوى. القنوى

٣- في حرص الناس على الدنيا:

للناس حرص على الدنيا وتدبير
وفي مراد الهوى عقل وتضمير
وإن أتوا طاعة الله ربهم
فالعقل منهم على الطاعات مأسور
لأجل هذا وذاك الحرص قد مزجت
منقاء عيشاتها هم وتكدير
لم يرزقوها بعقل عندما قسمت
لكنهم رزقوها بالمتكدير
كم من أديب لبيب لا تساعده
ومائق بال دنياه بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة
طار البزاة بأرزاق العصفير^(١)

٤- في الصداقة:

فلا تمنع أخا الجهل
وأيالك وإيماه
فكم من جاهل أزدى
خليقاً من أخيه
يقياس الممرء بالمرء
إذ ما هو مما شاء

وللشيء من الشيء
مقاييس وأشباه
قوام الشعاع بالشغل
إذا ما هو حاداً
وللقلب على القلب
دليل حين يلقاه (١)

٥- في التواضع والقناعة:

حقيق بالتواضع من يموت
ويكفي المرء من ذنياه قوت
فما للمرء يصيح ذا هموم
وجرح ليس تدركه النعوت
صبح مليكنا حسن جميل
وما أرقاه عنا نفوت
فبها هذا مصرحاً عن قليل
إلى قوم كلامهم السكوت (٢)

٦- في السر وكتمانه:

ولا تفتش سرك إلا إليك
فإن لكل نصيح نصيحاً
فإني رأيت غواة الرجال
لا يتركون أديماً صحيحاً (٣)

(١) (٢٠١) الخليلي والهيدي (١٢/٨)

(٢) مبيون الأعيان لآمن قتيبة (٩٧/١)

رابعاً: من حكم أمير المؤمنين علي التي سارت بين الناس:

تهيأ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مجموعة من الأسباب من صراحة السديهة، ودلافة اللسان، ورحابة العقل، وطهارة القلب، وصفاء النفس وعمق الإيمان، والتضلع في الدين والقرب من رسول الله ﷺ، وتنقي السوحي عنه، ما مكنه من فصاحة اللسان، وجودة اليبس، فأصبحت كلماته درراً، وحمله حكماً أعجبت ذوي العقول، فهي لأهل البلاغة مطرب، ولأهل الهداية معبر، ففيها حث لهم على فضائل الأعمال، وجميل الحاصل وأصحت حكمه الحميلة مادة قيمة في مجال دعوته الناس وتعليمهم، وتهذيب نفوسهم وتنوير عقولهم، وإحياء قلوبهم، لما فيها من حودة التعبير، ووضوح المعاني، وعمق التفكير، وموق ذلك فهي تسع من قلب تقي، وصدر نقي^(١)، ومن هذه الحكم على سبيل المثال ما يلي:

- ١- صلاة الليل بهاء في النهار^(٢) قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَسْتَوُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (مريم: ٦٤) وقال أيضاً في قيام الليل «سور المؤمن من قيام الليل»^(٣).
- ٢- صلاح الدين من النور وفساده من الطمع^(٤).
- ٣- طوبى لمن عمل بعلمه^(٥).
- ٤- الفرصة تمر مر السحاب^(٦).
- ٥- قسوة القلب من الشح^(٧).
- ٦- الشرف بالفضل والادب، لا بالأصل والنسب^(٨).
- ٧- جمال الخلق أنهى من جمال الخلق^(٩).
- ٨- في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق^(١٠).

(١) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص (٢٧٥)

(٢) ١ - ٣) أثر الأثر في مخطوطة نقلها عن منهج علي بن أبي طالب ص (٢٧٦)

(٤) أثر الأثر في مخطوطة نقلها عن منهج علي بن أبي طالب ص (٢٧٦)

(٥) المرجع السابق ص (٢٧٧) . (٦) المرجع السابق ص (٢٧٧) (٧) المرجع السابق ص (٢٧٨)

(٨) الأعيان والإيجاز، للثعالبي ص (٢٧٧) . نقلها عن منهج علي بن أبي طالب ص (٢٧٦).

(٩) ١ - ٩) أثر الأثر في مخطوطة، نقلها عن منهج علي بن أبي طالب ص (٢٧٨)

٩- المعروف كنز من أفصل الكنوز (١).

اجتمع عبد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جماعة فتذاكروا المعروف،
فتنهر أمير المؤمنين هذا الحديث لترعيتهم فيه وحثهم عليه فقال: المعروف كنز من
أفصل الكنوز، وررع من أركى الرروع، فلا يرهضكم في المعروف كسر من
كسره، وححد من ححده، فإن من يشرك عليه ممن لم يصل إليه منه شيء
أعظم مما دله أهله منه، ولا تلتبس من غيرك ما أسديت إلى نفسك، إن المعروف
لا يتم إلا بثلاث حصص تصغيره، وستره، ونعجيله، وإذا أصعرت فقط عظمته،
وإذا سترته فقد أكتمته، وإذا عجّلته فقد هاتته (٢).

١- لا شرف مع سوء الأدب (٣).

١١- لا راحة لحسود (٤).

١٢- الخاسد مغتاف على من لا ذنب له (٥).

١٣- ويل للباغين من أحكم الحاكمين (٦).

١٤- من سل سيف البغي قتل به (٧).

١٥- لنظلم البادي - غدا - يكفه عظة (٨).

وهذا الترهيب مستفاد من قوله «ويوم يعرض الظالم عن يديه» (الرواه ٢٧)

١٦- إجماع الشذائد من الرواة (٩).

(١) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢١٠) وصحيح علي بن أبي طالب (ص ٢٣٠)

(٢) نصير نامه (٢/ ٢١٠)، ونصير نامه ص (٢٣)

(٣) «إعجاز وإعجاز» لشمس الدين (ص ٢٨)

(٤) المطلوب كل ظالم من كلمات علي بن أبي طالب منخطوطة نقلت عن «صحيح علي» ص (٢٣٤)

(٥) «إعجاز وإعجاز» للشمس الدين ص (٢٩)، وصحيح علي بن أبي طالب (ص ٢٣٥)

(٦) «إعجاز وإعجاز» للشمس الدين ص (٢٥)، وصحيح علي بن أبي طالب (ص ٢٣٥)

(٧) صحيح علي بن أبي طالب في الشعر إلى الله ص (٢٣٥)

(٨) نصير نامه ص ٢٣٦

(٩) الرواة هي كمال الوجوه، صحيح علي بن أبي طالب ص (٢٤٣)

- ١٧- أحسن إلى المسيء تسده^(١)
- ١٨- الإحسان يقطع اللسان^(٢).
- ١٩- من هذب لسانه كثر إخوانه^(٣).
- ٢٠- من قل صدقه ، قل صديقه^(٤)
- ٢١- لسانك يقتصيك ما عودته^(٥).
- ٢٢- من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه^(٦).
- ٢٣- صاحب الأخيار تأمن الأشرار^(٧).
- ٢٤- جليس الخير غيمة^(٨)
- ٢٥- صحة الأحق نقصان في الدنيا ، وحسرة في الآخرة^(٩)
- ٢٦- كفى أدباً لنفسك ما كرهته لغيرك^(١٠).
- ٢٧- لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال^(١١).
- ٢٨- خير الناس من ينفع الناس^(١٢).
- ٢٩- المرء مخبوء تحت لسانه^(١٣).
- ٣٠- اللسان معيار أفاضه الجهل وأرجحه العقل^(١٤).
- ٣١- أخوك من واساك في الشدة^(١٥).

(١) سر القلبي من كلام علي بن أبي طالب ، نقلاً عن صحيح علي بن أبي طالب ، ص (٢٤٥)
 (٢) معقولة كل طالب في شرح كلمات علي بن أبي طالب ، نقلاً عن صحيح علي بن أبي طالب ، ص (٢٤٦)
 (٣) ، (٤) المصدر نفسه ص (٢٤٧)
 (٥) المصدر نفسه ص (٢٤٨)
 (٦) «الإعجاز والأجواء للعلاني» ص (٢٩) ، المرجع السابق ص (٢٤٩)
 (٧) نشر الآثر من كلام علي بن أبي طالب ، ولراجع السابق ص (٢٤٩)
 (٨) نشر الآثر من كلام علي بن أبي طالب ، ولراجع السابق ص (٢٤٩) (٩) المرجع السابق ص (٢٥٠)
 (١٠) نشر الآثر من كلام علي بن أبي طالب ، ولراجع السابق ص (٢٥٠) (١١) المصدر السابق ص (٢٥١)
 (١٢) المصدر السابق ص (٢٥٢) (١٣) «البيان والبيان» ص (٢٥٣)
 (١٤) معقولة علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص (٢٥٣)

- ٣٢- قيمة كل امرئ ما يحسه .
- ٣٣- احذر صولة الكريم إذا جاع، وصولة اللئيم إذا شبع .
- ٣٤- النفس مؤثرة للهورى، آخذة بالهوينى، حاملة إلى اللهوى، أمارة بالسوء، مستوطنة للفجور، طالبة للراحة، ناهرة عن العمل، فإذا أكرهتها، أنصبتها، وإن أهمتها أرديتها (١).
- ٣٥- العجز آفة، والعصر شجاعة، والزهد ثروة، والورع حنة .
- ٣٦- لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرًا .
- ٣٧- إياك والاتكل على المنى، فمنها بضائع الخوكنى (٢).
- ٣٨- الناس نيام، إذا ماتوا انهبوا .
- ٣٩- الناس أعداء ما جهلوا .
- ٤٠- ما هلك امرؤ عرف قلره .
- ٤١- رب كلمة سلبت نعمة .
- ٤٢- الآداب حلال مجددة والعكر مرآة صافية
- ٤٣- الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل عريب في بلدته
- ٤٤- إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سبته محاسن نفسه (٣)
- ٤٥- اجمعوا هذه اقلوب، واتمسوا لها طرف الحكمة، فإنها تمثّل كما تمثّل الأبدان (٤).
- ٤٦- بشاشة الوجه عطية ثانية (٥).

(١) «الترغيب والترهيب» للندوي ص (٢٠١)
 (٢) «الترغيب والترهيب» للندوي ص (٢٠١)
 (٣) «الترغيب والترهيب» للندوي ص (٢٠٢)
 (٤) «الترغيب والترهيب» للندوي ص (٢٠١)
 (٥) «الترغيب والترهيب» للندوي ص (٢٠٢)

٤٧- العمى عند المقدرة شكر للمقدرة^(١).

٤٨- إعادة الاعتذار تذكير للذنب^(٢).

٤٩- أبلغ العظات النظر إلى الاموات^(٣).

٥٠- ذكر الموت جلاء للقلوب^(٤).

فهذه بعض الحكم لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي سارت بين الناس، والتي خصت كثيراً من تجاربه في الحياة في عسارات موحرة، غربة نفسي، والمعاييب والأهداف والمقاصد كان لها تأثير في حياة المجتمع الذي عاش فيه والمجتمعات المتلاحقة من بعده إلى يومنا هذا، لقد كانت الحكم والخطب والاشعار والمواعظ من وسائل أمير المؤمنين علي عليه السلام في توجيه وترشيد وتعليم المجتمع الإسلامي.

خامساً: حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبي صلى الله عليه وسلم، ووصف الصحابة الكرام.

١- صفات خيار العباد:

سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن خيار العباد فقال: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أسأؤوا استعفروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا عضوا عفروا^(٥)، وقال: ألا وإن لله عبداً كمن رأى أهل الجنة محلدين، وأهل النار في النار معددين. شروهم مأمونة، وقتلهم محرونة، أنفسهم عقيمة وحوائجهم حصى، صبروا أيماً قليلة لعقبى راحة طويلة، إذا رأيتهم في الليل، رأيتهم صبيين أقدمهم دموعهم على حدودهم، يحذرون إلى الله في فكاك

(١) «مطبوع كل طالب» خلا عن «منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٣٩).

(٢) «عجاز والإيجاز للتعالي» ص (٢٩) خلا عن «علي بن أبي طالب» ص (١٢٩).

(٣) «نثر الألقام» خلا عن «منهج علي بن أبي طالب» ص (١٢٨).

(٤) «منهج علي بن أبي طالب» ص (١٤٩).

(٥) «مروج الذهب» (١/٢١٦).

رقبهم وأما بهرهم فصلاء حلاء مرة أنقباء. كأنهم القدح. يطر إليهم
الناظر فيقول مرص وما بهم من مرص. وحواصوا. ونقد خالط القوم أمر
عظيم^(١) وقد يسعى للمؤمن أن يكون نظره صرة. وسكوته فكرة. وكلامه
حكمة^(٢). وقد طوى لكل عبد يومه^(٣). عرف الناس. ولم يعرفه الناس.
عرف به برصوا. أوثك مصاييح لهدى. يكشف به عنهم كل فئة مظلمة.
سبححهم به. في رحمة منه ليسوا بالمدبيع^(٤). الدر^(٥). ولا الحفة^(٦) المرثين^(٧).
وكلام أمير المؤمنين عبي فيه تأثير واضح بقول رسول الله ﷺ «إن الله يحب
العبد التقي الغني الخفي»^(٨).

٢- إجابته لمن سأل عن تطوع النبي ﷺ: عن عاصم بن صمرة قال: سأل
علياً عن تطوع النبي ﷺ بالنهار فقال إنكم لا تطيقونه قال قلنا ما أصعبنا
قال كان النبي ﷺ إذا صلى العصر أمهل، حتى إذا كانت الشمس من ههنا،
يعني من قبل المشرق، مقدارها من صلاة العصر من ههنا من قبل المغرب قام
فصلى ركعتين، ثم أمهل حتى إذا كانت الشمس من ههنا يعني من قبل المشرق
مقدارها من صلاة الظهر من ههنا، يعني من قبل المغرب قام فصلى أربعاً،
وأربعاً قبل الظهر إذا رت الشمس، وركعتين بعدها، وأربعاً قبل العصر، يعصل
بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين، وسين، ومن تبعهم من المؤمنين
والمسلمين، قال: قال علي ثلث ست عشرة ركعة تطوع النبي ﷺ بالنهار،
وقل من يداوم عليها^(٩)، وقد بين أمير المؤمنين في موضع آخر هدي رسول الله
ﷺ في لوثر فقال: أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل وآخره وأوسطه

(١) ديبابه والنهاية (٨/ ٦٦)

(٢) مروج الذهب (٢/ ٢٣٤)

(٣) الحامل الذكر الذي لا يولد له، وفي: الغنم في الناس الذي لا يعرف الشر أهله

(٤) المدبيع، جمع مدبايع، من ادبايع الشيء إذا أمشاه والمدبايع، الذي لا يكتف السور.

(٥) الدر، جمع بدر وهو الذي يمشي الكلام بين الناس

(٦) الحفة، غلط الطبع

(٧) صفة صموية (١/ ٣٢٥)

(٨) ديبابه (١/ ١٦٨) وقال أحمد شاكر، إسناده صحيح، وأسنده (٤/ ٢٢٧٧)

(٩) وصند أحمد (٢/ ٦٦) لأن أحمد شاكر إسناده صحيح

علي بن أبي طالب عليه السلام (٣٤٧)

فانتهى ونسره إلى السحر^(١). وفي بيان هدي النبي صلى الله عليه وآله بعد صلاته، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا سلم من الصلاة قال: «لنهم اعمر لي ما قدمت وما أحرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»^(٢).

٣- وصف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للصحابة الكرام:

لما أحس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أصحابه شيئاً من العقلة وقلة نشاط في الطاعة، ذكرهم بشيء من سيرة أسلافهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فيما رواه أبو أراكه بقوله: صليت مع علي صلاة الفجر، فلما انعلت عن يمينه مكثت كأن عليه كآفة، حتى إذا كانت الشمس على حنظ المسجد قيد رمح صلي ركعتين ثم قلب يده فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصحون صبراً شتياً عراً بين أعينهم أمثال رُكَبِ المعزى، قد باتوا لله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله، يترأفون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحواذكروا الله مador كما تميد الشجر في يوم الريح

وهملت أعينهم حتى انثلت ثيابهم. والله لكان القوم دنوا عذابين، ثم بهض مما رثي بعد ذلك مقترأً بصحك حتى قلبه ابن ملجم عدو الله نفاسق^(٣).

٤- تنبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام أصحابه على فضائل الأعمال:

مما ورد له في حطية قوله: أوصيكم بتقوى الله فإن أفضل ما توسل به العبد بالإيمان وخهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها العطرة، وإقام الصلاة فإنها المنة وإيتاء الزكاة فإنها فريضة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه مسافة مدحضة للبدن، وصلة الرحم فإنها مساة في لأجل. محبة في الأهل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وتطفى غضب الرب؛ وصع المعروف،

(١) مسند أحمد (٢ / ٦٤) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح

(٢) وصحيح سنن أبي داود (١ / ٧٨٣) للآلبي

(٣) رحله الأوثية (١ / ٧٦)

فيه يدفع مينة لسوء، ويغي مصارع الهوى، أميصوا في ذكر الله قلبه أحسن
الذكر،^(١)

٥. معايدة المريض:

عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه قال: أخذ علي بيدي، قال: انطلق بنا إلى
الحسن نعوذه، فوجدنا عنده أبا موسى فقال علي عليه السلام: أعانداً جئت يا أبا موسى
أم راتراً؟ قال: لا بل عانداً، فقال علي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من
مسلم يعود مسلماً عدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك، حتى يمسي، وإن عاده عشية
إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح»^(٢).

٦. تشجيعه لابنه الحسن على الخطابة:

قال أمير المؤمنين علي لابنه الحسن يوماً: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك؟
فقال: إني أستحي أن أخطب وأن أرك، فذهب علي حيث لا يراه أحسن، ثم
قام الحسن في الناس خطيباً، وعلي يسمع فأدى خطبة مديدة مصيحة، فلم
انصرف جعل علي يقول: ذرية بعصها من بعص والله سميع عليم^(٣).

٧. إني لست كما تقول:

قال عمرو بن مرة، عن أبي لخنري قال: جاء رجل إلى عبي فأنس صيه،
وكان قد بلغه عنه أمر، فقال: إني لست كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك^(٤).

٨. التحذير من الانقياد للشهوات:

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم؛ فإن
عاجلهم دميم، وآجلهم وحيم، فإن لم ترها تنقد بالتحذير والإزعاج، فسوقها
بالتأمل والإزعاج، فإن الرغبة والرغبة إذا اجتماعا على النفس دلت لهما
وانقادات»^(٥).

(١) الكندي والتهذيب، (٧/٣١٩).

(٢) صحيح سنن الترمذي، للألباني (١/٢٨٦).

(٣) تاريخ القديسي عهد الخلفاء الراشدين، (٦٤٦).

(٤) البداية والنهاية (٨/٣٧).

(٥) غريب الدين والدنيا، ص (٢٦).

٩. إدخال المرور على المسلم:

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: إن من موجبات المغفرة إدخال سرور على أخيك المسلم^(١).

١٠. أشد الأعمال ثلاثة:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال^(٢).

سادساً: التحذير من الأمراض الخطيرة التي حذر منها أمير المؤمنين:

١. جزاء المعصية:

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: جزاء المعصية لو هن في العبدية، والصيق في المعيشة، والنقص في الملة، قيل: وما نقص في الملة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاءها ما يعصه إيماناً، ومع هذا الترهيب والتحذير من المعصية فإن أمير المؤمنين عليه السلام لا يعمل عن تسرع في تركها؛ حيث قد من كان يريد عز بلا عشيرة والنسل بلا كثرة، ولغى بلا مال، فليتحول من داء المعصية إلى هز الطاعة^(٣)، وقال: إذا رغبت في مكارم، فاجتنب المحارم^(٤).

٢. طول الأمل واتباع الهوى:

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على منبر الكوفة، فحمد الله وتنى عليه وقال: أيها الناس، إن أحوال ما آجاب عليكم طول الأمل وتباع الهوى، فأما طول الأمل فيسي لأخرة، وأما اتباع الهوى فيصعد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة، وكل واحد منهما بنو، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وعداً حساب ولا عمل^(٥).

(٢) بحلية لأبي: (١٥)

(٤) تاريخ الخلفاء: (١/٢٧٦)

(٥) صحيح علي في الدعوات: (١٠٧)، مثلاً من صحيح الإمام في حكم الإمام: (٥٧)

(١) بحلية الأولياء: (١/٧٦)، راجعه بصيرة: (١/٣٦١)

(١) تنبيه المصلين: ص (٢٤٥)

(٢) تاريخ الخلفاء: لشوقي: ص (٢٤٠)

فقد أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذه الخطبة إلى أمرين خطيرين لهما تأثير كبير في حياة الناس وهم طول الأمل بالبقاء على قيد الحياة؛ فبه يحدع الإنسان فيشغله بمشاريعه وطموحاته الدنيوية، ويحبه تأجيل الأعمال الصالحة ويسيه الحياة الآخرة، فيتضخم عنه اللذات ويتضاءل عمله للآخرة، ولو أن كل إنسان وضع في محبته أنه معرض للموت في كل ساعة لأصبح العمل للدنيا قليلاً بقدر الضرورة، ولأصبح نعمل للآخرة كثيراً؛ لأنه هو الذي يبقى، بعد الموت، وما اتسع الهوى، وبه يعبر نجه صاحبه، ويجعل لهدف لأعنى في فكره هو تحقيق هوى نفسه وهوى من يعمل تحت إدارتهم، ويسى الأهداف للإسلامي الأعلى الذي هو انتعاء رسول الله تعالى وفصله في الحق، وساء على تعبر لأهداف من مذهب العمل بتغير فتصبح مذهب دنيوية يراد بها تحقيق أهداف لا تتجاوز حياة الدنيا، كما تعبر بعلاقات وبروابط، فتصبح الأخوة قائمة على المصالح الدنيوية بدلاً من الإيمان والتقوى، إلى غير ذلك مما يترتب على تغير لأهداف^(١).

٣- الرياء:

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: لا تعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا تتركه حياءً^(٢)، وقال عليه السلام للمرائي ثلاث علامات يكسل إذا كان وحده، ويشهد إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه، وينقص إذا ذم به^(٣)، وقد جاءت بصوص الشرع بتسمية الرياء شركاً أصعراً، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة، إذا جارى الناس بأعمالهم، اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟»^(٤)، وعن شداد بن أوس، قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر^(٥)، إن

(١) التاريخ الإسلامي، قلعبيدي (٢٧٦/٢). (٢) أدب الدنيا والدين، ص (١١٠).

(٣) الكنز، للدعي ص (١٤٥) و «مرائد الكلام»، ص (٣٣٨).

(٤) مسند أحمد، (٥) ١٢٨، ٤٢٩، إسناده حسن.

(٥) «الحكم»، (٤) ٣٢٩، صحيح الألباني في صحيح الترغيب، (١٨/١).

علي بن أبي طالب عليه السلام

أصير المؤمن علي بن أبي طالب من مرض القلب الخطير المتعلق بمرادة الإنسان وقصده. وحث الناس على إفراد الله سبحانه وتعالى بالقصد والظاعة والالتزم بتسليم علي هدي السنة النبوية فقد ثبت عنه أنه قال لا يجمع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بسنة ولا بنية إلا بموافقة السنة^(١)، وروى عن لعصيل بن عبيد أنه تلا قوله تعالى: ﴿لِيُطَوِّقَكُمْ أَيْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢) فقال أحلصه وأصوبه قولوا يا أبا علي ما أحلصه وأصوبه؟ قال إذا كان العمل حالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن حالصاً لم يقبل حتى يكون حالصاً صواباً، والحالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة^(٣).

إن صور الرياء متعددة، منها ما يكون بالأعمال، كمن يصلي فيقبل انقياد وبطل الركوع والسجود ويظهر الخشوع عند رؤية الناس له، ومنها ما يكون من جهة القول، كالرياء بالوعظ والتذكير وحفظ الأحبار والآثار لأجل المناجزة وإظهار عراة العلم، وتحريك الشفتين في محضر الناس ويتغافل عنه في منزله، أو يكون الرياء من جهة الرأي، كبقاء أثر السجود على جبهته، ونس العليظ من لثيب وحشها مع تشميرها كثيراً يقال: عابد راهد، أو ارتداء نوع معين من أزياء ترتديه صانعة يصددهم الناس علماء ليقبل. عالم، أو يكون الرياء بالأصحاب والرفيق، كالذي يتكلف أن يستزير عالماً أو عابداً يقال: إن فلاناً قد راو فلاناً، ودعوة الناس لريافته كي يقال: إن أهل الخير يترددون عليه، وكذلك من يراني بكثرة الشيوخ يقال: لقي فلان شيوخاً كثيرين واستفاد منهم لياهم بذلك، أو يكون الرياء لأهل الدنيا، كمن يتحتر ويختال في مشيته، أو يصغر خلقه أو يلف عباءته، أو يحرك سياسته حركة خاصة، أو يكون الرياء من جهة البدن، كأد يراني بإظهار لحول والصغار ليوهم الناس أنه جاد في العبادة كثير الخوف والحرص وعبر ذلك من الصور التي يراني بها المرازون، يظنون بذلك إخاء والمرة في قلوب العباد^(٤).

(٢) مدارج السالكين، (٢/ ٨٥).

(١) التمهيد، لأبي جري (٢/ ٦٣٨) وإسناده صحيح.

(٣) نظر. «محضر معاج القاصدين» ص (٢١٥-٢١٦)، ولشوك في التقيم والتحديث لأبي بكر محمد زكريا.

(١/ ١٧١، ١٧٢).

وبالجملة فإن المحافظة على أعمال الخير والإكثار من ذكر الله وعادته وخشيته وحده، وعدم حشبة الناس في ذات الله ومسحة الصالحين وغيرها كل هذا من الأعمال الصالحة الحقة المطلوبة، ولكن لابد أن تكون كلها لله؛ لأن الرياء هو عمل العمل الصالح لغير الله، فيجب على المؤمن تصحيح بینه لله لا أن يترك العمل الصالح خوفاً من الرياء، فليحذر تلك الأصناف من حظورة مرض الرياء ولتذكروا قول رسول الله ﷺ «من طلب العلم ليما يري به الفقهاء، أو يجاري به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إليه؛ أدخله الله النار»^(١).

إن أمير المؤمنين عياً حذر من الرياء وبين أن الأعمال لا تعمل إلا إذا كانت خاصة لله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وقد حدث عياً على لتمسك بالسنة في مناسبات عديدة، فقد قال «واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ» فإنه أفضل الهدى، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن»^(٢).

٤- العجب:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع: «الإعجاب آفة الألب»^(٣)، إن لعجب من الآفات التي تقصد الأعمال، وتهلك العباد، والعجب أحد العوارض التي تعرض للعاملين أثناء سيرهم إلى الله تعالى، والعجب داء يدمي الإخلاص ويصاده، ويحافني الدن والافتقار لله تعالى، فهو سوء أدب مع الله جل جلاله، كما أن العجب يجلب محاسنة النفس، ويعمى عن معرفة أدواء النفس وعيوبها، ومع كل ذلك فحديث عن تلك الآفة قليل مع شدة خطرها، وعظيم ضررها، وكثرة انتشارها، قال عبدالله بن المبارك: العجب أن ترى عندك شيئاً ليس عند غيرك»^(٤)، وفرق ابن تيمية بين الرياء والعجب فقال «والعجب قريب الرياء لكن الرياء من باب لإشراك باخني، والعجب من باب الإشراك بالنفس، ولما لا لا يحقق قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والعجب لا يحقق قوله ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فمن

(١) «مسلم»، كتاب الإمارة، باب من دنا من الرياء، رقمه (١٥١٣، ٢) (٢) «مصابه ونهايه» (٧، ٤١٩)

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٧١) (٤) «سير اعلام النبلاء» (٨، ٧، ٤)

حقن قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حرج من الرياء، ومن حقق قوله: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خرج عن الإعجاب (١).

وقال الغزالي: أعلم أن آفات الإعجاب كثيرة، فإن الإعجب يدعو إلى الكبر، فيتولد عن الإعجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى. ولعجب يدعو إلى سيئ الدنوب وهملها، وأما العبادات فإنه يستعظمها ويتسرع بها، ويمتنع على الله بفعلها، ويسئ نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، والمعجب ينتثر بنفسه ويراه رياس مكر الله وعذابه. ويظن أنه عند الله محبب. ويخرجه الإعجب إلى أن يشني على نفسه ويحمدها ويزكيها (٢).

وقال القرافي: وسر تحريم الإعجاب أنه سوء أدب على الله تعالى فإذن العبد لا ينبغي له أن يستعظم ما يتقرب به إلى سيده، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده، لا سيما عظمة الله تعالى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (المر ٦٧)، أي ما عظموه حق تعظيمه، فمن أعجب بنفسه وعبادته فقد هلك مع ربه، وهو مطيع عليه، وعرض نفسه لمقت الله تعالى ومسحطه (٣). ويمكن القول ابتداء: إن سبب الإعجاب أمران:

(أ) الجهل بحق الله تعالى، وعدم تقدير الله تعالى حق قدره، وقلة العلم بأسماء الله وصفاته، وضعف انتباه هذه الأسماء والصفات.

(ب) الغفلة عن حقيقة النفس، وقلة العلم بطبيعتها، والجهل بمعيوبها وأدواتها، وهمل محاسبة النفس ومراقبتها (٤).

ومن ثم فإن العلاج هو التعرف على الله تعالى، وتحقيق تعظيمه وتقديره حق قدره وإقيام بالعبودية له من خلال العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وتعدد المولى عز وجل بها، فالخير كله بيده، ورحمته تعالى وسعت كل شيء ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (قصص-٥٣).

(١) المجموع الفتاوى (٢٧٧/١). (٢) الأحياء (٣٧/٣) بختصار. (٣) الفروع (٢٢٧/١).

(٤) معالم في السلوك وتركيب النفوس، لعبد العزيز عبد المنعم (٩٨).

قال الإمام الشافعي: إذا خفت على عملك العُجب، فادكر رضى من تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، فمن فكر في ذلك صغر عنده عمله^(١).

وقال النووي: وطريقه في نفي الإعجاب أن يعلم أن العدم فصل من الله تعالى، وممة عارية، فإن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فيسمى الّا بعجب بشيء لم يخترعه، وليس مالكاً به، ولا على يقين من دوامه^(٢).

قال ابن القيم: اعلم أن العبد إذا شرع في قول أو عمل يتغني به مرضاة لله، مطالعاً فيه منه الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وأنه بالله لا نفسه، ولا بمعرفته وفكره وحوله وقوته، بل هو الذي أنشأ به اللسان والقلب والعين والأذن، فالذي من عنده بالقول والفعل، فإذا لم يعب دبك عن ملاحظته، ونظر قلبه لم يحضره العجب الذي أصله رؤية نفسه وغيبته عن شهود ممة ربه وتوفيقه^(٣)، وأما العلاج الآخر للعجب فهو معرفة النفس ومحاسنها، قال ابن الجوزي: من تلمح حصول نفسه ودوبها، علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير، وهو من حاد عبره، في شك، فالذي يحذر منه الإعجاب بالنفس، ورؤية التقدم في أعمال الآخرة، والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه، وقد قيل لعمر بن عبد العزيز رحمته إن مت نفسك في حجرة رسول الله ﷺ، فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إلي من أن أرى نفسي أهلاً لذلك^(٤)، وقال ابن حزم: من امتنع بالعجب فليفكر في عيوبه، فمن أعجب بفصائله، فليفتش عما فيه من الأخلاق لذيئة، فإن خفيت عليه جملة حتى لا يظن أنه لا عيب فيه، فليعلم أن مصيبتته إلى الأبد، وأنه أتم الناس نقصاً، وأعظمهم عيوباً، وأصعهم تمبيراً، وأول ذلك أنه ضعيف العقل، جاهل، ولا عيب أشد من هذين، لأن العاقل هو من ميز عيوب

(١) سير أعلام النبلاء (٤٢/١).

(٢) الفتاوى من (١٤٤).

(٣) المجموع (٥٥/١).

(٤) صيد الخاطر ص (٢٥١ : ٢٥٠).

نفسه وغالبها وسعى في قمعها، والأحقق هو الذي يحهل عيوب نفسه، وإن أعجبت بآرائك، وتفكر في سقطاتك واحفظها ولا تسها، وفي كل رأي قدرته صواباً فخرج بخلاف تقديرك، وأصاب غيرك وأخطأت أنت، وإن أعجبت بعملك، فأعلم أنه لا حصة لك فيه، وأنه موهبة من الله مجردة، وهك يها ربك تعالى، فلا تقابلها بما يسخطه، فلعله يسبك ذلك بعله يمتحك بها، تولد عليك سبب ما عمت وحفظت، وإن أعجبت بمدح إخوانك لك، ففكر في دم أعدائك إياك، فحيث يتحلي بك العجب، فإن لم يكن لك عدو، فلا خير فيك، ولا منزلة أسقط من منزلة من لا عدوله، فليست إلا منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها — عافانا الله — وإن استحققت عيوبك، ففكر فيها لو ظهرت إلى الناس، وتمثل اطلاعهم عليها، فحيث تخجل وتعرف نقصك^(١)، ويقول ابن القيم أثناء حديثه عن الحكم والأسرار في قضاء السيئات وتقدير المعاصي ومنها أن الله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً أنشأ رؤية طاعاته ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا اتلي بذنب جعله نصب عييه. وبني طعنه وجعل همه كله مذنبه، فلا يزال دبه أمامه، إن قام أو قعد، أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه، كما قال بعض السلف إن العبد لي عمل الدن فيدخل به الجنة، ويعمل الحنة فيدخل بها النار، قالوا وكيف ذلك؟ قال يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عييه، كلما ذكرها بكى وندم وتب واستعمر، وتضرع وأتاب إلى الله، ودل له وانكسر وعمل لها أعمالاً فتكون سبب الرحمة في حقه، ويعمل الحنة فلا تزال نصب عييه يمين بها، ويراه، ويعتد بها على ربه وعلى الخلق، ويتكر بها ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه ويكرمونه ويحلونه عليها؟، فلا تزال هذه الأمور به حتى تقوى عليه آثارها فتدخله النار^(٢)، هذا شرح موحر وسريع لقول أمير المؤمنين علي عليه السلام : الإعجاب آفة الألباب^(٣).

(١) الأخلاق والسير، ص (٦٦ - ٧١) بحضرة

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٧ - ٢٩٨)، ومدرج شالكون (١/ ١٧٧)

(٣) جامع البيان والعمم وقصته (١/ ٥٧)

سابعاً: اهتمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بترشيد الأسواق ومواقف متنوعة مع الناس:

حرص أمير المؤمنين عبي بنه على تفقد أحوال المتعطلين في السوق وحملهم على التعامل بالشرع الخفيف، وقد ثبت أن علياً بنه كان شديد العناية بالاحتساب في مجال سوق، فعن الحر بن جرمور المروي عن أبيه قال: رأيت عبي بن أبي طالب بنه يخرج من القصر وعليه قطريتان إدره إسي نصف الساق، ورداه مشمر قريباً منه، ومعه ليرة عشي في لأسواق ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول: أوفوا لكبير ولينز ولا تقحوا^(١) اللحم^(٢)، وعن أبي معمر قال: خرجت من المسجد، فإذا رجل يادي من حلمي. رفع إزارك، فإنه أبقي ثوبك وأتقي لربك، وحد من رأسك إن كنت مسماً فمشت حنقه، وهو مؤتزر بإزار، مرتد برداء، ومعه الدرة، كأنه أعرابي بدوي، فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً في هذا البلد، فقلت: أحل من أهل البصرة. فقال: هذا عبي بن أبي طالب أمير المؤمنين بنه، حتى انتهى إلى دار ابن أبي معيط وهو يسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تخموا؛ من ليمس ثقب السبعة وتحقق الركة ثم أتى أصحاب التمر، فإذا حادمة تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: دعني هذا الرجل تمرأ بدرهم، فرده موالني فأبى أن يقبسه. فقال له علي: حد تمرأ وأعطيها درهماً، فإنها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدري من هذا؟ فقال: لا. فقلت: هذا عبي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فوهبت تمرأ فأعطها درهماً ثم قال الرجل: أحب أن ترضي عني يا أمير المؤمنين. قال: ما أرضاني عك، إذا وبيت ليس حقوفهم. ثم مر مجتراً بأصحاب التمر، فقال: يا أصحاب التمر، أطعموا المساكين، يرب كسكم ثم مر مجتاراً - ومعه المسمون - حتى انتهى إلى

(١) في بعض الروايات (ولا تصحوا) كما في «الطبقات» (٢٨/٣)، ومصحف ابن أبي شيبة (٣٠٨/٧).

(٢) انقبح العظم: استخراج معده وتطبخ شحم الباق لي قل، وطبخ الشيء أي قشروه، والمراد - والله أعلم - لا تخرجوا مع العظم المكسرة بلحمه لأن العرب (٢/٢٦٤)، ومفضل الصحابة (٢/٦٨٨)، وإساده صحيح لم (٩٣٨).

أصحاب السمك، فقال: لا يباع في سوقنا طافي. ثم أتى دار فرات وهي سوق الكرايس^(١)، وعن راد قال: كان علي يمشي في الأسواق وحده يرشد الصال، وبعض الضعيف، ويمر بالبيع والبقا فيفتح عليه القرآن ويقرأ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) (النصر: ٨٣)، ثم يقول: نزلت هذه الآية بأهل العدل والتواضع من الولاء وأهل القسوة من مائز الناس^(٣)، وأخرج الحلال بسنده عن أبي سعيد قال: كان علي إذا أتى السوق فقال: يا أهل السوق، اتقوا الله وزيادكم والخلف؛ فإن الخلف يفوق السعة، ويمحق الزكوة. وإن النحر فاحر إلا من أحد الحق وأعطى الحق، والسلام عليكم ثم يصرف، ثم يعود إليهم فيقول لهم مثل معالته^(٤)، وعن أبي الصهبا قال: رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام يشط الكلا يسأل عن الأسعار^(٥)، فهذا لإشراف المباشر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تضمن أموراً منها:

(أ) ثم تقتصر الحولات على الإشراف والتوجيه، بل تعدت ذلك إلى خدمة الناس في شؤونهم؛ كإرشاد الصال، وعانة الضعيف، فمن كانت هذه حاله كانت كلماته وتوجيهاته أقرب للناس، وأبلغ في نفوس السامعين.

(ب) يتضمن التوجيه الصريح تنقوي الله سبحانه وتعالى وحسن البيع، وربما وعظهم بانقران الكريم، فإن من اتقى الله سبحانه وتعالى أحسن معاملته للناس في النفع لهم، والبعد عن محادعتهم وعشهم.

(ج) مع الظلم في المعاملات. وإعادة الحق إلى أهله؛ لأن موالي الحارثة التي اشترت الثمر ثم يجزوا هذا الشراء، وهي في نفسها ليس لها أمر.

(د) النهي عن أصناف العيش التي تحصل في الأسواق؛ كهبه عن تنبج اللحم، وفي رواية (نفخ اللحم).

(١) الدية والهيبة (١/٨) اسم سوق الكرايس

(٢) نشر المشور السويطي (١٤٤/٦)، والدية والهيبة (٥/٨)

(٣) السنة (٣٥٢)، تحقيق د. عطية طهراني (٣٥٢)

(٤) الرياض البصرة في سبب المشركه (٦٩) شط الكلا - مكان بالبصرة سوق الكلا

(هـ) بيان بعض الأحكام والآداب المتعلقة في معاملات الناس ومنها
 - النهي عن الخلف في البيع ، وتعليل ذلك بأن اليمين تنفق السلعة ، وتحقق
 الركة ، كما ورد عن رسول الله ﷺ : «الخلف منقبة للسلعة، منقبة للركة»^(١)
 - الحث على إطعام المساكين وترغيبهم فيه ؛ لأنه زيادة في الكسب .
 النهي عن بيع السمك الطافي^(٢) ، ولعل ذلك حتى لا يحتل مع المصيد
 الطوي .

كان أمير المؤمنين يستفقد أمور التجار في حصرته ويأمر ولأته بذلك في
 الولايات ، ويثني على أحسن منهم ، أما من يقترب خطيئة بعد انتهي ، فيكل
 به ، ويعاقبه من غير إصراف^(٣) ، وكانت له بعض الإرشادات السافعة واسواهي
 الراجزة لثني تحت الناس على مكارم الأخلاق والالتزام بأحكام الشريعة وإليث
 بعض مها :

١ - إنكاره على مزاحمة النساء الرجال في الأسواق :

أنكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لا يمتنعون ساءهم من الخروج إلى الأسواق
 مزاحمات الكفار ، فقال لهم ألا تستحيون أو تعارون؟ فإنه يلعبى أن ساءكم
 يخرجن في الأسواق يزاحمن الموح^(٤) .

٢ - لا تزدوا قليل الربح فتحرموا كثيره :

كان علي بن أبي طالب يدخل السوق ويده الدرة ، وعليه عباءة ويقول يا أيها التجار ،
 حلوا الحق ، وأعصوا الحق تسلموا ، لا تزدوا قليل الربح فتحرموا كثيره ، ونظر
 إلى رجل يقص ، فقال له : أتقص ونحن قريب عهد برسول الله ﷺ ؟

(١) البحري ، كتاب البيوع (٢ / ٨٥)

(٢) هو الذي يعلق الماء ولا يرسب

(٣) الدور السياسي للصقوة في صدر الإسلام (٢٠٢)

(٤) الملوح - جمع صبح وهو الواحد من كمار المعجم ، مسند أحمد (٢ / ٢٥٤ ، ٢٥٥) قال أحمد شاذلي : صحيح
 لإسناد

لا سألتك من أحبتي وإلا جعفتك^(١) بهذه الدرّة، ما ثبات الدين وما رواله؟ قال
أما ثباته فالورع وأما رواله فالطمع. قال: أحسنت قصص فمثلك من يقص^(٢)

٣- خطورة التجارة قبل التفقه في أحكامها:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: من انجر قبل أن يتفقه في الدين
فقد ارتطم في الربا ثم ارتطم ثم ارتطم^(٣)، وقد كان الفاروق رضي الله عنه يصرب بالدرّة
من يقعد في السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد في سوقنا من لا
يعرف الربا^(٤)، وكان يقول: لا يبيع في سوقنا إلا من تفقه. وإلا أكل الربا شاء
أو أبى^(٥)، فكل شؤون الحكم كانت محل اهتمام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لا يطعن
حائب على جانب، فلا يحتل الحال بين يدي الحاكم، فقد كانوا يقعدون للتجارة
القواعد التي تصلح للأسواق. وتنظم التداول. وتضمن الشات والاستقرار، فلا
عيب ولا عثر، ولا احتكار ولا أسواق سوداء ولا درقاء، ولا جهل بما يجوز وما
لا يجوز في عالم التجارة، ويمكن اليوم تصفيه التجار من خلال دورات في
المساحد خصوصاً التي في قلب الأسواق. ولابد من توجيه الخطاب للتجار من
خلال كتيبات خاصة بهم والأشرطة الصوتية المختصرة التي تبين أحكام التجارة
وتبسط المسائل المتعلقة بها والتي تبرز ما يلي:

لمأدح محتارة من التجار المسلمين المخلصين لدينهم لذين نصر الله ورسوله

بأموالهم.

بيان أهمية الأجرة بالنسبة لهم لكي يجمعوا بين حيري الدنيا والآخرة.
وعلى العلماء وطلاب العلم واجب كبير في تفقيه هذه الشريحة الكبيرة في
المجتمعات، وعلى الحركات الإسلامية الأتسى واحها في تعليم أبنائها من
التجار وغيرهم هذا الفقه العزيز.

(١) جعفه: صرعه وصرب به الأرض

(٢) «المتطم في تاربح المثلوك والامو لابن الجوزي (٥/٧٠).

(٣) ارتطم: وقع، «بستان المرفوعة ص (٣٥-٣٥)

(٤) «عظم الحكومة الإسلامية للكتاني (١٧/٢)

٤ - من سبق إلى موضع فهو أحق به:

أثيرت قضية المحل التجاري في السوق وقضى علي بن أبي طالب بموئته في سوق لكوفة، أن من سبق إلى موضع فهو أحق به ما دام فيه ذلك اليوم، وإذا انتقل عنه، فهو لمن حل فيه، قال الأصمعي بن نبانة: خرجت مع علي بن أبي طالب بموئته إلى السوق، فرأى أهل السوق قد حازوا أمكنتهم فقال علي بموئته ما هذا؟ فقالوا: أهل سوق قد حازوا أمكنتهم. فقال: ليس ذلك لهم، سوق مسلمين كمصلى المسلمين، من سبق إلى شيء فهو له يومه حتى يدعه، وطلب هذه بقاعدة متعة حتى ولاية المعيرة بن شعبة، فلبث كانت ولاية يزيد بن أبيه عيها عام ٤٩ هـ، حتى من قعد في مكان فهو أحق به ما دام فيه^(١).

٥ - المحتكر عاص ملعون:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بموئته في احتكار الطعام. حالب الطعام مرزوق، والمحتكر عاص ملعون^(٢)، وقد أمر أمير المؤمنين بحرق الطعام المحتكر، فقد أخرج الخافض ابن أبي شيبة عن الحكم قال أخبر علي برجل احتكر طعاماً بمائة ألف فأمر به أن يحرق^(٣) وقد ذهب ابن قدامة إلى أن الاحتكار للمحرّم ما اجتمعت فيه شروط ثلاثة هي:

- (أ) أن يشتري، فلو جلب شيئاً، أو أدخل من غلته شيئاً فادخره لم يكر محتكراً، وهذا واضح من قول علي بموئته
- (ب) أن يكون المشتري قوئاً^(٤)

- (ج) أن يصيق على الدس بشرائه، وبرهيب أمير المؤمنين علي من لاحتكار مبني على قول رسول الله ﷺ: «لا يحتكر إلا خاطئ»^(٥).

(١) «الاموال» لأبي عبيد (١٢٣)، و«الحياة الاقتصادية» د. بهانيه ص (١٦٥)

(٢) «نظرة علي» لمنجي ص (٢٧)، و«مصنف عبدالرزاق» (٢٤/٨)، و«مسند زيد» ص (٢٤٥)

(٣) «المصنف» قم (٤٣٣) (١٣٣)، و«الحجة في العصر النبوي» ص (٣٤)

(٤) «مجلد لا فرق بين الثروت وغيره»

(٥) «مسلم» كتاب المساقاة (١٢٢٨/٢) و«الخاطئ» العاصي الآثم

٦- الخسارة على المال والربح على ما اصطلاحوا عليه:

بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شيئاً من أحكام المضاربة وهي: نوع من أنواع المعاملات بين الناس، وهي دفع مال معلوم لمن يتجربه ببعض ربحه، فقال عليه السلام: الوضیعة على المال، والربح على ما اصطلاحوا عليه^(١)، والوضیعة تعني الخسران في الشركة وهي على المال، أي على كل واحد بقدر ماله، فإن كان مالهما متساوياً في القدر^(٢) فالخسران بينهما نصفين، وإن كان أثلاثاً فالوضیعة أثلاثاً.

٧- تحريقه قرية كانت تباع فيها الخمر:

كان عليه السلام شديد الإنكار على من باع خمرًا، فقد أمر بتحريق قرية كانت تباع فيها الخمر، فقد روى الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام أن علياً بن أبي طالب عليه السلام نظر إلى زراة^(٣) فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زراة، يلحم فيها، تباع فيها الخمر، فقام يمشي حتى أتاها، فقال: إلي بالنيران، أضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضاً قال (الرواي): فاحترقت من غريبها حتى بلغت بستان خواستا بن جبرونا^(٤).

٨- احتسابه فيما يتعلق باللباس والهيئة:

عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي خلفي: ارفع إزارك فإنه أبقي لثوبك، وأنقى لك، وخذ من شعرك إن كنت مسلماً^(٥).

٩- حبسه أهل الشر والفساد:

كان علي عليه السلام يلاحق أهل الشر والفساد، فإذا وجد أحداً منهم حبسه، فقد روى القاضي أبو يوسف عن عبد الملك بن عمير قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا كان في القبيلة أو القوم الرجل المداعر حبسه، فإن كان له مال أنفق عليه من

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٤/٦)، ومصنف عبد الرزاق (٨/٢٤٨). (٢) المقترن (٥/٣١).

(٣) محلة في الكوفة سميت باسم بانها زراة بن زيد.

(٤) الأموال من (٩٧، ٩٨)، والحبشة لابن تيمية من (٦٠). (٥) البدلية والنهاية (٤/٨).

ماله ، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسلمين ، وقال : يحبس عنهم شره ويتفق عليه من بيت ما لهم^(١) .

١٠ - الترهيب من عدم الإنفاق:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : بشر مال البخيل بحادث أو وارث^(٢) ، وقال : البخيل مستعجل الفقر ، يعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في العقبى حساب الأغنياء^(٣) .

١١ - مناداته للصلاة:

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام شديد الاهتمام بأمر الصلاة فقد كان يمر في الطريق منادياً : الصلاة ، الصلاة ، كان يوقظ بذلك الناس لصلاة الفجر ، يحدثنا الحسن عليه السلام عن خروجه في اليوم الذي طُعن فيه من بيته حيث يقول : فلما خرج من الباب نادى : أيها الناس ! الصلاة ، الصلاة . وكذلك كان يصنع كل يوم ، ومعه درته ، فاعترضه الرجال ، فضره ابن ملجم على دماغه^(٤) .

١٢ - الاهتمام بالطرق العامة:

كان علي عليه السلام يأمر بالمتاعب^(٥) ، والكنف^(٦) ، تقطع من طريق المسلمين^(٧) .

١٣ - ظهور بدعة القصص ومحاربة أمير المؤمنين علي لها:

حدثت بدعة القصص في عهد علي عليه السلام فانكرها الصحابة والتابعون ، فقد أخرج محمد بن وضاح عن موسى بن معاوية قال حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن عبيد الله بن نافع قال : لم يقص على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا أبي بكر ، ولا عمر ولا عثمان ، وأول ما كان القصص حين كانت الفتنة^(٨) ، والقصص هم :

(١) «خراج» لأبي يوسف ص (١٥٠) .

(٢) «الآل» نقلًا عن «فتح علي بن أبي طالب» ص (١٨٣) .

(٣) «نهج علي في الدعوة إلى الله» ص (١٨٣) .

(٤) «المتاعب» : مفردة التعب : سبل الماء في الوادي .

(٥) «الكنف» : جمع كنف وهو المرحاض ، «الصبح المنير» ص (٥٤٢) .

(٦) «صنف عذررا» (١٠/٧٢) .

(٨) «البدع والنهي عنها» ص (٢٠) .

الوعاظ الذين يعقدون مجالس للوعظ تضاهي مجالس العلم، يعظون الناس فيها بالحكايات والإسرائيليات ونحوها، مما لا أصل له أو موضوع، أو مما لا تدركه عقول العامة، وقد منعهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لأنهم أخذوا يحدثون الناس بالغرائب والمتشابهات، وما لا تدركه عقولهم وما لا يعرفون^(١) وأذن أمير المؤمنين لمن كان متمكناً من العلم الشرعي بأن يقص على الناس.

كانت حياة أمير المؤمنين في المجتمع دعوة للتوحيد ومحاربة للشرك وكان حريصاً على تعليم الناس أسماء الله وصفاته، وربط قلوبهم به وحله وتذكيرهم بنعم الله وحضهم على شكرها، وقد كان عليه السلام مثابراً على محو آثار الجاهلية، متخذاً كافة الوسائل الدعوية من خطابة ووعظ، وشعر وحكم، ولم يعش عليه السلام بعيداً عن الناس بل عاش بينهم بأخلاقه وسمته وعلمه عليه السلام.

ثامناً: ولاية الشرطة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عندما تولى علي عليه السلام أمر الخلافة كانت وظيفة الشرطة إحدى الوظائف المهمة المعروفة في الدولة، والقصص والآثار التي تحدثت عن دور الشرطة في عهد علي عليه السلام كثيرة منها، ما رواه أصبغ بن نباتة: أن شاباً شكى إلى علي بن أبي طالب عليه السلام نفراً، فقال: إن هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا ولم يعد أبي، فسألته عنهم، فقالوا: مات، فسألته عن ماله: فقالوا ما ترك شيئاً، وكان معه مال كثير، وترافعنا إلى شريح، فاستحلفهم وخلق سبيلهم، فدعا علي عليه السلام بالشرطة، فوكل بكل رجل رجلين، وأوصاهم ألا يمتكنوا بعضهم يمدون من بعض، ولا يمتكنوا أحداً يكلمهم، ودعا كاتبه، ودعا أحدهم، فقال: أخبرني عن أب هذا الفتى، أي يوم خرج معكم؟ وفي أي منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عن غسله ودفنه، ومن تولى الصلاة عليه، وأين دفن، ونحو ذلك، والكاتب يكتب، فكبر علي، وكبر الحاضرون، والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنوا أن صاحبهم قد أقر عليهم، ثم دعا آخر بعد أن غيب الأول عن مجلسه،

(١) «درسات في الأهماء والفرق والهدج» ص (٢٢٩).

فسأله كما سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع، فوجد كل واحد منهم بخير بضد ما أخبر به صاحبه، ثم أمر برّد الأول فقال: يا عدو الله، قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن، وكبّر وكبّر معه الحاضرون، فلما أبصر القوم الحال لم يشكوا أن صاحبهم أقرّ عليهم فدعوا آخر منهم، فهدّده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارها لما صنعوا، ثم دعا الجميع فأقرّوا بالقصة واستدعى الذي في السجن وقيل له: قد أقرّ أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق، فأقرّ بكل ما أقرّ به القوم، فأغرّمهم المال، وأقاد منهم القليل^(١).

فهذه القصة تحوى معاني ودلالات كثيرة تفيد المحققين، وتدلّ في الوقت نفسه على وجود السجن، ورجال الشرطة^(٢)، هذا وقد بنى أمير المؤمنين سجناً في الكوفة سمّاها «نافعاً» لم يكن مستوثق البناء، فكان المسجونون يخرجون منه، فهدمه وبنى بدلاً منه سجناً آخر سمّاها مخيّباً^(٣)، وقد أجرى على أهل السجن ما يقوتهم من طعامهم وأدمهم وكسوتهم في الشتاء والصيف^(٤)، وكان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أصحاب شرطة منهم، أبو الهيثاج الأسدي، وقيس بن سعد بن عبادة ومعقل بن قيس الرياحي، ومالك ابن خبيب اليربوعي، والأصبغ بن ثباتة المشاجعي، وسعيد بن سارية بن مرة الحزاعي، وكان من ضمن الوظيفة الاجتماعية للشرطة، مساعدة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وإرشاد الناه، وإطعام المساكين، وتقديم العون، وإظهار الرفق، وغير ذلك من المساعدات الإنسانية التي يراد بها وجه الله تعالى.

ومن هنا يظهر لنا أن الأمن في العصر الراشدي كان يقوم بدور حضاري في تقديم خدمات عامة للمجتمع، ولم يقتصر دوره فقط على الجانب الأمني، وإن كان للجانب الأمني الأهمية الكبرى.

(١) «طرق الحكمة» ص (٤٩). (٢) «ولاية الشرطة في الإسلام» د. محمد الحميدي ص (١٠٧).

(٣) وهذه التسمية ليست اعتباطاً بل لها غرض، فإن النافع من النفع وهو ضد الضرر، والمخيب وهو التذليل والتهديب، التسميتان تحقّقان أغراض السجن. (٤) «ولاية الشرطة» ص (١٠٨).